

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# تقديم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين  
وعلى آله وصحابه اجمعين

وبعد ، فان عظمة الامم تعتبر بافكارها التي يبدعها ابناؤها وعلمها  
الذي يتسلسل في اجيالها ماضيا وحاضرا ومستقبلا .

وما الحضارة الا مظهرا حيا وترجمانا عمليا لهذه العظمة ونتائج  
مباشرة للافكار والقيم ، فاذا انطلقت الافكار والقيم والمعاني من منهج  
خلقي قويم ، وسلوك نظيف مستقيم ، شمتخت عند الامة وقتها حضارة  
عالية اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها .

وان الكتاب والقلم لأعظم عامل في حفظ الافكار ونقلها من السلف  
الى الخلف ، ومن أمة الى أخرى عبر العصور والاجيال .

فاذا ضعفت الامة وخفت نجمها وبزها في ميدان المجد والعظمة  
غيرها ، بقيت الكتب والاسفار أعظم مورد وأصدق شاهد على سابق  
الامة وماضيها .

وان الامة الاسلامية التي بقي لها من زاهر حضارتها ، وشامخ  
مجدها رصيد من الثروة الهائلة ومن المعاني والقيم والافكار بحيث  
نستطيع أن نجزم معه على أن أمة غيرها لم توازها او تقاربها في ذلك  
الميدان الرحب الذي ضاق عنه غيرها .

وان دورة التاريخ وعجلته السائرة حين تدفع العرب والمسلمين اليوم للنهوض وتحتم عليهم الجد والعزيمة لولوج حلبة التقدم والرقي لتوجب عليهم ان يستلهموا تراثهم العظيم ومجدهم العريق ، فلا بقاء لامة قطعت الحاضر عن الماضي ، وبنت دون اساس ضارب في شعاب الزمن وارجاء الاصاله على الحاضر دون الماضي او العكس .

ولهذا قامت في ارجاء العالم الاسلامي جهود فردية - غالبا - لبعث التراث ونشره ، واهتمت بعض الحكومات العربية بذلك مشكورة واولته العناية الخاصة .

وفي هذا الميدان عقد اتفاق هام - له ما بعده ان شاء الله - بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات العربية المتحدة الغاية منه تحقيق ونشر بعض عيون هاتك الذخائر التي لا تقدر بثمن ، وكم يكون ابناء العربية وقراؤها سعداء اذا كان هذا الاتفاق نقطة انطلاق تحتذى للتعاون بين العرب والمسلمين .

والكتاب الذي تقدمه اليوم هو ( معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار مؤلفه لسان الدين ابن الخطيب ) يعد ثمرة من ثمار هذه الاتفاقية المباركة التي سيثمر ويستمر عطاؤها وانتاجها بحول الله وقوته .

وختاما نسال الله تعالى ان يرعى ملك المغرب الهمام جلالة الحسن الثاني واخاه صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل النهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة اللذين رعيا هذا الفضل الجارى ، والنفع الدائم وان يوفقهما في ميادين البر والاصلاح وخدمة الاسلام والمسلمين انه نعم المولى ونعم النصير وهو على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير والحمد لله رب العالمين .

صندوق احياء التراث الاسلامي  
المشترك بين حكومة المملكة المغربية  
وحكومة الامارات العربية المتحدة

# مقدمة

ان كتاب « معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار » لابن الخطيب من اطرف كتب المؤلف الشهيرة ، فقد صاغه على هيئة مقامة ادبية ذات منهاج واسلوب فنى انفرد به لسان الدين روعة وابداعا ، مستهدفا وصف اهم المدن الاندلسية والمغربية جغرافيا واجتماعيا كما رآها وعاصرها في منتصف القرن الثامن الهجرى ( منتصف الرابع عشر الميلادى ) . فلم تكن المقامة التقليدية لديه هدفا لذاتها من شعوذة واستجداء كما هى عند الحريرى والهذانى وغيرهما ، او وعظ وتذكير بالدار الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب كما هى عند الزمخشرى والدمياطى وامثالهما ، بل ان المؤلف كانت غايته علمية بحتة ابرزها في صورة ادبية ثقافية ممتعة ، وبالرغم من قيود السجع والمحسنات البديعية الا ان وصفه للبلدان في مناحى شتى قد جاء في صورة مشوقة تنبض حياة ، وتتالق براعة . ويصف المقرئ هذا الكتاب فيقول : « وللسان الدين مقامة عظيمة بديعة ، وصف بها بلاد الاندلس والعدوة ، واتى فيها من دلائل براعته بالعجب العجاب (1) » .

ولقد اورد ابن الخطيب « معيار الاختيار » ضمن مؤلفه الادبى الضخم « ريحانة الكتاب ، ونجمة المنتاب » الذى ما يزال مخطوطا ، وان كان بعض الباحثين قد قام بتحقيق اجزاء منه ، فمن اشهر نسخ « الريحانة » التى ورد بها « المعيار » واقتضت طبيعة التحقيق والدراسة الرجوع اليها في كل من المغرب ( الرباط - فاس ) وتونس والجزائر والقاهرة واسبانيا وروما :

1 - نسختان بدار الكتب بالقاهرة .

الاولى : يوجد منها الجزء الاول وبعض الجزء الاخير في مجلدين ، وبخط مغربى ، في ثنائياها ثقب ونقص واضطراب ، وهذان الجزآن مصوران بالفوتوستات عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة تونس ، ويقعان في 309 لوحة ، مسجلين برقم 19875 ز .

(1) النسخ : ج 8 ص 315 ط محى الدين - القاهرة .

الثانية : بها نقص يسير من الخطبة ، اولها بعد الديباجة : « ..وسميته  
لتنوع بساتينه المنسوجة ، وتعدد افانينه المعشوقة ، بريحانة الكتاب، ونجمة  
المنتاب » .. الخ ، وتقع هذه النسخة في مجلدين كتبا بخط النسخ ، وقد نقلنا  
عن الجزاين المخطوطين المقيدين بدار الكتب المصرية برقم 524 ادب س ،  
ويقعان في 460 — 650 صفحة ، مسطرتها 21 سطرا ، وقد سجلنا تحت رقم  
3459 ز ، وقد اتخذنا لهذه النسخة في التحقيق الرمز « د » .

## 2 — نسخة الاسكوريال بمديرد .

وهي مسجلة برقم 554 من فهرس الفزيري ، وهي نسخة جيدة للغاية  
قد كتبت بخط اندلسي باهت ، وتقع في 281 لوحة كبيرة ، أعنى 562 صفحة ،  
بكل صفحة 27 سطرا ، وفي كل سطر 12 كلمة في المعدل العام ، وقد ذكر في  
نهاية هذه النسخة انها كتبت سنة 888 هـ ، وقد رمزنا اليها خلال البحث  
بالرمز « ا » .

3 — جزء مخطوط بمكتبة الفاتيكان الرسولية بروما ، مكتوبة بخط مغربي  
وهي عبارة عن السفر الثالث من « الريحانة » ، وعدد لوحاتها 119 لوحة  
كبيرة ، مسجلة برقم 252 .

وقد احتوى هذا السفر على « معيار الاختيار » ، ورمزنا لهذا المخطوط  
اثناء التحقيق بالرمز « ف » .

4 — قطعة مخطوطة اخرى في مكتبة الجزائر الوطنية من « الريحانة » ،  
تشتهل على 181 لوحة مزدوجة من القطع الكبير ، مكتوبة باكثر من خط  
معظمه قديم ، والبعض منها — ولاسيما الوسط — قد اكمل مؤخرا ، او بتاريخ  
احدث ، وهذه النسخة تشتمل على النصف الثاني والاخير من « الريحانة » ،  
حيث تبدأ بالفصل الذي يحمل عنوان « جمهور الاغراض السلطانيات » ،  
ويغلب على الظن ان هذه النسخة هي اقدم جزء من المخطوط رقم 2010 ،  
وقد احتوى هذا الجزء — ضمن ما احتوى — كتاب «معيار الاختيار» موضوع  
الحديث ، وقد رمزنا اليها بالرمز « ج » .

## 5 — وفي خزانة القرويين بفاس قطعتان من « ريحانة الكتاب » :

الاولى : تضم السفرين الرابع والخامس ، وتقع في 99 لوحة مزدوجة  
من القطع الكبير ، في كل صفحة منها 27 سطرا ، قد كتبت بخط مغربي ، وفي  
نهايتها تاريخ الفراغ من نسخها ، وهو يوم الاحد قبل الزوال عام تسعة عشر

ومائة والف ( لم يذكر تاريخ اليوم أو الشهر ) وهى برقم 40 - 565 ،  
ورمزها « س » فى تحقيقها .

اما القطعة الثانية : فهى برقم 3011 ، وتنطبق عليها نفس اوصاف الاولى  
ولاسيما الخط .

6 - اما فى الخزانة العامة بالرباط ( قسم المخطوطات والمحفوظات )  
فتوجد عدة نسخ من « الريحانة » ، أظهرها وأشهرها النسخة الكتابية  
المسجلة برقم 331 ك ، وهى عبارة عن مجلد ضخم يتألف من 609 صفحة  
من القطع الكبير ، وفى كل صفحة 25 سطرا ، قد كتبت بخط مغربى واضح ،  
وبها زيادات حديثة ، أغلب الظن أنها ليست من انشاء ابن الخطيب ، ولاسيما  
الجزء الخاص بذكر ملوك بنى أمية والخلفاء من بنى العباس ، وهو غفل من  
تاريخ كتابته ، اما النسخة الاساسية للريحانة فنقع فى 599 صفحة ، وقد  
رمزنا اليها بالرمز « ك »

وتوجد بنفس هذه الخزانة غير التى ذكرنا - سبع نسخ من «الريحانة»  
قد اشتمل معظمها على « معيار الاختيار » وفيما يلى ما تضمن منها  
« المعيار » :

فأولها : نسخة كاملة عبارة عن مجلدين من الحجم المتوسط ، ويشتمل  
اولها على 222 لوحة ، مكتوبة بخط مغربى واضح . والمجلد الآخر عبارة عن  
215 لوحة من نفس الحجم ، وقد كتب بنفس الخط المغربى الواضح . وهذه  
النسخة بمجلديها مسجلة برقم 2195 بالمكتبة الملكية ، وقد رمزنا اليها بالرمز  
« ل » أثناء التحقيق .

وثانيتها : تشتمل على السفرين الرابع والخامس من « الريحانة » وعدد  
لوحاتها 145 لوحة من الحجم الصغير ، ورقم التسجيل 600

وثالثها : عبارة عن النصف الثانى من « الريحانة » ، وهى نسخة  
تحتوى على الاسفار الرابع والخامس والسادس ، وتقع جميعها فى 186  
لوحة .

ورابعها : نسخة ذات اوراق بالية وقديمة تشتمل 40 لوحة كبيرة ، قد  
كتب على الصفحة الاولى منها « السفر الثالث من ريحانة الكتاب » ، وفى  
نهاية اللوحة الاخيرة عبارة « كمل السفر الخامس » ورقم تسجيلها 6400 .

هذا ، ولا يغيب عن الفكر ان هناك نسخا اخرى من مؤلف ابن الخطيب « ربحانة الكتاب » في حوزة المكتبات الخاصة ، جلها في المغرب الاقصى ، ومعظمها قد انتظم « معيار الاختيار » ، بيد انه لا يتسنى للباحث ان يستدل ويطلع عليها في سهولة ويسر لسبب او لآخر ، فمن ذلك على سبيل المثال النسخة الجيدة التي بمكتبه صديقي الاستاذ عبد الكبير الفهري الفاسي بالرباط ، وقد تصفحت سفرا خاصا بـ « معيار الاختيار » فوجدتها نسخة قريبة الشبه خطأ ونسخا من النسخة الاولى الخاصة بالمكتبة الكتانية التي اشرنا اليها في ثنايا الحديث عن نسخ الخزنة العامة بالرباط .

ونرى — بهذه المناسبة — ان نذكر ان مؤرخ المملكة المغربية الاستاذ عبد الوهاب بن منصور قد اخبرنا في صدد « معيار الاختيار » بأنه سبق ان رأى نسخة تكاد تكون فريدة منه لدى احد شيوخ مدينة « تلمسان » منذ مدة طويلة ، وترجع اهميتها لكون هذه النسخة قد اشتملت على وصف تلك المدينة وهو ما تنفرد به من دون النسخ الاخرى الخالية منها تماما ، ويعزز رواية الاستاذ عبد الوهاب وجود وصف مدينة تلمسان في كتاب « نفع الطيب » ( ج 9 ص 340 — 341 ) وهو لابن الخطيب كما اثبته المقرئ ، والاسلوب في الوصف على نمط الاسلوب الذي انتهجه المؤلف في « معيار الاختيار » من بداية بالاستفسار : « قلت فمدينة تلمسان ؟ فاجابة من الراوى : قال : « تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف ، ووضعت في موضع شريف . . الخ » ، ثم يعقب وصفه للمدينة بما عودنا من ايراد ابرز المثالب كمثيالاتها ، فقال : « . . الا انها بسبب حب الملوك ، مطعمة للملوك . ومن اجل جمعها الصيد في جوف الفرا ، مغلوبة للامراء ، . . الخ » .

حقا لقد كانت « تلمسان » يومئذ ضمن مملكة بني مرين حينما امتد ملكهم الى الجزائر عام 796 هـ ( 1393 م ) ، واضحى ملك بني زيان تابعا لبني مرين ، وبقي الامر كذلك حتى دب الضعف في الدولة المرينية ، واستبد بنو وطاس ووزراؤهم بالامر ، فهيا ذلك لبني زيان ان يستقلوا مرة اخرى بامر تلمسان ، كما هيا مثل هذا الاستقلال للاشراف ان يظهروا في مراكش بجنوب المغرب (1) .

وقد وفد ابن الخطيب في ذلك الابان على مدينة تلمسان سفيرا ثم زائرا ، واخيرا عندما لجأ فارا من الاندلس ، حيث احتفى بظلال بني مرين على ما

(1) ابن خلدون في « العبر » ج 7 ص 166 ، والذخيرة السننية ص 148 ، والاستقصا ج 2 ص 16 .

سنفصله في الترجمة للمؤلف من بعد ، الامر الذي يقطع بان المؤلف اورد وصف تلمسان ضمن « المجلس الثاني » الخاص باهم المدن المغربية ، كما لا نستبعد من ناحية اخرى ان تاليف لسان الدين للمعيار كان زمن امتلاك المرينيين لتلمسان ، وربما كان ذلك اواخر ايامه ، حيث اتاحت له اكثر من فرصة لدراسة المدينة وسواها من مدن المغرب ، ورسم صورة واقعية لها ، كعهدنا به نحو المدن الاخرى التي تناولها بالوصف في مؤلفه هذا .

لقد كنت تواقا الى رؤية تلك النسخة ، عسى ان اتمكن من ازالة علامة الاستفهام التي ترتسم حيال بقية النسخ من « الريحانة » المشتملة على « معيار الاختيار » والتي خلت - للاسف - من وصف مدينة « تلمسان » ، ومن يدري فربما كانت نسخة الجزائر اقرب من غيرها الى عصر المؤلف ان لم تكن قد نسخت على ايامه ، ولكن ما الحيلة وقد طوى الزمن صاحب النسخة ، ولا ندري بالتالي الى من آلت ، هذا ان لم تكن قد انقرضت هي بدورها حيث لم نسمع عنها حتى يومنا هذا من قريب او بعيد ، ولم تتناولها من قبل فهارس المستشرقين ، كما لم تشر اليها أقلام الباحثين من المهتمين بالتراث الاندلسي خاصة .

وعلى اى حال فلا مناص من الحاق وصف مدينة « تلمسان » في نهاية « المجلس الثاني » للمدن المغربية ، وذلك نقلا عن « نفع الطيب » بنصه ، مقرا للاستاذ عبد الوهاب بن منصور لفتته العلمية .

هذا ، وقد نوهت اثناء عرض الكتاب بـ « الفصل الثالث » ان النسخة التي رايت انها اوفى واحق بالاعتماد في التحقيق - مع اعتبار بقية النسخ - هي نسخة الاسكوريال (554) .

وقد رايت استكمالا للفائدة ، والمما بما قد يحتاجه الباحث ان اخط في هذا التحقيق النحو التالي في اربعة فصول :

### الفصل الاول :

وقد اوردت فيه ترجمة تكاد تكون وافية بالفرض لحياة المؤلف « لسان الدين ابن الخطيب » .

### الفصل الثانى :

وبه بيان لوجهة نظر بعض المستشرقين والباحثين تجاه ابن الخطيب .

### الفصل الثالث :

وقد اوردت فيه دراسة خاصة بـ « معيار الاختيار » في عرض تحليلي من الناحيتين الادبية والتاريخية ، واهمية الكتاب كعمل ادبي ، ثم كوثيقة تاريخية هامة .

### الفصل الرابع :

وقد اوردت فيه « المجلس الاول » من النص ، وهو الخاص بوصف « المدن الاندلسية » .

### الفصل الخامس :

وقد اوردت فيه « المجلس الثاني » من النص ، وهو الخاص بوصف « المدن المغربية » . وفي ذيل كلا « المجلسين » اثبت في التعليق ما اقتضاه التحقيق ، واستوجبه الدراسة .

ولا يسعني - اذ اقدم هذا العمل كتحقيق جديد في مجال التراث الاندلسي - الا ان اعترف بالفضل لكل سابق في هذا الميدان ، ولا سيما حيال من اسهموا بدراسة او تحقيق لابن الخطيب ومؤلفاته فقد كانت بحوثهم عوننا جديرا بالتقدير ، كما اذكر لاستاذنا العلامة عبد الله كنون فضله في هذا العمل ، جزاه الله خيرا الجزاء ، وانوه بسبق الزميل الدكتور احمد مختار العبادي ، معترفا بالاستفادة الحقة من دراسته في هذا الموضوع .

اخيرا ، آمل بهذا التحقيق - على هذه الصورة - لكتاب «معيار الاختيار» ان اكون قد اسهمت بلبنة في صرح الذخائر الاندلسية .  
والله اسأل ان يجد فيه رواد الفكر وعشاق التراث ما ينشُدون او يؤملون ، انه سميع قريب ، وبالإجابة جدير .

وهو - سبحانه - ولي التوفيق

المحقق

دكتور محمد كمال شبانه  
استاذ التاريخ والحضارة الاسلامية  
بجامعات المغرب

المغرب في

غرة المحرم 1396 هـ  
23 نوفمبر 1976 م



# الفصل الأول

حياة ابن الخطيب  
وأراء بعض المستشرقين حوله



## ابن الخطيب

713 - 776 هـ ( 1313 - 1374 م )

ثاني اثنين أرواحاً لعصر بني الأحمر ، فكشفا عن السلالة النصرانية حتى عصرهما الذي عاشاه جنباً الى جنب ، ولم ينل من علاقتهما الطيبة التنازع على المزيد من السلطة ، في دولة طالما استبد فيها الحجاب والتنازع وانتقصوا من سلطة السلطان ، فكانت نهايتهم على يدى من نازعو المملكة ، بايعاز من صاحب سلطة قضائية أو ادارية ، وهذا ما حدا بالخطيب ، وبين قاضى الجماعة أبى الحسن على النباهى الجذامى سنرى من خلال سيرة الأول .

هو لسان الدين أبو عبد الله محمد ، بن عبد الله ، سعيد ، بن على ، بن أحمد ، السلماني ، نسبة الى سلمان بها بعض القبائل القحطانية ، وكانت أسرة ابن الخطيب ومن اليمن وفدت الأسرة الى الأندلس ، حيث اتخذت قرناً

ثم هاجرت الأسرة الى طليطلة - كما أخبر في مقدمة « الاحاطة » - عام 202 هـ 817 م ، وهو أهل الربض بقرطبة ، ضد أمير الأندلس الحكم بن أهل الربض ضد الأمير ، ولكن الحكم قضى على

بـ (موقعة الربض) وشنتت شمل القائمين بها ، فنفي من نفي ، وشرد من شرد ، وغادر قرطبة جمهور من المعارضين وعديد من العلماء ، ومن هؤلاء أسرة ابن الخطيب ، حيث قصدت طليطلة ، فبقيت بها قرابة قرن ونصف ، ولما أحست أسرة المترجم له بالخطر المحدق بالمدينة – حيث أصبحت هدفاً للأسبان في أواسط القرن الخامس الهجري ( أوائل القرن الثاني عشر الميلادي ) – بادرت بالنزوح عنها الى مدينة لوشة (I) مسقط رأس ابن الخطيب في 25 رجب 713 هـ ( 16 نوفمبر 1313 م ) .

تربى ابن الخطيب في أسرة عرفت بالاصالة والعلم والجاه ، فقد كان أبوه عبد الله من أكابر العلماء والخاصة ، كما أخبر بذلك ابن الخطيب نفسه ، حيث ترجم لأبيه في كتابه ( الاحاطة في أخبار غرناطة ) فروى لنا أنه ولد في ( 672 هـ = 1273 م ) واستقر حيناً في غرناطة ، ثم عاد الى لوشة مقر الأسرة ، ثم رجع الى غرناطة أخيراً ، حيث التحق بخدمة السلطان أبي الوليد اسماعيل ملك غرناطة ( 713 – 725 هـ – 1314 – 1324 م ) .

وقد كانت أسرته تحمل اسم « الوزير » الى أن جاء جده سعيد فعرفت باسم « الخطيب » .

ولما توفي هذا السلطان ، وخلفه ابنه السلطان أبو عبد الله محمد ، التحق والد ابن الخطيب بديوان كتابته أيضاً ، ثم بأخيه السلطان أبي الحجاج يوسف ( 733 – 755 هـ – 1333 – 1354 م ) ، حيث عاصر الكاتب الكبير ، والرئيس العظيم أبا الحسن علي بن الجيَّاب ، والذي مُنِح من قبَّله لقب الوزارة ، وأخيراً سقط عبد الله مع ولده الأكبر – أخي لسان الدين – قتيلا في موقعة طريف الشهيرة ، التي تمخضت عن فوز الأسبان على المسلمين من الأندلس والمغرب ، وسقوط كل من طريف ثم الجزيرة الخضراء وقلعة بنى سعيد ، وذلك في جمادى الأولى 741 هـ ( 1340 م ) .

---

(I) تعرف في الإسبانية اليوم باسم « Loja » ، تقع على بعد 55 كم غرب غرناطة ، وهي إحدى المدن الإسلامية الشهيرة أيام حكم العرب ، وقد استردها الأسبان قبل سقوط غرناطة بقليل ( 891 هـ = 1486 م ) ، يقدر عدد سكانها حالياً بعشرين ألف نسمة تقريبا ، بينما كان عدد السكان – على عهد ابن الخطيب – يجاوزون هذا العدد بكثير كما يتضح من تاريخ المدينة يومئذ .

لقد نشأ ابن الخطيب في العاصمة غرناطة ، وتلقى بها دراسته (2) ، فقد كانت وقتئذ ميداناً احتشد فيه الأكابر من العلماء والأدباء ، فدرس اللغة والشريعة والأدب على جماعة من أقطاب العصر ، مثل « أبي عبد الله بن الفخار الألبيري » شيخ النحاة في عصره ، « وأبي عبد الله بن مرزوق » فقيه المغرب الكبير ، « والقاضي أبي البركات بن الحاج البلفيقي » ، ودرس الأدب والشعر على الوزير « أبي عبد الله ابن الحكيم اللخمي » وعلى الرئيس « أبي الحسن علي بن الجياب » ، وغير هؤلاء . كما درس الطب والفلسفة على حكيم العصر وفيلسوفه الشيخ « يحيى بن هذيل » . فلا نبالغ اذن اذا قلنا : ان غرناطة - في ذلك الوقت - كانت أعظم مركز للدراسات الأدبية والعلمية والاسلامية ، في هذا القطر الغربي من العالم الاسلامي ، وكان هذا من حظ ابن الخطيب الى حد بعيد .

هذا ، وقد تأثر مستقبل ابن الخطيب السياسي بحكم منصب والده ، فمنذ شب عن الطوق ونفسه تطمح للوصول الى مركز أبيه ، فلما توفي الوالد دعى ابنه للخدمة مكانه ، وكان حينئذ في الثامنة والعشرين من عمره ، حيث تولى امانة السر لأستاذه الرئيس « أبي الحسن بن الجياب » وزير السلطان ابي الحجاج يوسف الأول النصرى وكاتبه (3) ، ثم خلف أستاذه في الوزارة ، وتقلد ديوان الانشاء لهذا السلطان ، وكان ابن الخطيب يومئذ قد ملك زمام أرفع الأساليب شعراً ونثراً ، بفضل أستاذه الراحل ، وظهر أثر هذه التلمذة على رسائله السلطانية . التي حررها بقلمه على لسان ملوك الأندلس والمغرب ، والتي نعتها المؤرخ ابن خلدون بالفرائب ، وقد جمع ابن الخطيب نفسه منها الكثير في كتابه « ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب » ، كما أورد المقرئ عددا منها في مؤلفه « نفح الطيب » (4) ، ويعتبر كتاب ابن الخطيب « كناسة الدكان بعد انتقال السكان » مجموعة من الرسائل السلطانية التي تمثل العلاقات السياسية بين غرناطة والمغرب ، في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي ، على لسان سلطانه يوسف الأول ابن الأحمر ، الى معاصره في فاس أبي عنان فارس المريني .

(2) العبر لابن خلدون ج 7 ص 332 .

(3) توفي ابن الجياب بوباء الطاعون الجارف ، في شوال 749 هـ ( يناير 1349 م ) .

(4) ج 3 ص 570 ، وما بعدها ، ج 4 في عدة مواضع منه .

ولقد كسب ابن الخطيب ثقة هذا السلطان الغرناطي ، حيث قربه من مجلسه ، وخلع عليه الجهم من النعم ، كما أنه أصبح أثيراً لديه ، مودعاً إياه أمانة سره وكتابته ، وذلك لروعة هذه المكاتبات السلطانية التي دبجها له من جهة ، ولنجاح سفاراته مع ملوك النصارى والمغرب من جهة أخرى . فقد بعثه عاهل غرناطة سفيراً الى أبي الحسن المريني ملك المغرب عام 749 هـ ( 1348 م ) .

ولما توفي السلطان أبو الخجاج يوسف قتيلاً - في يوم عيد الفطر 755 هـ ( 19 أكتوبر 1354 م ) - خلفه في الملك ولده السلطان محمد الخامس الغني بالله ، واستمر ابن الخطيب في معاونة الوزير أبي النعيم رضوان على خدمة السلطان الجديد ، كما تولى الوصاية على الأبناء القصر للسلطان المتوفى ، ثم قام بسفارة الى السلطان « أبي عنان فارس المريني » عام 755 هـ = 1354 م ، ولقد نجح ابن الخطيب في مهمته هذه نجاحاً عظيماً ، ذلك أن ملك المغرب استجاب للمطالب التي حملها ابن الخطيب لصالح ملك غرناطة ، وفي مقدمتها العون الحربي لمقاومة أطماع ملك قشتالة .

ولقد ظفر ابن الخطيب بمكانة ممتازة لدى الغني بالله ، اذ منحه ثقته كأبيه من قبل ، وخلع عليه لقب ( ذو الوزارتين ) ، لجمعه بين وزارة القلم ووزارة السيف .

ولكن حدث أن اندلعت الثورة بغرناطة ، في رمضان 760 هـ = 1359 م ، ونتج عنها فقدان السلطان الغني بالله لملكه ، واستيلاء أخيه الأمير اسماعيل على العرش ، كما تمخضت هذه الثورة عن مقتل الحاجب أبي النعيم رضوان ، ثم فرار الغني بالله الى وادي آش (5) ، وعليه فأصبح ابن الخطيب لا يملك من الأمر شيئاً ، غير أنه حاول أن يستميل السلطان الجديد ، فقبله في منصب الوزارة مؤقتاً ، ثم تشكك بعد قليل في نواياه ، وذلك بتحريض منافسيه وحساده ، فقبض عليه ، وصادر أملاكه ، وبذلك فقد ابن الخطيب جاهه ونفوذه ، بل ومتاعه بين عشية وضحاها .

(5) راجع ما كتبه عن هذه المدينة في وصف ابن الخطيب للندن الأندلسية من هذا الكتاب .

لم تطل هذه النكبة بابن الخطيب ، فقد بعث ملك المغرب السلطان أبو سالم سفيره ( الشريف أبا القاسم التلمساني ) الى ملك غرناطة الجديد ، يطلب اليه أن يسمح للملك المخلوع ( الغنى بالله ) ووزيره ابن الخطيب بمغادرة الأندلس الى المغرب ضيفين عزيزين ، فرضخ سلطان غرناطة لهذا الطلب ، سياسة منه في الإبقاء على أوامر الوداد مع بني مرين ، واحتفاظاً بهم سنداً لمستقبل الدولة الإسلامية بالأندلس . ولهذا أطلق سراح ابن الخطيب ، ولحق بسلطانه ، حيث لجأ إلى وادي آش ، ومن ثم الى المغرب ، ومعهما نفر كبير من الحاشية ، فوصل الركب فاس في محرم 760 هـ ( ديسمبر 1358 م ) حيث استقبلهما السلطان أبو سالم استقبالا حاراً ، واحتفل بقدمهم احتفالاً عظيماً ، وألقى ابن الخطيب في هذه المناسبة - بين يدي المضيف - قصيدته الشهيرة (6) ، يستنصره ويستصرخه ؛ ليعين سلطانه على أمره .

ويشهد ابن خلدون المؤرخ ذلك الحفل - بصفته من كبار رجال البلاط المريني - فيصفه لنا ويقول : « إن ابن الخطيب استولى على سامعيه ، فأبكاهم تأثراً » .

هذا وقد طاب العيش لابن الخطيب بالمغرب في رعاية السلطان « أبي سالم » ، الذي أقطعه الأراضي ، ورتب له الرواتب ، حيث استقر في مدينة « سلا » (7) حوالي ثلاثة أعوام منفيًا 760 - 763 هـ ( 1358 - 1361 م ) ، اقتنى خلالها الضياع والأموال ، ولكن لم ينس - في الوقت نفسه - نزعتة الثقافية والتأليفية ، فجاس خلال مدن المغرب دارساً باحثاً ، ملتقياً بالعلماء في تجواله ، وفي نهاية المطاف يرجع الى سلا ، حيث يربط بضاحية « شالة » ، قرب أضرحة ملوك بني مرين .

(6) نفع الطيب للمقرى ج 3 ص 46 - 48 ، أزهار الرياض لنفس المؤلف ج I ص 197 - 200 وهي ثمانون بيتاً .

(7) سنعرف أيضاً بهذه المدينة من بعد في مناسبة وصفها .

ولقد أصيب ابن الخطيب - إبان هذه الفترة - في زوجته أم أولاده ، وبالرغم من كل ما أصابه من نكبات متوالية فإنه لم يقعد عن التأليف ، ولم يخلد الى الراحة والسكينة ، ويكفى دليلا على هذا تلك المؤلفات التي حررها وقتئذ ، ومن أهمها :

- 1 ( معيار الاختيار ، في ذكر المعاهد والديار ( هذا الكتاب ) .
- 2 ( نفاضة الجراب ، وعلالة الاغتراب .
- 3 ( اللمحة البدرية ، في تاريخ الدولة النصرية .
- 4 ( الحلل المرقوقة ، في اللع المنظومة (8) .
- 5 ( رقم الحلل ، في نظم الدول .
- 6 ( كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان .
- 7 ( رسائل في فنون مختلفة ، معظمها نظمه شعرا .

وفي هذه الأثناء تم انقلاب في فاس ، ترتب عليه مصرع السلطان أبي سالم ، في ذي القعدة 762 هـ ( 1360 م ) ، وتقلد السلطان صاحب الانقلاب الوزير عمر بن عبد الله ، الذي أعان ابن الأحمر المخلوع على أمره ، ووقف الى جانبه في استرجاع عرشه ، حتى سنحت الفرصة ، ووات الظروف ، باندلاع ثورة جديدة في غرناطة ، صرع فيها السلطان اسماعيل بن الأحمر على يد الرئيس أبي سعيد ، الذي فر الى ( قشتالة ) عقب عودة الغنى بالله الى الأندلس ، واستيلائه على ولاية مالقة ، ثم دخوله غرناطة ، وتربعه على العرش من جديد عام 763 هـ = 1361 م .

لقد استدعى سلطان غرناطة الجديد ، محمد الخامس الغنى بالله ، وزيره المنفى ابن الخطيب ، ليقدم الى دار ملكه ، برسالة مؤرخة : 14 جمادى الآخرة 763 هـ ( 15 أبريل 1361 م ) وليتقلد منصبه السابق ، فاستجاب ابن

---

8) هذا الكتاب يتحدث فيه ابن الخطيب عن تاريخ الدولة الاسلامية ، وقد أهدها الى السلطان أبي سالم المريني ملك المغرب ، فكافأه عليه بمضاعفة رواتبه ، كما كتب - في شأن المؤلف - الى سلطان غرناطة ، يطلب منه الافراج عن ممتلكات ابن الخطيب المصادرة .



الخطيب ، وجاز البحر صحبة أسرة السلطان وأسرتة ، ثم وصل العاصمة ، وهناك وجد من يزاحمه منصبه ، وينافسه السلطة ، وهو شيخ الغزاة ( عثمان بن أبي يحيى ) ، صاحب اليد على السلطان فى استرجاع العرش ، فنسب خلاف بين الرجلين ، وحقد كلاهما على الآخر ، ولكن ابن الخطيب كان أشد مراساً بأساليب الكيد والذس ، فتغلب على خصمه ؛ اذ زين للسلطان خطورة نفوذ عثمان هذا ، وبدأ يخيفه من غدرة وغدر أشياعه ، فاستجاب ابن الأحمر لنصح ابن الخطيب ، وقضى على عثمان وآله فى شهر رمضان 764 هـ = 1363 م ، وبذلك استرد ابن الخطيب كامل سلطته ، دون مناوىء أو منافس ، ولكن الى حين ، فقد شعر مرة أخرى بما يحاك حوله من دسائس ومكائد ، ورأى سلطانه يتأثر بسعاية الخصوم ، وقد تزعم هذه الحملة الجديدة ضد ابن الخطيب رجلا ن وثيقا الصلة بالسلطان بحكم وضعيتهما فى الخدمة السلطانية ، ولمكانتهما السياسية فى الدولة ، وهما :

I ( الشاعر محمد بن يوسف المعروف بـ « ابن زمرك » تلميذ ابن الخطيب ، ومعاونه فى الوزارة .

2 ( قاضى الجماعة أبو الحسن على بن عبد الله النباهى ، ولى نعمة ابن الخطيب .

وحيئنذ شعر ابن الخطيب بخطورة موقفه عند السلطان ، بين هذين الرجلين الداهيتين ، فدبر أمره على مغادرة الأندلس نهائياً ، دون أن يشعر السلطان مطلقاً بذلك ، وفعلا طلب منه أن يأذن له فى تفقد بعض الثغور والموانئ الأندلسية ، فأجابه السلطان ، وكان وزيرنا - من جانبه - قد أعد العدة للإبحار الى المغرب ، حيث يحل ضيفاً لاجئاً على السلطان أبى عنان فارس بن أبى الحسن المرينى ، وقد تم له ذلك بوصوله الى جبل طارق ، الذى كان يومئذ ضمن أملاك المرينيين ، ونجحت الخطة ، اذ استقبله قائد الميناء بحفاوة ، وسهل له مهمته ، بأمر من سلطان المغرب ، وأجازه الى سبتة هو ومن معه من ولده ، وقبل أن يودع هذه البقاع بعث برسالة مؤثرة الى السلطان الغنى بالله

يعمل فيها مسلكه هذا ، ويبرر تصرفه الاضطراري ، وأخيراً يطلب غفرانه ،  
راجياً عونه لأسرته التي خلفها وراءه في غرناطة .

وصل ابن الخطيب الى سبتة ومنها التحق بتلمسان ، مقر السلطان  
عبد العزيز الذي احتفى به وأكرمه ، ثم بعث بسفرائه الى غرناطة ، يلتمس من  
سلطانها ان يجيز أسرة ابن الخطيب ، فأجاب ابن الأحمر الى طلبه ، وكان ذلك  
عام 773 هـ = 1371 م .

وكان من المتوقع أن يهنأ ابن الخطيب بهذا المقام بالمغرب ، فالسلطان  
قد أحله مكانته اللائقة به ، وأبدله مما فقد الشيء الكثير ، ولكن - للأسف -  
اتخذ منافسوه بغرناطة من هربه - على هذه الصورة - مادة دسمة للكيده ،  
وأكدوا للسلطان محمد الخامس ابن الأحمر ادانته ، وعدم وفائه لولي نعمته ،  
وزاد الاتهام تأكيداً أن ابن الخطيب كان حريصاً على أن يحمل معه أمواله  
وذخائره الى المغرب ، وفي هذا يخاطب القاضي النباهي غريمه - في الرسالة  
المعروفة التي بعث بها اليه : « فهمزتم ولمزتم ، وجمعتم من المال ما جمعتم  
، . . . ، ثم هربتم بأثقالكم » (9) .

كان القاضي النباهي فيما سبق من أنصار الوزير ابن الخطيب ، بل  
إن تعيينه قاضياً للجماعة واستصدار ظهير هذا المنصب قد تم على يدي ابن  
الخطيب نفسه ، كما نجد في كتاب الاحاطة ترجمة للنباهي تنبئ عن تقدير  
ابن الخطيب لهذا الرجل ؛ اذ ينعتة بأنه « قريع بيت مجادة وجمالة ، وبقية  
تعيين وأصالة ، عف النشأة ، طاهر الثوب ، مؤثر للوقار والحشمة ، بعيد  
الغور ، مرهف الجوانب ، ناظم ، نائر ، نشره يشف عن نظمه ، ذاكر للكثير ، بعيد  
المدى في باب النزاهة ، ماضي غير هيوب . . . الخ » ، ولكن ذلك « النباهي »  
تنكر تماماً لابن الخطيب ، ولم يحفظ له هذا الجميل ؛ فقد آزر الوزير  
« ابن زمرك » ضده ، وسعى سعياً حثيثاً في سبيل القضاء عليه ، وتتجلى هذه  
الروح الشريرة ، وما يمليه الحقد الشخصي ، والضغائن الدفينة ، في تلك

(9) المقرئ في « نفع الطيب » ج 7 ص 56 .

الرسالة التي بعث بها القاضي النباهي الى ابن الخطيب بالمغرب ، وفيها يعيب عليه الانصراف الى اقتناء الضياع والديار ، كما أنه نسب اليه - في بعض مؤلفاته - بعض محذئات في الدين ، مما يمس الشريعة الاسلامية ، كما تناول في بعض هذه المؤلفات الأموات من الناس ، وذلك بالطعن أو العيب فيهم ، الأمر الذي يستنكره الدين . . . . ، الى آخر ما جاء في تلك الرسالة من هذه المثالب ، وحتى مغادرة ابن الخطيب للأندلس مؤخراً - على تلك الصورة - رأى فيها النباهي غدرًا بالسلطان ولي نعمته ، كما كذبه في ادعائه الانقطاع للعبادة في المغرب ، وأنه لو أرادها حقيقة لقصد الديار المقدسة ، أو أبقى على نفسه بغرناطة بجوار الكفاح والجهاد ، لنصرة المملكة الاسلامية التي يتهددها خطر الأسباب كل حين .

وفي الأخير ينهى النباهي رسالته بالنيل من أسرة ابن الخطيب ، بأنها حديثة النعمة ، وأن ثروتها هذه لم تأت الا عن طريق المنصب والسلطة . .

وقد كان لهذه الرسالة أثر كبير فيما بعد ؛ حيث كانت صك الاتهام ، وأدين ابن الخطيب على أساس ما ورد فيها ، وذلك عندما حلت نكبته ، ودنت ساعة نحسه (10) .

هذا ، ويرجع تاريخ الرسالة هذه الى أواخر جمادى الأولى 773 هـ = 1371 م ، وقد تسلمها ابن الخطيب بتلمسان ، وأجاب على ما جاء بها مفصلاً ، في كتابه « الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة » ، وشدد النكير على القاضي النباهي ، عندما وصقه بأنه « الجعسوس » أي : القزم الدميم ، وزاد ابن الخطيب فوضع رسالة خاصة للنيل من خصمه اللدود ، وسماها « خلع الرسن ، في وصف القاضي أبي الحسن » .

ظل القاضي النباهي وابن زمرك على عزمهما بسحق غريمهما ابن الخطيب ، فبعد احراق كتبه العقائدية ، عهد النباهي الى قضاة غرناطة باستصدار حكم الشرع في جريمة الاحاد ، وهو الاعدام ، وحصل من السلطان على مصادقة بهذا

(10) المقرئ في « أزهار الرياض » ج I ص 212 - 224 ، حيث أورد المؤلف الرسالة كاملة.

الحكم ، وبعث القاضي أبو الحسن بنوابه الى السلطان عبد العزيز وبأيديهم هذا الحكم ، فقابل السلطان رسل غرناطة بالاستنكار ، وخاطبهم قائلا : « هلا أنفذتم فيه حكم الشرع وهو عندكم ، وأنتم عالمون بما كان عليه !!! » وبالغ في اكرام ابن الخطيب ، وأضفى عليه مزيداً من عنايته .

وتجدر الاشارة هنا الى أن ابن الخطيب قد لاحظ وقتئذ قوة المغرب في عهد صديقه السلطان عبد العزيز ، ومبلغ العداء بين فاس وغرناطة وقد بلغ أوجه ، فحرض السلطان على ضم غرناطة لمملكته ، وقد رمى من وراء ذلك الى سحق أعدائه هناك ، وتأمين مقامه بالمغرب ، وما يتبع ذلك من حماية مصالحه .

ويظهر أن هذه السياسة قد لاقت قبولا عند السلطان عبد العزيز ، فصمم على تنفيذها ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : « ثم تأكدت العداوة بينه ( ابن الخطيب ) وبين ابن الأحمر ، فرغب السلطان عبد العزيز في ملك الأندلس وحمله عليه ، وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان الى المغرب (II) » ، وبلغت ابن الأحمر رغبة ملك المغرب هذه ، فتخوف لذلك كثيراً ، وأسرع الى ايفاد رسله بالهدايا والتحف الثمينة الى بلاط فاس ، آملاً في نيل رضا السلطان عبد العزيز ، واتقاء شره . ثم تفاجيء الظروف الموقف ، فيموت السلطان عبد العزيز بعدئذ بقليل ، ويجلس على عرش المغرب ابنه « أبو زيان محمد السعيد » طفلاً في الرابعة من عمره ، في ربيع الآخر 774 = 1372 م ، وقبض على زمام السلطة الفعلية وزيره « أبو بكر بن غازي » ، فتغيرت الأوضاع السياسية بالمغرب تماماً ، واضطر ابن الخطيب حينئذ أن يتزلف الى الملك الطفل ووزيره ، فألف كتابه المعروف باسم « أعمال الأعلام » ، فيمن بويح قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، وفيه يبرر هذا الوضع الجديد شرعاً ، وعرفاً وتاريخاً ، وأورد لذلك الأشباه والنظائر ، رداً على المناهضين بالمغرب ، وخاصة بنى الأحمر وعملائهم .

(II) ابن خلدون في « العبر » ج 7 ص 338 - 341 .

وفى هذه الأثناء قام السلطان ابن الأحمر بمحاولة أخرى للايقاع بابن الخطيب ، وذلك بأن أوعز الى الوزير « ابن غازى » أن يبعث اليه بابن الخطيب ، فامتنع ابن غازى ، وتوترت العلاقات مرة أخرى ، بين غرناطة وفاس ، الأمر الذى جعل ابن الأحمر يوغر صدور هؤلاء الأمراء المرينيين ضد النظام القائم فى فاس ، وبذل فى سبيل القضاء على هذا النظام مساعدات ضخمة ، كما أقنع من اتصل بهم من حكام الأقاليم - وخاصة حاكم سبتة أبا محمد بن عثمان - بأن من الأفضل للمغرب أن يكون الملك رجلاً راشداً ، لا طفلاً صغيراً ، لا يدرك شيئاً ، واتفق معه على تنصيب الأمير المرينى أبى العباس أحمد بن أبى سالم ملكاً على المغرب ، وأنه - أى محمد بن عثمان - سيكون الوزير مستقبلاً ، وأعطاه المزيد من المساعدات الهائلة لتنفيذ هذا الاتفاق ، على أن يحقق هذا الوزير لابن الأحمر ثلاثة مطالب ، بعد نجاح الخطة ، وهى :

( 1 ) تسليم ابن الخطيب .

( 2 ) تسليم الأمراء المناهضين لابن الأحمر .

( 3 ) تسليم جبل طارق .

ووقعت بعض الحوادث بالمغرب ، وتمخضت عنها ثورة قاضية ، أدت الى حدوث الانقلاب المنشود لابن الأحمر ، ونودى حينئذ بالأمير أحمد بن السلطان أبى سالم والياً على المغرب ( 776 هـ = 1374 م ) .

وهنا أسرع السلطان الجديد بالقبض على ابن الخطيب ، وسجنه ، وبذلك تهيأت الفرصة لوضع نهاية الوزير المنكود ؛ فقد كان الوزير الجديد ببلاط فاس سليمان بن داود من ألد خصوم ابن الخطيب ، ومن جهة أخرى فقد أرسل سلطان غرناطة سفيره ووزيره عبد الله بن زمرك الى فاس ليشهد آخر فصل فى هذه الرواية ، وليدق آخر مسمار فى نعش ابن الخطيب ، وبوصول ابن زمرك عقد السلطان أحمد مجلساً من مستشاريه وكبار رجال الدولة ، ونوقش ابن الخطيب أمام هذا المجلس ، حول كافة الادعاءات المقامة ضده ، وبالأخص دعوى الإلحاد ، تلك الدعوى التى صاغها القاضى النباهى من قبل ، وكان مجلساً

صورياً بطبيعة الحال ؛ فان نتيجة المحاكمة كانت مقررة ، ومتفقاً عليها من قبل ،  
في كل من غرناطة وفاس .

لقد أودى ابن الخطيب أمام شهود هذه المؤامرة ، وأفتى الفقهاء  
المتعصبون باعدامه شرعاً ، فأعيد الى سجنه حيث دبر الوزير سليمان بن داود  
أمر قتله في السجن ، وفعلاً بعث اليه ببعض الأشرار الذين قتلوه خنقاً أواخر  
عام 776 هـ = 1375 م ، وفي الصباح سحبت جثته الى الفضاء ، حيث تم حرقها ،  
ودفن بضاحية فاس (I2) .

ويروى المقرئ أنه تمكن مؤخراً من معرفة قبر ابن الخطيب ، وذلك  
خلال اقامته بفاس ، أوائل القرن الحادى عشر الهجرى ( القرن السابع عشر  
الميلادى ) ، فزاره مراراً حيث يرقد ، وفي هذا يقول : « وقد زرته مراراً - رحمه  
الله تعالى - بفاس المحروسة ، فوق باب المدينة الذى يقال له : باب الشريعة ،  
وهو يسمى الآن « باب المحروق » ، وشاهدت موضع دفنه غير مستو مع الأرض ،  
بل ينزل اليه بانحدار كثير (I3) » .

رحم الله ابن الخطيب كفاء ما زود التاريخ من ذخائر ، وأهدى العلوم  
والمعارف من نفائس .

(I2) ابن خلدون « العبر » ، ج 7 ص 341 - 342 .

(I3) المقرئ « نفع الطيب » ، ج 7 ص 83 .

## ابن الخطيب في نظر بعض المؤرخين والمستشرقين

قضى الوزير الفذ ، والمفكر العظيم ، والمؤرخ الكبير ، والموسوعة العلمية ، على هذا النحو ، ضحية الأحقاد والأضغان ، وبالرغم مما أثير حول الرجل إبان محنته من موجة عارمة بالسخط ، فان هذه الموجة لم يطل أمدها ، اذ كانت مغرضة عارية من ثوب الحقيقة ، يدل على هذا ما رأيناه من المؤرخين القدامى ، الذين انبرت أقلامهم لانصافه ، واحلاله المكانة اللائقة به بين رجال التاريخ . ونخص من المؤرخين أولئك الذين قربوا من عهده ؛ فابن خلدون صديقه القديم يسجل أولاً أنه « هو الهالك لهذا العهد ، شهيداً بسعاية أعدائه (I4) ، » ثم يورد - في مقام آخر - أنه « شاعر الأندلس والمغرب في عصره » ، كما يشهد له في ميدان الشعر والنثر بقوله : « وامتلاً حوض السلطان من نظمه ونثره ، مع انتقاء الجيد منه ، وبلغ في الشعر والترسل ، حيث لا يجارى فيهما ، وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بنى الأحمر ، وملأ الدولة بمدايحه ، وانتشرت في الآفاق قدماءه » ، ويتحدث ابن خلدون كذلك عن رسائل ابن الخطيب السلطانية بقوله : « وصدرت عنه غرائب من الترسل في مكاتبة جيرانهم ( ملوك بنى الأحمر ) من ملوك العدو » .

وحقا لقد خلف ابن الخطيب من هذه الرسائل روائح ، تعد نموذجاً رفيعاً ، لما بلغه قلم الرجل من شأو في فن النثر الوزاري السياسي خاصة ،

(I4) المقرئ « أزهار الرياض » ج I ص 191 .

سواء - من هذه الرسائل - ما بعث به على لسان سلطانه الى ملوك المغرب أو ملوك النصارى ، أو سلاطين مصر ؛ فبين أيدينا الكثير الحجم ، ويعتبر كتابه « ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب » مجلداً ضخماً لألوان نثر ابن الخطيب المختلفة ، ما بين أغراض سلطانية ، الى رسائل اخوانية ، الى أوصاف حربية لمعارك دارت رحاها على أيامه .

أما المقرئ فقد جمع في مؤلفه « نفع الطيب » معظم آثار ابن الخطيب . وما كان له من أخبار في الفترة التي عاشها بالأندلس والمغرب ، ويكاد يكون معظم هذا السفر الضخم وفقاً على ابن الخطيب ، حتى أنه قرن اسم الكتاب به . وقد أشاد المقرئ في أكثر من موضع - من كتابه هذا - بوزيرنا ، فيقول عنه مثلاً : « اذ هو فارس النظم والنثر في ذلك العصر ، والمنفرد بالسبق في تلك الميادين بأداة الحصر (I5) » .

وفي مجال العلوم والآداب بألوانها هو « امام هذه الفنون ، المحقق لذوى الآمال والظنون ، المستخرج من بحار البلاغة درها المكنون ، وله اليد الطولى في العلوم على اختلاف أجناسها ، والألفاظ الرائعة التي تزيح وحشة الأنفس بايناسها (I6) » .

وبالجمل ، فالمقرئ يرى أن ابن الخطيب « قد قصرت ألسن البلغاء عن علاه ، وزانت صدور الدواوين حلاه ، وجمع خلاصا حسانا ، وكان للدين لسانا (I7) » .

أما الأمير « أبو الوليد اسماعيل ابن الأحمر » ، معاصر ابن الخطيب ، فيسجل في كتابه « نثر فرائد الجمان » ، فيمن ضمنى وياهم الزمان « مواهب

---

I5 « المصدر السابق ج I ص 77 .

I6 المقرئ « نفع الطيب » ج I ص IIO .

I7 المقرئ « نفع الطيب » ج I ص III .



هذا الوزير وعبقرياته ، فيقول : « هو شاعر الدنيا ، وعلم الفرد والثنيا ، وكاتب العَرَض الى يوم العَرَض ، لا يُدافع مدحه في الكتب ، ولا يُجرح فيه الى العتب ، آخر من تقدم في الماضي ، وسيف مقولة ليس بالكهام ؛ اذ هو الماضي ، والا فانظر كلام الكتاب الأول من العُصبة ، كيف كان فيهم بالافادة صاحب القصة ، للبراعة ، بالبراعة ، وبه أسكت صائلهم ، وما حمدت بكرهم وأصائلهم ، المشربة بالحلاوة ، الممكنة من مفاصل الطلاوة ، وهو نفيس العدوتين ، ورئيس الدولتين ، بالاطلاع على العلوم العقلية ، والامتاع بالفهوم العقلية (18) » .

كذلك يبدي النقاد الأجانب اعجابهم وتقديرهم لابن الخطيب ، وينوّهون في كثير من المناسبات بمنزلة الرجل العلمية والأدبية ، وما زالت آثاره محل دراستهم المستفيضة ، معينا لا يغيض ، ومنهلا بالمعارف يفيض .

وفى طليعة هؤلاء النقاد الأجانب المستشرق الأسباني ( سيمونيت Simonet ) حيث يقول : « ان ابن الخطيب قد خلّف لنا آثاراً كثيرة ، فى النثر والشعر ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والرحلات ، والبلاغة ، والشريعة ، والعلوم ، والأخلاق ، والدين ، والنبات ، والطب والبيطرة ، والموسيقى ، والفن الحربى ، والسياسة ، وكلها غنية فى الابتكار والتعمق والرشاقة (19) » .

وبهذه المناسبة نذكر أن المستشرق « سيمونيت » تناول بالتحقيق والترجمة المدن الأندلسية التى وصفها ابن الخطيب فى كتابه « معيار الاختيار ، فى ذكر المعاهد والديار » موضوع هذا الكتاب - كما أسلفنا فى المقدمة - على نحو ما سنفصل القول عنه فى الباب الثالث ، عند حديثنا عن قيمة مؤلفه هذا من الناحيتين التاريخية والأدبية .

(18) المقرئ « أزهار الرياض ، فى أخبار القاضى عياض » ج I ص 191 .

F. J. Simonet. Discrpcion Del Rieno de Granada, Sacada Del Los Autores Árabigos. (19)

هذا ، ويكفينا في هذا العرض الموجز للتعريف بابن الخطيب أن  
تقتصر على آراء هؤلاء المؤرخين وبعض المستشرقين كشهادة صادقة للرجل الذي  
دخل دخل التاريخ من أوسع أبوابه ، وإن هذه الشهادة من أمثال هؤلاء لفي غنى  
منا عن التعليق ، فقد استقاها أصحابها من واقع مؤلفاته العديدة ، أبلغ حجة ،  
وأوضح بيان ، وأقوى برهان ، على مدى ما بلغه ابن الخطيب من شهرة سمت  
الى الأوج ، لما تمتع به من عقلية فذة ذات آراء نافذة .



# الفصلُ الثاني

تراثه الفكري



## آثار ابن الخطيب

مؤلفات الوزير العبقري الغرناطي ابن الخطيب متعددة الفنون ، ما بين شعر ونثر ، وتاريخ ، وطب ، وموسيقى ، وسياسة ، وغيرها ، وهي - على وجه التقريب - تربو على الخمسين مؤلفاً ، ففي الترجمة التي عقدها ابن الخطيب لنفسه في آخر كتابه « **الاحاطة في أخبار غرناطة** » أورد أسماء مؤلفاته ، بيد أن قدراً هاماً من هذه المؤلفات قد أعدم قبله ، على يد الوزير ابن زمرك والقاضي النباهي بقرناطة ، عام 773 هـ ( 1371 م ) ، ومعظم هذه الكتب تتعلق بعلوم الأخلاق والعقائد ، أما مؤلفاته التي بين أيدينا الآن فهي القسم الأدبي والتاريخي في الغالب ، وقد حاول كثير من المؤرخين والمستشرقين حصر هذه المؤلفات في فهارسهم ، ولكن حياة ابن الخطيب السياسية ، والتقلبات التي تعرض لها جعلت هؤلاء المستشرقين أو المؤرخين لا يفرقون بين ما ألّفه الرجل في المغرب ، وبين ما ألّفه في الأندلس . ويرى « ليفي بروفنسال » أن مؤلفات لسان الدين قد بلغت حوالي ستين كتاباً ، ولكن لم يبق منها الا الثلث تقريباً .

هذا ، وإن كتب ابن الخطيب - سواء منها ما هو مخطوط لم يحقق بعد ، أم ما حقق ونشر - لتحتل مركزاً ممتازاً بين المصادر التاريخية المعتمدة ، لاسيما منها ما يتناول هذا الجزء من الغرب الاسلامي في المغرب والأندلس ، فقد أنارت السبيل أمام المؤرخين والعلماء ، ويسرت لهم بحوثهم عن هذه البقاع ، لقلّة المصادر الأخرى المعاصرة ، ولأن ابن الخطيب قد عاش هذه الحقبة من القرن الثامن الهجري ( الرابع عشر الميلادي ) .

ونزيد فنقول : إن هذه المؤلفات العديدة - بصفة عامة - ما تزال تحظى بالتقدير والبحث منذ عصر وزيرنا حتى الآن ، لا عند العرب فقط ، بل وعند غيرهم أيضاً ، فذخائر ابن الخطيب تراث مشاع ، يدرسه المستشرقون على اختلاف أجناسهم ، ويجلون كنوزه ، ويبرزونها الى الفكر الانساني في العالم ، ليشهد طلاب الأدب والمعرفة ما تمخضت عنه عقلية الرجل الواسعة ، مما تحويه المكتبات العربية والأجنبية منها .

ويجدر بنا أن نعرض هنا موجزاً لأهم آثار ابن الخطيب مما ينسب إليه تأليفه ، سواء أكان موجوداً أم مفقوداً ، وسواء أكان مخطوطاً أم تم تحقيقه ونشره ، والذي لا أعتقد أنه بيان شامل لكل مؤلفاته ، فقد يتسنى لباحث آخر أن يعثر على مؤلفات أخرى له زيادة عما أعرض منها مما فاتني تحصيله ( I ) :

#### I - « الاحاطة في أخبار غرناطة » . ( تاريخ وتراجم )

من أشهر مؤلفات ابن الخطيب ، توجد له نسخ في كل من القاهرة ( الأزهر ودار الكتب ) وتونس ، والرباط ، ومدريد ، والاسكوريال ، وعنوان الكتاب ينبئ عن موضوعه ، فقد تناول فيه أخبار هذه المدينة الشهيرة ، تاريخياً وجغرافياً وسياسياً واجتماعياً وأديبياً ، منذ الفتح العربي لاسبانيا حتى عصر المؤلف ( دولة بني الأحمر ) ، منتهياً منه إلى عهد السلطان الغني بالله محمد

(20) هذا القدر من مؤلفات ابن الخطيب اعتمدنا في ايراده على المصادر التالية :

أ - نفع الطيب ، للمقرئ ، ج 4 ص 653 - 657 .

ب - أزهار الرياض ، للمقرئ ، ج I ص 189 - 190 .

ج - فهرس بروكلمان C. BROCKELMAN : Geschichte der Arabischen

Li teratur : (1948) 13. 11. p. 339 .

د - فهرس العزيزي CASIRI : Bibliotheca Arabi eo-Hispana Escorialensis

هـ - فهرس ديرنبور H. DIRENBORG : Les Manuscrite Arabes de l'Escorial

و - فهرس بروجي F. PONS BROYES : Ensayo bio - Bibliografico sobre los Historiadores y , V. I. & V. III.

Geografas Arabigo - Espanales ( Madrid 1898 ) P. 334 - 347 .

و - ابن الخطيب من خلال كتبه - للأستاذ التطواني ( جزءان ) المغرب 1948 .

الخامس ثامن ملوك بنى نصر ، حيث وزر له مرتين ، ويتألف هذا الكتاب من خمسة عشر سفرأ ، وهي فى مجموعها قسمان ، كما جاء بنهاية المقدمة :

( I ) « القسم الأول فى حلى المعاهد والأماكن والمنازل والمساكن » ، وهو الخاص بالعاصمة « غرناطة » ، ويشغل هذا القسم عشرين لوحة ( أربعين صفحة ) .

( 2 ) « القسم الثانى فى حلى الزائر والقاطن ، والمتحرك والساكن » ، وهو لب الكتاب ، ففيه تراجم الملوك والوزراء والقواد والعلماء والأدباء ، ومن إلى هؤلاء ، ملتزماً فى هذا الترتيب الأبجدي لا التاريخي . ويرجع تأليف ابن الخطيب للاحاطة إلى ما قبيل عام 760 هـ ، ولكنه لم يفرغ منه إلا فى أواسط عام 765 هـ ، فى نهاية ترجمته لنفسه يحدثنا عن فراغه من « الاحاطة » بقوله : « والحال إلى هذا العهد ، وهو منتصف عام خمسة وستين وسبعمائة ، على ما ذكرته » . هذا ، وتوجد من الاحاطة نسخة مطبوعة فى جزأين (القاهرة 1319 هـ) ، ثم حقق الأستاذ عبد الله عنان الجزء الأول منها ، بتحقيق جديد ، ضمن مجموعة ( ذخائر العرب 17 ) نشر دار المعارف بالقاهرة عام 1955 م .

2 - « الاماطة عن وجه الاحاطة ، فيما أمكن من تاريخ غرناطة » .  
( تاريخ )

ورد ذكر هذا المؤلف فى كتاب ابن الخطيب ( اللوحة البدرية ) ، وربما كان مختصراً لكتابة ( الاحاطة ) ، على أنه لم يرد اسمه ضمن كتبه التى ذكرها فى هذه الاحاطة .

3 - « مركز الاحاطة ، فى أدباء غرناطة » .

مؤلف أورده المستشرقون فى فهرسهم ، ويعتقد أنه تكلمة لتراجم الاحاطة .

4 - « ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب » .  
( ألوان أدبية وسياسية )

عبارة عن مقتبسات من مؤلفاته الأخرى ، مثل بستان الدول ، ورقم

الحلل ، وغيرهما ، وتوجد لهذا المؤلف الضخم أكثر من مخطوطة ، في كل من الرباط والقاهرة ومدريد والفايكان ، بيد أن نسخاً كاملة منه موجودة في الخزانة العامة بالرباط ، بالإضافة الى أخرى بمكتبة مدريد الوطنية .

5 - « أعمال الاعلام ، في من بويغ قبل الاحتلام ، من ملوك الاسلام ، وما يجز ذلك من الكلام » .

( تاريخ )

وهو مؤلف في التاريخ الاسلامي ، يقع في جزأين ، أولهما خاص بالشرق الاسلامي ، وثانيهما خاص بتاريخ الأندلس ، ولاسيما ملوك الطوائف ، وبنى نصر ، وملوك النصارى ، وذلك على سبيل الايجاز . . . . ، وقد أشار المؤلف في مقدمته الى أن هذا الكتاب هو آخر مؤلّف له ، فقد وضعه في الفترة الأخيرة من حياته وقبيل مقتله بالمغرب ، استجابة للظروف التي كان يجتازها حينئذ ، ثم انقلب الوضع بعدها ، وكانت نهايته على نحو ما سبق تبيانه .

توجد للكتاب نسخة في مدريد ، نقلا عن نسخة الجزائر ، وقد حقق الجزء الأول منه والخاص بتاريخ الأندلس - الأستاذ ليفي بروئنسال سنة 1934م وحقق الجزء الثاني منه الدكتور العبادي والأستاذ محمد ابراهيم الكتاني - وهو الخاص بتاريخ المغرب ، العصر الوسيط - ( دار الكتاب بالمغرب عام 1967 م ) .

6 - « الكتيبة الكامنة ، في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة » .

( تراجم )

هذا الكتاب عبارة عن تراجم لطائفة من الأدباء والعلماء والكتاب المعاصرين للمؤلف ، متضمناً نماذج من آثارهم شعراً ونثراً ، ويقع المؤلف في ست وثمانين لوحة بمكتبة مدريد الوطنية ، وهي نسخة من مخطوطة الجزائر ، وقد حقق هذا الكتاب الدكتور إحسان عباس سنة 1963 م ، ( دار الثقافة ببيروت - المكتبة الأندلسية 8 ) ، وأثبت لنا أن ابن الخطيب كان يحرق الكتيبة في جمادى الآخرة 774 هـ ، معتمداً في ذلك على قول المؤلف نفسه في ( الورقة 85 ب ) : « . . . وكل من ذكر الى هذا الحد من المشايخ والأتراب ، فقد تسابقوا تسابق الغراب الى التراب . . . ومن يجري ذكره بعد هذا فهم بقيد الحياة لتمام جمادى الآخرة عام أربعة وسبعين وسبعمئة » ، كذلك استنتج المحقق



من دراسته الدقيقة لمقدمة هذا الكتاب أن ابن الخطيب ألفه في سن عالية بعد أن نفّض عن كاهله غبار السياسة ، مستدلاً بقول ابن الخطيب في المقدمة « . . . واستوعبت من صحبة المغرب حصتي ، وختمت بالدعاء قصتي ، ونزلت عن منصتي ، وابتلعت غصتي (21) » .

7 - « اللوحة البدرية ، في الدولة النصرية » .  
( تاريخ )

مؤلف تاريخي موجز ، يدور حول أخبار ملوك بني الأحمر ، منذ قيام دولتهم حتى عام 765 هـ . . . ، والكتاب مطبوع في القاهرة عام 1947 م .

8 - « رقم الحلل ، في نظم الدول » .  
( شعر )

نظم شعري في ألف بيت ، يتناول فيه المؤلف تاريخ الدولة الإسلامية بالشرق والأندلس ، مديلاً كل قصيدة بشرح لها ، ويقع المؤلف في مجلد واحد ، طبع بتونس عام 1316 هـ .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب هو نفسه « الحلل المرقومة » ، تبعاً لما جاء في نسخة مكتبة مدريد الوطنية ، والتي نسخت عن مخطوطة الاسكوريال ( رقم 1776 ) .

9 - « مفاخرة بين مالقة وسلا »  
( اجتماعيات )

10 - « خطرة الطيف ، في رحلة الشتاء والصيف »  
( تاريخ لرحلة ملكية )

---

(21) راجع : ( الكتيبة الكامنة ) لابن الخطيب ، تحقيق الدكتور احسان عباس ص 13 - 15 وهذا يخالف ما ارتآه الأستاذ محمد عبد الله عنان في مقدمة « الاحاطة » من أن « الكتيبة » قد ألفها ابن الخطيب في باكورة حياته ، ونحن نميل إلى الأول .

## 11 - « نفاضة الجراب ، فى علالة الاغتراب »

( تاريخ مغربى )

يقع هذا الكتاب فى ثلاثة أجزاء ، أولها ما زال مفقوداً ، وقد نشر الدكتور العبادى الجزء الثانى منه بمعرفة دار الكتاب العربى بالقاهرة 1968 م . أما الجزء الثالث فقد عثر عليه الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور مؤخراً .

## I2 - « معيار الاختيار ، فى ذكر المعاهد والديار » .

( الذى هو بين أيدينا الآن ) .

## I3 - « مقنعة السائل ، عن المرض الهائل » .

( طب )

عبارة عن رسالة وصف فيها ابن الخطيب الوباء الكبير ، الذى اجتاح الأندلس وحوض البحر الأبيض المتوسط ، عام 749 هـ ( 1348 م ) ، وسقط فيه جمهرة من اعيان الأندلس والمغرب وعلمائهما ، وقد نشرت هذه الرسالة مع ترجمتها للألمانية بمعرفة مجلة أكاديمية العلوم البافارية ( 1863 م ) .

## I4 - « الاشارة الى أدب الوزارة »

( سياسة )

مؤلف تحدث فيه لسان الدين عن واجبات الوزير ، وما ينبغى توافره من الشروط فيمن يتقلد هذا المنصب ، وبالكتاب مقامة «السياسة» ، والكل ما زال مخطوطا بالأسكوريال ، وذلك ضمن المخطوطة (554) ، وقد فرغت من تحقيقه، مردفا به « مقامة السياسة » لنفس المؤلف . وسيظهر ذلك قريباً .

## I5 - « عمل من طب لمن حب » .

( طب )

مؤلف طبي كبير ، تكلم فيه المؤلف عن الأمراض المختلفة ، وشخصّ الاصابات ، كما شرح وسائل الوقاية ، وسبل العلاج ، والكتاب مهدى من ابن

الخطيب الى السلطان أبي سالم المريني ، فقد أَلّفه من أجله عام 761 هـ ، وهو مخطوط توجد منه نسخة بمدريد ، ويقع في I5I لوحة من الحجم الكبير .

I6 - « المسائل الطبية » .

I7 - « اليوسفى فى الطب » .

I8 - « رجز الأغذية » .

I9 - « رسالة تكوين الجنين » .

20 - « الرجز فى عمل الترياق » .

21 - « الوصول لحفظ الصحة فى الفصول » .

22 - « رجز فى الطب » .

23 - « البيطرة والبيززة » .

وكلها رسائل طبية ( I6 - 23 ) ، ألفها ابن الخطيب فى مناسبات شتى ، وأورد ذكرها فى كتابه الاحاطة ، كما أشار الى معظمها المقرئ فى مؤلفئه نفع الطيب ، وأزهار الرياض .

24 - « عائد الصلة » .

( تراجم )

يحتوى على تراجم لطائفة من الأعلام ، ممن لم يرد لهم ذكر فى كتاب « الصلة » لابن الزبير .

25 - « خلع الرسن ، فى وصف القاضي أبي الحسن » .

( رسالة شخصية )

فى وصف القاضي أبي الحسن ، هذه رسالة كتبها ابن الخطيب ، جواباً عن الرسالة التى وجهها إليه هذا القاضي النباهى ، إثر مغادرة الأول للأندلس نهائياً ، والتجائه الى المغرب دون علم سلطان غرناطة يومئذ ( الغنى بالله محمد الخامس ) .

26 - « التاج المحلى فى مساجلة القدح المحلى » .

( تراجم وتاريخ )

وهو عبارة عن تراجم لأعيان الأندلس فى القرن الهجرى ، وتنويه بمملكة بنى الأحمر منذ نشأتها حتى عصر المؤلف ، وقد اعتمد المقرئ على هذا الكتاب فى كثير من التراجم التى أوردتها فى كتابه « نفح الطيب » ، ويوجد للتاج المحلى نسخة مخطوطة ضمن مخطوط كبير بالاسكوريال ( 554 الغزيرى ) .

27 - « بستان الدول » .

( تاريخ سياسى )

كتاب سياسى شامل ، تحدث فيه المؤلف عن القضاء ، والحرب ، والصناعة وأهلها ، وطبقات الشعب ، وأفرد لكل شجرة ، بحيث ألف من المجموع هذا « البستان » ، ويبدو أن الظروف لم توات ابن الخطيب حتى يكمله .

28 - « السحر والشعر » .

( أدب )

مجموعة مختارة من شعر المشاركة والمغاربة ، فيما يتعلق منها بالوصايا والمواعظ ، اختارها ابن الخطيب لولده عبد الله حيث أهداه اليه يافعاً ، والكتاب ما زال مخطوطاً فى كل من مدريد والرباط ( المكتبة الكتانية ) ، وهو لدى الآن تحت التحقيق والدراسة .

29 - « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » .

( وناثق تاريخية )

مؤلف تاريخى ، يضم مجموعة من الرسائل السياسية ، بعث بها ابن الخطيب على لسان السلطان أبى الحجاج يوسف الأول ، الى معاصره السلطان أبى عنان فارس المرينى ، فيما عدا وثيقة عقد زواج نصرى ، صدر بها كتابه هذا تلو المقدمة ، وقد قمت بتحقيق هذا المؤلف ، من نسخة يتيمة بالاسكوريال برقم ( 1712 الغزيرى ) وتقع فى ستين لوحة ، ونشرته دار الكتاب العربى بالقاهرة سنة 1968 م .

30 - « أوصاف الناس في التواريخ والصلات » .

( تراجم )

كتاب يشتمل على تراجم أدبية تاريخية ، توجد له مخطوطة جيدة للغاية بمكتبة الاسكوريال بمدريد ، قمت بتصويرها ، وقد فرغت الآن من تحقيقه ، وسيظهر قريباً .

31 - « تافه من جمّ ، ونقطة من يمّ » .

( شعر )

مصنف من أشعار أستاذ ابن الخطيب الرئيس أبي الحسن علي ابن الجيّاب .

32 - « الدرر الفاخرة ، واللجج الزاخرة » .

( شعر )

مختارات من شعر صديقه وأستاذه أبي جعفر بن صفوان .

33 - « جيش التوشيح » .

( موشحات )

مجموعة من الموشحات الأندلسية ، جمعها ابن الخطيب في كتاب أسماه بهذا الاسم ، ونسبها لأصحابها من أئمة التوشيح في الأندلس ، وقد نشر في تونس 1967 م .

34 - « روضة التعريف بالحب الشريف » .

( تصوف )

مؤلف في التصوف ، يعزو المؤرخون الى هذا الكتاب أنه كان وثيقة الاتهام بالالحاد والزندقة ضد ابن الخطيب ، حسبما أملت الأهواء على من صاغوا صك الاتهام للرجل ، حتى سيق إلى الموت من أجله ، وتوجد من الكتاب نسخة مخطوطة بالرباط ، بيد أنها ناقصة ومشوهة (22) .

---

(22) لقد عثر الأستاذ عبد القادر أحمد عطا على نسخة مخطوطة لهذا الكتاب بالمدينة المنورة ، بمكتبة الشيخ عارف حكمت ، ولما كانت النسخة في درجة جيدة فقد اتخذها أساساً لتحقيق الكتاب ، مسترشداً معها بنسخة أخرى عثر عليها بمكتبة الظاهرية بدمشق ، الى جانب نسخة أسعد أفندي بتركيا المصورة بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية . وقد نشر المحقق « روضة التعريف » بمعرفة دار الفكر العربي بالقاهرة عام 1968 م .

35 - « استنزال اللطف الموجود ، فى سير الوجود » .  
( تصوف ) .

36 - « فتات الخوان وسقط الصوان » .  
( رسالة شعرية ) .

37 - « المختصر فى الطريقة الفقهية » .  
( دين ) .

38 - « مثل الطريقة ، فى ذم الوثيقة » .  
( رسالة شخصية )

39 - « الألفية فى أصول الفقه » .  
( رسالة دينية شعرية فى ألف بيت ) .

40 - « النفاية بعد الكفاية » .  
( رسالة أدبية ) .

41 - « كتاب المحبة » .  
( اجتماع ) .

42 - « المنح الغريب ، فى الفتح القريب » .  
( أدب ) .

43 - « تلخيص الذهب ، فى اختيار عيون الكتب » .  
( أدب ) .

44 - « مساجلة البيان » .  
( تراجم أدبية ) .

45 - « المباخر الطيبة ، فى المفاخر الخطيبة » .  
( أدب ) .

هذه المؤلفات ( 35 - 45 ) وردت فى فهرس المستشرقين ، كما أشار

إليها بعض المؤرخين القدامى .

46 - « رسائل فى الموسيقى » .

47 - « رسائل في الفلسفة » .

48 - « رسائل في الفقه » .

وهذه رسائل أخرى متفرقة ، ذكرتها الفهارس أيضاً ، ولم يصل إلينا منها شيء .

49 - « الصيِّب والجَهَام ، والماضي والكهَام » .

( شعر )

وهو عبارة عن « الديوان » الذي نسبه إليه حاجي خليفة ، في كتابه « كشف الظنون » ، وتوجد للكتاب - بهذا العنوان - نسخة مخطوطة في مكتبة القرويين بفاس . وقد حقق أخيراً بالجزائر ، وتم طبعه .

50 - « ظلّ الغمام ، المقتضب من الصيِّب والجَهَام » .

( شعر )

وهو مختصر لديوانه السابق ، لم يعثر عليه بعد ، ولكن ورد ذكره ضمن مؤلفاته في الاحاطة .

51 - « طرفة العصر ، في أخبار دولة بني نصر »

( تاريخ )





# الفصل الثالث

---

عرض وتحليل لمعيار الاختيار



## موضوع الكتاب

ذكر الوزير ابن الخطيب في آخر كتابه « الاحاطة » أسماء مؤلفاته اجمالا ، وأورد من بينها مؤلفه «معيار الاختيار، في ذكر المعاهد والديار» على أنه مؤلف قائم بنفسه ، ثم أوردته في باب « المقامات » من مؤلفه الضخم « ريحانة الكتاب ، وتحفة المنتاب » والذي يشتمل على أكثر من غرض ولون أدبي تاريخي .

والمعيار الذي نتعرض لدراسته عبارة عن وصف شامل لأهم مدن مملكة غرناطة ، وأهم مدن المغرب ، تناول فيه ابن الخطيب النواحي الجغرافية والتاريخية والاجتماعية لمعظم المدن التي أوردتها .

لقد بدأ أول ما بدأ بجبل الفتح ( جبل طارق ) ، وهو يومئذ ضمن مملكة بنى مرين المغربية ، وكان طبيعيا أن يبدأ الوصف بالجبل ، فهو كما يقول المؤلف : « فاتحة الكتاب من مصحف ذلك الاقليم ، ولطيفة السميع العليم ، وقصص المهارق ، وأفق البارق ، ومتحف هذا الوطن المباين للارض المفارق » ، والجبل بالنسبة للبلاد الاندلسية « محط طارقتها بالفتح طارق » وله دوره الهام في حماية البلاد الاندلسية حيث أنه « مسلحة من وراءه من العباد ، وثقة القلوب والاكباد » .

أما المدن الاندلسية التي أعقبها الجبل في الوصف ، فهي - حسب الترتيب الذي أوردتها به - كما يلي :

Estepona	1 - اسطبونة
Marabilla	2 - مربلة
Fuenjerola	3 - سهيل
Malaga	4 - مالقة
Velez Malaga	5 - بليش مالقة
Comares	6 - قمارش
Almuncar	7 - المنكب
Salobrana	8 - شلوبانية
Berja	9 - برجة
Dalias	10 - دلاية
Almaria	11 - المرية
Tabernas	12 - طبرنش
Vera	13 - بييرة
Mujacar	14 - مجاقر
Cantoria	15 - قنتورية
Purchena	16 - برشانة
Oria	17 - أورية
Velez Robia	18 - بليش الشقراء
Baza	19 - بسطة
Huescar	20 - اشكر
Andarax	21 - أندرش
Jubles	22 - شبالش
Juadix	23 - وادي آش
Finana	24 - فنيانة
Granada	25 - غرناطة
Alhama	26 - الحمّة
Zalia	27 - صالحّة

Illora e Mouteferio	28 - ألييرة ومننفريرد
Loja	29 - لوشة
Archidona	30 - أرجذونة
Antequera	31 - أنتقيرة
Coin	32 - ذكوان
Cartama	33 - قرطمة
Ronda	34 - رندة

وأما المدن المغربية فهي حسب ترتيب المؤلف أيضا :

- 1 - بادس ، 2 - سبتة ، 3 - طنجة ، 4 قصر كتامة ،
- 5 - أصيلا ، 6 - سلا ، 7 - أنفا ، 8 - أزمو ر ، 9 - تيط ، 10 - رباط
- أسفى ، 11 - مراكش ، 12 - أغمات ، 13 - مكناسة ، 14 - فاس ،
- 15 - مدينة الملك ، 16 أقرسلوين ، 17 - سجلماسة ، 18 - تازة ،
- 19 - غساسة .

وعلى هذا فقد تناول ابن الخطيب أول ما تناول من مدن الاندلس مدينة « اسطبونة » ، وانتهى بمدينة « رندة » ، وهو فى تناوله هذا للمدن لم يراع ترتيبا جغرافيا ولا تاريخيا ، بل ولا أولويا ، فقد كانت مدينة غرناطة مثلا فى المرتبة السادسة بعد العشرين من وصفه ، رغم أنها حاضرة المملكة ، ولها من المبررات ما يجعلها أهلا للمرتبة الأولى من وصفه ، ولكن المؤلف حرر نفسه من كل قيد لتقديم مدينة على أخرى ، أيا كانت دواعى التفضيل ، وكيفما بلغت أهميته .

لقد كان المؤلف يتعرض للمدينة فى وصفه ، فيتناولها من معظم ما يتعلق بها ، اذ يتحدث عن موقعها الجغرافى ومكانتها التاريخية ، وحالة سكانها الاجتماعية ، فيعطينا صورة واضحة - الى حد بعيد - عن كل مدينة تناولها قلمه .

ففى وصفه لموقع مدينة « قمارش » مثلا ، وما للموقع من أهمية ، يقول : انها « مودع الوفر ، ومحط السفر ، ومزاحم الفرقد والغفر ،

حيث الماء المعين ، والقوت المعين » . وأما منتجات البلد من محاصيله ، فقد أشار الى أن « به الاعناب التي راق بها الجناب ، والزياتين واللوز والتين ، والحرث الذي له التمكين » . وفي معرض الوصف الاجتماعي يستدرك ابن الخطيب ، ذاما أهل البلد حين يقول : « الا أنه عدم سهله ، وعظم جهله ، فلا يصلح فيه الا أهله » .

أما اذا ارتأى مدينة حقيقة بمدح أحوالها الاجتماعية فهو لا يقصر في حقها ، فمثلا مدينة « المرية » - على حد قوله « محط التجار ، وكرم النجار ، ورعى الجار . ما شئت من أخلاق معسولة ، وسيوف من الجفون السود مسلولة ، وتكك محلولة ، وحضارة تعبق طيبا ، ووجوه لا تعرف تقطيبا » وهي - الى جانب تلك الرفاهية وذلك التعميم ، واللذة والسرور المقيم - « لم تنزل - مع الظرف - دار نساك ، وخلوة اعتكاف وامسك » ، فهو حريص في الوصف ، دقيق في الاحاطة ، شأن الخبير بالاماكن والبقاع .

نأخذ أيضا مثالا لنهج المؤلف في الاشادة بالاجتماعيات عند الناس ، وطريقته في العرض للحقائق ، وتقصيه لها ، حين يذكر عن مدينة برشانة أن « أهلها أولو عداوة لاخلق البداوة ، وعلى جوههم نضرة وفي أيديهم نداوة . يداوون بالسلافة علل الجلافة ، ويؤثرون علل التخلف على لذة الخلافة ، فأصبح ربعهم ظرفا قد ملئ ظرفا ، فللمجون به سوق ، وللمجون ألف سوق ، تشمر به الاذيال عن سوق ، وهي تبين بعض بيان عن أعيان » ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر لهذه المثالب ، يذكر أن « وغدها ( المدينة ) يتكلم بملء فيه ، وحليمها يشقى بالسفيه ، ومحياها تكمن حية الجور فيه » .

هذا ، وقد ظفرت بعض المدن الاندلسية بعناية خاصة من قلم ابن الخطيب ، كغرناطة ومالقة ، ولا عجب فلكل منهما مركزها الادارى والسياسى ، فالاولى حاضرة ملك بنى الاحمر ، وزهرة المدن الاندلسية ،

ولها على ابن الخطيب أياد لا تنسى ، فكان عليه أن يوفيها حقها ، وأن يعطيها مستحقها ، فيدلها — من وصفه — مكانتها اللائقة ، ولكن هذا لا يمنعه — كمؤرخ صادق — من أن يبرز لنا بعض عيوبها ، سواء في طقسها الشتوي ، وبردها الذي « يمنع الشفاء من رد التحيات » ، أو الاسعار التي « معيارها يشعر بالترهات » ، وجفاف طباع بعض أهلها ، الذي يصل الى درجة « سوء الجوار ، وجفاء الزوار ، ونذالة الديار » ، فهذا المسلك من ابن الخطيب نحو المدن في وصفها يعطينا فكرة عن صدق قلمه ، وتحرره من أى قيد ، فغرناطة — وان كانت مقامه بجوار مخدميه بنى الاحمر ، ومحل سلطانه وجاهه — الا أن ذلك كله لا يمنعه من اعطاء كل ذى حق حقه ، وأنه في هذا لا تأخذه لومة لائم .

لنستمع اليه في شأن العاصمة النصرية ، حين يستهل وصف حمرائها :  
« كرسيتها ظاهر الاشراف ، مطل على الاطراف ، وديوانها مكتوب بآيات الانفال والاعراف » ، وفي معرض موقع المدينة ، يذكر لنا أن « هواءها صاف ، وللانفاس مصاف . حجبت — الجنوب عنها — الجبال ، فأمن الوباء والوبال ، وأصبح ساكنها غير مبال ، وفي جنة من النبال ، وانفسحت للشمال ، واستوفت الشروط على الكمال » ، كما يتحدث مشيدا بنهر شنيل ، وفضله على جنات غرناطة ومروجها ، فيقول « وانحدر منها ( جبل سييرا نيفادا ) مجاج الجليد على الرمال ، وانبسط — بين يديها — المرج ( فحص غرناطة ) الذي نضرة النعيم لا تفارقه ، ومدارى النسيم تفلى بها مفارقه . ربيع من وادية بثعبان ميين ، ان لدغ تلؤل شطه تلهما للجبين ، وولدت حيات المذانب عن الشمال واليمين ، وقلد منها اللبات سلوكا تأتي من الحصباء بكل در ثمين ، وترك الارض مخضرة ، تغير من خضراء السماء خضرة ، والازهار مفتررة ، والحياة الدنيا بزخرفها مغتررة » ، ان هذه الروعة البيانية ، ودقة التعابير البلاغية ، جعلت الصورة تتجسم أمامنا ، حتى لنكاد نلمس منها كل جانب .

ثم يعود المؤلف بنا من مطافه الى الحمراء مرة أخرى ، فيكشف لنا عن منشآتها الرائعة ، وجناتها الساحرة ، وكيف أنها مدرج سلالة بنى نصر ، فيقول : « وتبرجت بحمراؤها القصور مبتسمة عن بيض الشرفات ، سافرة عن صفحات القباب المزخرفات ، تقذف بالانهار — من بعد المرتقى — فيوض بحورها الزرق ، وتناغى أذكار المآذن بأسمارها نغمات الورق . وكم أطلعت من أقمار وأهله ، وربت من ملوك جلة .. »

أما مالقة — عاصمة الحموديين الادارسة — فيتحدث المؤلف — بادیء ذی بدء — عن تاريخها كعاصمة لهؤلاء فيقول : « كرسى ملك عتيق ، ومدرج مسك فتيق ، وايوان أكاسرة ، ومرقب عقاب كاسرة ، ومجلى فانتة حاسرة ، وصفقة غير خاسرة » ، ثم يشيد بشهرتها الصناعية في الفخار والحريز « .. ومذهب فخارها له على الاماكن تبريز ، الى مدينة تبريز ، وحلل ديباجها بالبدايع ذات تطريز » . وبعد أن يصور محاصيلها وفواكهها ، وما اشتهر به قومها من الاسهام بالبر بأوفر نصيب ، في تخليص أسرى المسلمين من أيدي النصارى ، ووفرة أعيانها وعلمائها — يتناول بعدئذ مساوىء المدينة ، فيقول : « وعلى ذلك ، فطينها يشقى به قطينها ، وأزبالها تحيي بها سبالها ، وسروبها يستمد منها مشروبها ، فسحنها متغيرة ، وكواكب أذهانها النيرة متحيرة .. وطعاما لا يقبل الاختزان ، ولا يحفظ الوزان ، وفقيرها لا يفارق الاحزان .. » الى آخر هذه المساوىء التي أوردها عن مدينة مالقة .

وهكذا نرى أن موضوع الكتاب في وصفه للبلاد الاندلسية أو المغربية قد اختط فيه ابن الخطيب موضوعية لا تبارى ، وشمولا في الوصف لمختلف النواحي ، التاريخية ، والجغرافية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، في صورة ناطقة نابضة .



## منهج ابن الخطيب في الكتاب

عندما كتب ابن الخطيب مؤلفه « معيار الاختيار » اختط في التحرير طريقة خاصة ، تختلف عن معظم كتاباته في مؤلفاته الاخرى ، ذلك أنه بدأ بمقدمة معتادة أعقبها بمحاورة ، ثم انتهى الى صميم الموضوع ، فقسّمه الى مجموعتين مستقلتين ، وأدرج كل مجموعة تحت مجلس خاص ، وقصر المجلس الاول على المدن الاندلسية ، ثم أعقبه بالمجلس الثاني فقصره على المدن المغربية . وهكذا بدأ المؤلف كتابه في المجلس الاول ، بما جرت به عادة المؤرخين والمؤلفين المسلمين ، وذلك بحمد الله تعالى ، والثناء عليه بما هو أهله ، والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم ، كل هذا في قالب يتناسب والموضوع الذي يتعرض له ، وهو وصف البلدان .

ثم ثنى بأن الانسان مدنى اجتماعى بطبيعته ، لا يستقيم حاله بدون مجتمع ، وبالتالي لا يقوم المجتمع بدونه ، وأنه - أى الانسان - أحيانا يتخذ سكناه حسبما اتفق ، وأحيانا يكون له ظرف الاختيار ، مرجحا من الامكنة ما غلبت حسناته على سيئاته ، وهذه الامكنة « كثيرا ما تتافر الى حكمها النفر ، وأعمل السفر » ، وأيا كان ، فانه لا توجد مدينة قد كملت من كافة النواحي كما يقول .

وبعدئذ يتحدث المؤلف عن خبر في قالب قصة ، فهناك راو استهواه مكان ما ، فنزل به حتى حل المساء ، وحينئذ أبصر شيئا معه تلميذه وحماره ، وما استقر المقام بذلك الشيخ حتى حن الى صباه ، وضاق بمرارة المشيب ، وقسوة الغربة ، وشعوره بأن نفسه لم تتب بعد ، وأخيرا يسأل الله العفو والغفران ، والقربى من رحمته يوم الحساب ، معتمدا في اجابة سؤاله على شفاعته شيبه ، ثم تدور مناقشة بين الشيخ وفتاه ، وعندها ينبرى الشيخ ، فيحدثنا عن مدى خبراته في أمور شتى

نتيجة علمه وبجته ، وجوبه بلاد العالم ، ووقوفه بأقطار كثيرة للدرس والبحث . وتكون النتيجة أن يتقرب الراوى الى الشيخ ، مطمئنا اياه الى حسن طويته ، وما عليه من خلق يؤهله لان يتشرف بالاستماع الى فيض علمه ، ويسأل الراوى الشيخ ان يصف له بلاد الاندلس ثم بلاد المغرب ، فى دقة وأمانة واخلاص ، فأجابه الشيخ الى طلبه ، وبدأ الراوى بالسؤال عن جبل الفتح (جبل طارق) وهكذا .. حتى انتهى من المدن الاندلسية بمدينة « رندة » . ثم أخبر الشيخ سائله بأن الصبح قد قارب الوجود ، وأنه قد وفاه - فى الوصف - حساب ، ولم يبق الا أن يكافئه على هذه الذخائر حتى يكون له أليفا ورفيقتا ، فينثر الراوى المال بين يدي محدثه فيأخذ منه شاكرا ، وأخيرا يتفقد الراوى الشيخ على ضوء مصباح ، فلا يجد له أثرا ، « فكان الفلك لفه فى مداره ، أو خسفت الارض به وبداره » ، فيتأسى الراوى عن هذا الفراق بأن « لكل اجتماع من خليلين فرقة » .

هكذا ينتهى نهج المؤلف فى « المجلس الاول » من كتابه .

أما فى « المجلس الثانى » فان الراوى يلج أحد الاسواق ، وفى السوق « أمم تنسل من كل حدب ، وتنتدب من كل منتدى ومنتدب » ، فى بيع وشراء ، وتحايل للتعايش والكسب ، بمختلف الوسائل والاعمال ، فهناك « رقاة جنون ، بضروب من القول وفنون ، وفيهم كهل قد استظل بقيطون » ، قد ادعى العلم بالمغيبات ، والتفسير للمشكلات والاحاطة بأسرار الطبيعة ، وشفاء العضال من الامراض ، وفى مجال العلوم قد برع ، ما بين طب ورياضة وتاريخ وجغرافية ، وحديث وتفسير ، ومنثور ومنظور ، ومنطق وبرهان ، فهو قد جاب الاقطار فى الدرس والبحث والمعرفة . وهنا يجد الراوى بغيته ، فقد ذكره ذلك الرجل بالشيخ الاول ، فأراد أن يستكمل

معلوماته عن البلدان ، فاخترق اليه جموعا بشرية من قصاده ، وخاطبه بقوله : « بى الى تعرف البلدان جنوح وجنون ، والجنون فنون » فأجابه الشيخ موافقا ، متحفظا بأنه « لا تجود يد الا بما تجد ، والله المرشد » .

وهنا يسأله الراوى عن البلاد المغربية ، بادئا منها بـ « بادس » ، والشيخ يجيبه بمعلوماته عنها، واحدة تلو الاخرى، حتى ينتهى منها بمدينة « غساسة » ، وعندئذ « وجب اعتناء بالرحيل واهتمام ، وكل شىء الى تمام » كما قال الشيخ ، فقد انفض عن السوق أهله ، ولم يبق الا أن ينثر الراوى دنانيره ، مكافأة طيبة لمحدثه، فيتناول منها ما تستغنى به النفس، وقبل أن يتهى للسير لم ينس - وهو الحكيم المجرب - أن يزود الراوى بنصح منظوم ، فيه مزايا التحلى بالقناعة ، والايمان بالفضاء والقدر ، والتحفظ على السر وكتمانه ، وتحاشى التعثر بالناس ، وتقوى الله تعالى، فالقرب منه رهن بها ، وليست هناك خسارة أفدح من معصية الخالق . وأخيرا نرى الشيخ قد « ضرب جنب الحمار ، واختلط في الغمار » وبقي الراوى يتتبع أثر الشيخ، ولكنه تعزى عن فراقه بأن «كل نظم الى انتشار» بهذا ينهى ابن الخطيب « المجلس الثانى » ، وبانتهاء « المجلس الثانى » ينتهى الكتاب نفسه .

هذا هو المنهج الذى سلكه ابن الخطيب المؤلف فى كتابه « معيار الاختيار » ، وهو منهج - كما رأينا - قصصى ، دار فى غلك نوع خاص من القصة ، وهذا النوع هو الذى عرف من بين فنون النثر العربى باسم « المقامة » ، متخذا من المحاوررة وسيلة لتشويق القارىء والمستمع ، وبخاصة فى صلب الموضوع ، عند وصفه للبلاد .

## قيمة الكتاب الادبية ومدى صلته بفن المقامات في الادب العربي

ذكرنا أن « معيار الاختيار » قد جاء في صورة قصة محدودة ،  
والقصة من أدق الفنون الادبية وأصعبها تركيبا ، وهي تتمتع من بين سائر  
فنون الادب بالذيق والانتشار ، لما تشتمل عليه من استمالة القلوب ،  
وامتناع النفوس ، فالآداب العالمية قد زخرت بهذا اللون الغنى منذ أقدم  
العصور ، ولقد ورثنا عن العرب منذ جاهليتهم ذخيرة نفيسة من القصص ،  
تناولها المشتغلون بالبحث والنقد درسا وتحليلا ، وانقسموا حيالها الى  
فريقين متباينين ، ولكل وجهة ، فبعض المستشرقين في دراستهم للقصة  
العربية يرون مع « كارادى فو » أنه « لم يسبق الادب العربي أى أدب  
آخر في نوع الاقاصيص ، بينما البعض الآخر يرى أن العرب – ابا ن حضارتهم  
– زودوا لغتهم بفلسفة الشعوب وعلومهم ، وتجاهلوا أدب القصة تجاهلا  
يكاد يكون مطلقا ، ومن ثم جهلوا أصول الفن القصصى ، فكانت قصصهم  
تفقد قيمتها الفنية تبعا لذلك .

وانصافا للحق نقول : ان القصص العربي ذو ألوان مختلفة ، وقد حظيت  
بعض هذه الالوان بعناية العرب ، فراعوا في صوغها مقومات القصة ،  
وأسس بنائها ، فجاء هذا اللون منها تحفة فنية ، لها قيمتها وروعتهما ،  
والبعض الآخر من ألوان القصة العربية فقد معظم هذه الاسس ، فكان  
مثارا للنقد ، ومحلا للملاحظة .

والقصص العربي أنواع : أشهرها القصص الدينى ، ومصادره  
التوراة والانجيل والقرآن ، ثم ما جاء على ألسنة الرواة والمحدثين من  
أخبار الاولين وقصصهم ، مزج فيها القصص الحقيقية بالخيال ، والتاريخ  
بالاسطورة . وكان الهدف من هذا النوع من القصص الوعظ والارشاد في  
معظمه ، ترغيبا في الجنة وترهيبا من النار .

ومن أنواع القصص أيضا عند العرب القصص التاريخي البطولي ، كقصة عنتر بن شداد في حروبه ، وسيف بنى يزن في كفاحه ، وحرب البسوس في طولها وشناعتها ، ومنها القصص العاطفي ، كقصة « قيس المجنون بليلاه » ، وعنتر العاشق لعبلة ، وكثير الواله بعزة ، الى آخر هذه الالوان القصصية ، التي تزخر بها كتب الادب العربي ، وبعض التراجم الاجنبية . على أنه من الملحوظ أن القصة العربية تطورت مع الزمن ، واتخذت في كل عصر طابعا خاصا ، رقيقا عما قبل ، مع متانة في البناء ، منذ الجاهلية حتى عصرنا الحاضر ، وقد تولد عن التصرف في تركيبها نوع خاص منها ، وهو ما سمي - بين فنون النثر العربي - باسم « المقامة » ، والتي تركز على العناية بالاسلوب ، وتغليب الشكل على الجوهر ، فمن مقوماتها البلاغية السجع والجناس والكناية والتلاعب بالالفاظ ، ومن مقوماتها اللغوية طائفة ضخمة من شوارد اللغة ، وشواد القواعد النحوية ، ومن مقومات أسلوبها - كذلك - تضمينها بعض آيات القرآن الكريم ، أو الحديث النبوي ، أو الحكم والامثال ، أو المنثور أو المنظوم ، كما تشتمل المقامة على المعلومات الفقهية والطبية والعروضية والتاريخية ، الى غير ذلك مما عرف في عصر المولعين بصناعتها .

فالمقامة - اذن - نوع من الترف الادبي ، وميدان للتدليل على مبلغ معرفة المؤلف بالعلوم والفنون على اختلاف أنواعها ، وقد ابتدعتها « بديع الزمان الهمذاني » من أشهر أدباء العصر العباسي ، ويقال : انه أنشأ حوالي أربعمائة مقامة ، ولكن لم يظفر الناس منها اليوم بأكثر من نيف وخمسين مقامة ، ومن مقاماته الشهيرة المقامة القريضية ، نسبة الى القريض ، وهو الشعر ، لانه موضوعها ، والمقامة الخمرية ، والمقامة الجاحظية ، والمقامة الدينارية ، والمقامة البصرية ، والمقامة الكوفية ، ثم قلده في نفس العصر كثيرون ، ولكن الحريري كان بارعا فيها أيضا ، ومن مقاماته المعروفة مثلا « المقامة الصنعائية » نسبة الى صنعاء ، احدى مدن اليمن المشهورة .

أما ماذا يقصد بالمقامة عموما فهو تصوير بؤس الادباء ، واحتيالهم أحيانا لكسب عيشتهم ، ولها راوية ينقل الخبر ، وبطل تدور حوله حوادثها .

على أن هذه المقامة قد اختلفت من الادب العربي بعد ناصف اليازجي اللبناني في كتابه : « مجمع البحرين » ، ومحمد المويلحي المصري في كتابه ذى الشبه الكبير بالمقامة « حديث عيسى بن هشام » ، اذ لم يعد أحد بعدئذ يلتفت الى هذا اللون الادبي من أدباء عصرنا الحاضر .

هذا ، وقد كان من الطبيعي أن ينتقل فن المقامة من المشرق — منذ ظهوره — الى الاندلس ، وذلك عن طريق الرحلات التي قام بها كثير من الاندلسيين الى الشرق يطلبون العلم ، والذين عادوا الى موطنهم بعد أن درسوا — ضمن ما درسوا — هذا الفن ، فنشروه بين مواطنهم ، وقد لوحظ أن مقامات بديع الزمان الهمذاني ورسائله — التي أشرنا اليها — قد ذاعت خصوصا في عهد ملوك الطوائف بالاندلس ، فقد قام بعض الادباء الاندلسيين يومئذ بمعارضة هذه الرسائل والسير على نمطها ، ومن هؤلاء الاديب عبد الله محمد بن شرف القيرواني ، الذي عارض مقامات البديع ، حسبما يروى ابن بسام عن هذا الاديب المعاصر للمعتضد بن عباد بأشبيلية 434 — 461 هـ ( 1042 — 1068 م ) . كذلك روى ابن بسام عن الشاعر أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم المتوفى حوالى سنة 420 هـ ( 1029 م ) أن هذا الاخير عارض رسالة للهمذاني في وصف غلام ، وفي موضع آخر من كتاب الذخيرة يورد ابن بسام أجزاء من مقامتين ، أحدهما لابي حفص عمر الشهيد ، والاخرى لابي محمد بن مالك القرطبي ، وهذان الاديبان عاشا في عهد المعتصم بن صمادح بمدينة المرية الاندلسية 443 — 484 هـ ( 1051 — 1091 م ) .

ونزيد تعريفا بصلة المغرب بالمشرق حول فن المقامة ، فنذكر أيضا أنه في أوائل عهد المرابطين بالاندلس انتشرت مقامات الحريري بالمغرب على مدى واسع ، في الوقت الذي انتشرت فيه بالشرق ، واهتم علماء

الاندلس بحياة مؤلف هذه المقامات ، فقد روى ابن الأبار « أن كثيرا من  
الاندلسيين سمعوا من الحريري مقاماته الخمسين ببستانه ببغداد ، ثم  
عادوا الى بلادهم ، حيث حدثوا بها عنه » ، ومن هؤلاء الحسن بن علي  
البطليوسي المتوفى عام 566 هـ (1169 م) وأبو الحجاج يوسف القضاعي  
البلنسي المتوفى عام 542 هـ (1147 م) .

وقد تابع الاندلسيون الاشتغال بفن المقامة حتى نهاية عهدهم  
الاندلسي ، أيام بنى الأحمر في غرناطة ، ومن أشهر أدباء هذا العصر الذين  
زاولوا هذا الفن الأدبي الوزير لسان الدين بن الخطيب ، بمقاماته العديدة  
التي أنشأها ، والتي منها : الكتاب الذي نتعرض لدراسته هنا ، وهو  
« معيار الاختيار » ، ومقامته « خطرة الطيف ، في رحلة الشتاء والصيف »  
و « مقامة السياسة » وغيرها .



وعلى ضوء ما أوجزنا بيانه عن «المقامة» ومقوماتها ، ومدى صلتها  
بفن القصة العربية ، وعن دور الاندلسيين فيها بالنسبة للمشاركة ، نستطيع  
أن نزن كتاب « معيار الاختيار » في هذا الميدان ، فنقول : انه عبارة عن  
وصف قصصي ، جاء في صورة مقامة تقليدية ، حاول بها ابن الخطيب  
— كما حاول في غيرها — أن يجارى بها من سبقوه في هذا الميدان ، وفي  
سبيل ذلك حشد لها المزيد من فنون القول والبيان ، وبخاصة مقدمة كل  
من المجلسين ، ونهايتهما ، حيث انصرف فيهما الى حد ما عن المعنى الى  
اللفظ مما أفقد المقدمة — خاصة — قيمتها الأدبية ، من أديب مثل ابن  
الخطيب .

ولكن عندما تناول صلب الموضوع ، فانه — وان كان قد عنى  
بالأسلوب أيضا — إلا أن الوصف للمدن عموما قد جاء تحفة فنية رائعة ،

فقد تناولها تاريخيا واجتماعيا وثقافيا ، وتمكن - رغم قيود السجع والجناس والكناية وغيرها - من ابراز هذه المعالم في صورة مشوقة . ومع ذلك ، نرى أن ابن الخطيب لو أطلق لنفسه العنان في هذا المؤلف التاريخي ، وحرر نفسه من هذه القيود اللفظية التي كبل بها قلمه - لجاء وصفه للبلدان أبدع فنا ، وأشمل موضوعا ، فلا شك أنه حصر نفسه في نطاق ضيق ، كانت نتيجته الحتمية أن فوت علينا المؤلف انطلاقاته المعروفة عنه ، في تقصى المعانى ، والاحاطة بثتات الموضوع الذى يتعرض له .

### قيمة الكتاب كوثيقة تاريخية

توجد لكتاب « معيار الاختيار ، في ذكر المعاهد والديار » أكثر من مخطوطة ، في الاسكوريال والرباط ، وفاس ، وقد ورد هذا الكتاب ضمن مؤلف آخر من مؤلفات ابن الخطيب ، وهو « التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى » ( 554 الاسكوريال ) ، كما ورد ضمن مؤلفه « ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب » حيث أورده المؤلف في باب « المقامات » . وقد ألف ابن الخطيب « معيار الاختيار » هذا عندما نفى الى المغرب مع سلطانه الغنى بالله ابن الاحمر المعروف بمحمد الخامس ، حيث حلا ضيفين على السلطان أبى سالم ملك المغرب ( محرم 761 هـ - 1359 م ) ولكن ابن الخطيب لم يذكر في الكتاب تاريخ تأليفه بالضبط ، وانما عرفنا الفترة التي ألفه خلالها من مؤلف آخر له ، حيث ذكر به أنه دون بعض كتبه خلال سنوات المنفى الثلاث التي قضها بمدينة سلا بالمغرب (1) . ( 760 - 763 هـ ) = ( 1358 - 1361 م ) ، ومن بين تلك الكتب « معيار الاختيار » ، وقد أدرج الغزيرى هذا المؤلف تحت رقم 1777 بفهرس المخطوطات العربية بمكتبة الاسكوريال بأسبانيا .

(1) ابن الخطيب في « نفاضة الجراب في علاة الاغتراب » ، مكتبة الاسكوريال بمديرى لوحة (67) .



ولما كنت قد قارنت - أثناء البحث والدراسة - بين نسخ مخطوطة هذا الكتاب ، والتي وجدتھا في كل من مدريد والرباط وفاس والقاهرة والفاتيكان ، فقد بان لى أن أكملھا وأوفھا - كما ذكرت - مخطوطة الاسكوريال بأسبانيا ( رقم 554 ) ، وقد ذكر ناسخ هذه المخطوطة أنه كتبھا عام 173 هـ ( 1468 م ) ، أى بعد تدوين ابن الخطيب للكتاب نفسه بحوالى 112 عاما تقريبا ، وبعد وفاة المؤلف بنحو 97 عاما .

وقد نشر المستشرق الاسبانى « سيمونيت » القسم الاول من « معيار الاختيار » ، بعد أن فصل عنه المقدمة التى أشرنا الى مضمونها ، وهذا القسم هو الخاص بمدن مملكة غرناطة ، وعددها أربع وثمانون مدينة ، تحت عنوان « وصف مملكة غرناطة ، فى عهد بنى نصر » (1) . ثم نشر باقى الكتاب - وهو الجزء الخاص بمدن المغرب - المستشرق الالمانى « مولر » ، متضمنا وصفا لجبل الفتح ، وسبتة ، ومراكش ، وأغمات ، فى مجموعة خاصة (2) . ولم يفت هذا المستشرق أن ينوه ببعض الاخطاء التى وقع فيها زميله الاسبانى « سيمونيت » عند تحقيقه للجزء الخاص بمدن الأندلس ، وان كان هو بدوره قد وقع فى عدة أخطاء أثناء التحقيق ، وذلك نتيجة عدم التمرس بالاساليب العربية ، ولا سيما عبارة ابن الخطيب كطابع عام لما كانت عليه اللغة فى العصور الاسلامية الوسطى .

وتجدر الاشارة الى أن قيمة « المعيار » تمكن فى التعريف بالوضعية التى كانت عليها كل من مملكتى بنى نصر وبنى مرين فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى ، وأن ابن الخطيب قد حدثنا - بحق أيضا

(1) راجع :

Descripcion del Reino de Granada bajo la Dominacion de las Nazaritas (Madrid, 1861).

(2) راجع :

Beitaae zur Geschichte des Westlichen Araber (Munche, 1866).

خصوصا - عن عاصمتي كل من الاندلس والمغرب في عصره ( غرناطة وفاس ) ، سالكا نفس الموضوعية تجاه كليهما ، دون أن يخفى لوما فيما لاحظه من مثالب بالنسبة لهاتين العاصمتين .

ونحن نعتقد من جانبنا أن المؤلف - عند تدوينه لهذا الكتاب - قد اعتمد على مصادر ثلاثة :

### 1 - زيارته للمدن التي تناولها قلمه :

فمن المعلوم أن ابن الخطيب كان قد وزر للسلطان يوسف الاول النصرى 733 - 755 هـ ( 1333 - 1354 م ) ثم لابنه من بعده الغنى بالله محمد الخامس 755 - 760 هـ ( 1304 - 1359 م ) ثم - للمرة الثانية - عام 762 - 793 هـ ( 1361 - 1392 م ) ، وطبيعة المنصب تقتضى تفقد الوزير هناك للبلاد والشعور الاندلسية ، للوقوف على أحوالها ، وحركة دولا العمل فيها ، ثم توجيه العمال وارشادهم ، ومن ثم تحرير التقارير عن زيارته . كما أنه رافق سلطانه أبا الحجاج يوسف الاول في زيارته التاريخية ، والتي بدأها من غرناطة في 17 محرم 748 هـ - 1347 م ، صحبة الحاشية ، وقد أفرد ابن الخطيب رسالة خاصة بهذه الرحلة ، سماها : « خطرة الطيف ، في رحلة الشتاء والصيف » جاء فيها أن الراكب الملكى - بعد أن غادر العاصمة - وصل الى مدينة وادى آس ، وهناك استقبلهم الاهالى استقبالا رائعا ، ثم اتجهت القافلة شرقا مارة ببعض المدن والحصون الهامة ، مثل : بسطة ، وبرشانة ، وهنا صور ابن الخطيب الحالة التي كان يعانيها سكان هذه المدن ، نتيجة كل من الغارات النصرانية والسيول الموسمية ، ثم زار الراكب مدينة « بيرة » ، أقصى الثغور على الحدود الشرقية ، وقد ذكر لنا ابن الخطيب ما كان يشعر به سكان هذا الثغر من القلق والخوف ، من جراء هجوم الاسبان المفاجيء بين حين وآخر ، كما صور لنا وعورة موقع المدينة ،

وصعوبة مسالكها ، حيث اضطروا للاسترشاد بدليل ماهر ، يكشف لهم طريقهم في الجبال بين الروابي والوهاد .

وأخيرا يعود الموكب الى قاعدته « غرناطة » ، راجعا من طريق آخر ، مارا بثغر المرية ، حيث استعرض السلطان قطع الاسطول الحربى ، واستقبل رجاله في زيهم الرائع الانيق .

كما زار الموكب بعد المرية بعض المدن العامة ، مثل : بجانة ، وبرشلونة وفنيانة ، وينتهى المطاف بمدينة وادى آس مرة أخرى ، ومنها الى العاصمة « غرناطة » (1) .

وبذلك أتاحت فرصة رسمية هامة للوزير ابن الخطيب ، حيث وقف على أحوال هذه المدن الاندلسية خلال هذه الرحلة ، وكون لنفسه ودون في مذكراته فكرة عميقة موضوعية عن كل مدينة زارها الركب السلطانى التاريخى .

أما بالنسبة للمدن المغربية فقد زار ابن الخطيب المغرب أكثر من مرة ، وفي كل مرة كان يتجول في البلاد ويتعرف عليها ، ويختلط بأهلها ، ولاسيما رجال الادارة والعلماء والخاصة ، ولا بد أنه شافه الكثير منهم برغبته في الوقوف على معالم مدنهم وآثارهم واجتماعياتهم ، وكانت المعاينة لديه وسيلة هامة في وزن الحقائق ، وكشف الظنون ، وجلاء الشكوك .

لقد زار ابن الخطيب المغرب لأول مرة سفيرا من لدن السلطان الغنى بالله ابن الأحمر ، الى سلطان المغرب عام 755 هـ = 1354 م .

(1) راجع التحقيق الحديث لهذه الرحلة في كتاب « مشاهدات ابن الخطيب في بلاد الاندلس والمغرب » للدكتور أحمد مختار العبادى ، طبعة جامعة الاسكندرية 1958 ، حيث تقع هذه الرحلة بين هذه المشاهدات ص : 25 - 35 .

ثم رجع الى المغرب مرة أخرى ، ولكن منفيا مع سلطانه المخلوع الغنى بالله ابن الاحمر ، وذلك في محرم 761 = 1359 م ، وفي هذه المرة مكث بالمغرب ثلاث سنوات تقريبا ، كما أشرنا الى ذلك في موضعه ، وفي تلك الاثناء زار بعض المدن المغربية ، ودون بعض رحلاته يومئذ في كتابه المعروف باسم « نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب » ، الذي وضعه بالمغرب مع بعض الكتب الاخرى ، التي منها كتابنا « معيار الاختيار » .

وأخيرا استقر ابن الخطيب بالمغرب حينما فر من الاندلس ، حيث شعر بما يدسه له خصومه عند السلطان الغنى بالله ، على نحو ما هو معروف من تاريخ مأساة هذا الوزير ، فوصل المغرب عام 773 هـ = 1371 م ، وبقي به حتى نكب وقتل عام 776 هـ = 1375 م .

فهذه ثلاث زيارات قام بها المؤلف للمغرب ، سفيرا ، فمفنيا ، ففارا ناجيا بحياته أخيرا ، وتعتبر فترة النفي — من بين هذه الزيارات الثلاث — فترة البحث والدرس والتأليف عند ابن الخطيب ، فقد منح الرواتب وأقطع الاراضي ، واستقرت نفسيته الى حد سمح له بمواصلة تأليفه .

أما المرة الاولى فكان وقتها أضيق من أن يتسع للجوال عبر المدن المغربية ، فهو حينئذ سفير منوط به أمر رسمي ، وذو قيود وحدود مرسومة .

وأما في المرة الاخيرة حيث استقر نهائيا بالمغرب ، فنرجح أن ابن الخطيب لم يتجه كثيرا للبحث والتدوين ، فقد كانت الهزات السياسية بالمغرب تتناوشه ذات اليمين وذات الشمال ، بفضل مواصلة خصومه — بغرناطة — السعى في القضاء عليه ، وعلى رأسهم سلطانه القديم « الغنى بالله » والذي تأثر الى أبعد حد بسعاية هؤلاء الخصوم ، ومع هذا فقد ألف ابن الخطيب ابان هذه الفترة كتابه « أعمال الاعلام ، فيمن بويح قبل الاحتلام ، من ملوك الاسلام » ، استجابة للظروف الجديدة التي أملت عليه اصدار هذا المؤلف

## 2 - الاطلاع والسماع :

وهو المصدر الثانى من المصادر التى اعتمد عليها ابن الخطيب فى تدوين كتابه « معيار الاختيار » ونعنى به قراءته لكتب من سبقوه من المؤرخين والكتاب فى أوصاف المدن الاندلسية والمغربية على الخصوص، وفى تاريخها الحافل بالاحداث ، وكذلك سماعه من شيوخه الذين تتلمذ عليهم ، فى أحوال المغرب منذ القدم، وأحداث المملكة الاسلامية بالاندلس، لا سيما وأنه تربى فى أحضانها ، ودرج بين ربوعها ، وجاس خلال ديارها ، فحديثه عنها حديث الخبير العالم ، ووصفه لها وصف المحيط بأسرارها . هذا بالاضافة الى مجالس ابن الخطيب العلمية ، وندواته الثقافية ، والتى كانت كثيرا ما تجمع رواة الاخبار ، وحفظة التاريخ .

## 3 - التقارير الادارية الرسمية :

وابن الخطيب كوزير ، وأمين سر السلطان ، لا بد وأن يطلع على كافة التقارير الرسمية ، والرسائل الادارية ، التى كانت ترد عادة الى الديوان من عمال وحكام الاقاليم ، فهذه التقارير وتلك الرسائل وثائق تاريخية لها أهميتها البالغة ، اذ على أساسها - فى العادة - تدار سياسة الدولة ، وتوجه الامور الوجهة الصالحة ، لذلك نرى أن ابن الخطيب قد استفاد الى حد كبير من هذه الوثائق ، بالاضافة الى المصدرين السابقين، وبذلك أمكنه أن يعطينا هذه الاوصاف لتلك المدن فى مؤلفه « معيار الاختيار » .

هذا ، وينبغى أن نشير اخيرا الى أن شخصية المؤلف وعلاقتها بالآخرين لا بد وأن تنعكس على كتاباته ، وهذا ما وضح من خلال أوصاف ابن الخطيب لبعض البلاد وأهلها ، فانه وان كان قد تعمق فى البحث على نحو دقيق ، وحلل الاسباب والمسببات حتى جاء الموضوع

وثيقة تاريخية يعتمد عليها الى حد بعيد - وبخاصة اذا اعتبرنا قلة المراجع التاريخية التي تناولت العصر الذي عاشه ابن الخطيب ، وذلك في أخبار كل من الأندلس والمغرب - الا أنه لا ينبغي أن نغفل الدوافع الشخصية ، والنزعات النفسية للمؤلف أيا كان ، فهذه وتلك لا بد وأن يحسب حسابهما ، ويقام وزنهما ، في تقييم مثل هذه الوثيقة التاريخية ، لرجل وزير كابن الخطيب ، قضى حياته بين تيارات السياسة ، تتنازعها الأهواء والدوافع ، يعطف على مسلكة البعض ، وينقم على خطته البعض الآخر ، وبالتالي يكون اتجاهه متباينا نحو كليهما ، وما يصدق على الأفراد يصدق على مجموعة منها تؤلف بلدا أو مدينة .

وللتدليل على هذا التأثير النفسى عند الكاتب ، وانعكاسه على ما يحرره ، نذكر أن ابن الخطيب نفسه قد صب جام غضبه على مدينة سلا المغربية ، في رسالته المسماة « مفاخرات بين مالقة وسلا » ، رغم أنه أقام بها طيلة فترة النفي الأولى ، قرابة ثلاث سنوات ، واحتوته عزيزا مكرما ، ولكن كان قد حدث احتكاك بينه وبين بعض الفقهاء من أهل هذه المدينة ، الأمر الذى ساقه الى تأليف رسالة خاصة ، فى النيل من هؤلاء الفقهاء ، وهى المسماة « مثلى الطريقة ، فى ذم الوثيقة » ، فى أسلوب يفيض اقذاعا ونيلا غير كريم من الخصوم ، وعليه - بالتالى - فلم يكن من المنتظر أن يرتفع ابن الخطيب بمدينة سلا فى المفاخرات مع مالقة .

فنخلص من هذا الى أن ابن الخطيب لم يسلم - الى حد ما - من تحامل فى وصفه لبعض المدن الأندلسية والمغربية فى كتابه « معيار الاختيار » ، وبخاصة عندما كان يتناول أحوال سكانها الاجتماعية . بيد أن هذا التحامل الضئيل المفترض لن يطغى بحال على ما للكتاب من قيمة تاريخية كبرى ، ولا يمنع الدارسين لتاريخ المغرب والأندلس - فى الفترة التى عاصرها ابن الخطيب - من الاستفادة من « معياره »

هذا الى حد بعيد . . ، اذا ما عن لهم الكشف عن الحالة الاجتماعية بهذين القطرين في ذلك العصر ، وعن الاقتصاد ، والمحصولات الزراعية ، وأهمية الاسواق ، والصناعة الاندلسية ودورها ، وما الى ذلك مما تناوله المؤلف ، تجاه البلاد الاندلسية والمغربية ، في منتصف القرن الرابع عشر الميلادى .





# الفصل الرابع

كتاب

معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار

المجلس الأول













## معيار الاختيار ، في ذكر المعاهد والديار

### المجلس الاول :

( 97 : أ ) بسم الله الرحمن الرحيم • صلى الله على سيدنا محمد •

الحمد لله الذى انفردت صفاته بالاشتمال على اثبتات الكمال ، والاستقلال بأعباء الجلال ، المنزه عن احتلال الحلال ، المتصفة الخلال بالاختلال ، المعتمد بالسؤال لصلة النوال ، جاعل الارض كسكانها متغايرة الاحوال ، باختلاف العروض والاطوال ، متصفة بالمحاسن والمقابع عند اعتبار الهيئات والاوزاع والصنائع والاعمال ، على التفصيل والاجمال . فمن قام خيره بشره دخل تحت خطة الاعتدال ، ومن قصر خيره عن شره ، كان أهلا للاستعاضة والاستبدال ، ومن أربى خيره على شره وجب اليه شد الرحال ، والتمس بقصده صلاح الحال . وكثيرا ما اغتبط الناس بأوطانهم فحصلوا فى الجبال على دعة الببال ، وفازوا فى الرمال بالآمال ، ( 97 : ب ) حكمة ( منه ) فى اعتمار ربع الشمال ، وتقيىء أكنافه عن اليمين والشمال ، الى أن يدعو أهل الارض لموقف العرض والسؤال ، ويذهل - عن الامل - عظيم الاهوال . والصلاة على سيدنا ( ومولانا ) ( 1 ) محمد المصطفى الذى أنقذ بدعوته الوارفة الظلال من ظلمات الضلال ، وجاء برفع الاغلال ، وتمييز الحرام من الحلال . والرضا عن له من الصحب والآل ، ( موارد الصدق عند كذب الآل ) ( 2 ) •

( 1 ) زيادة فى « س ، ط »

( 2 ) زيادة فى « س » .

أما بعد، ساعدك السعد، ولان لك الجعد (3)، فان الانسان - وان انصف بالاحسان ، وابانة اللسان ، لما كان بعضه لبعض فقيرا ، نبيها كان أو حقيرا ، اذ مؤنه (4) التي تصلح بها حاله . لا يسعها انتحاله - لزم اجتماعه وائتلافه على سياسة يؤمن معها اختلافه ، واتخاذ مدينة يقر بها قراره ، ويتوجه اليها ركونه وفراره ، اذا رابه أضراره ، ويختزن بها أقواته التي بها حياته ، ويحاول منها معاشه الذي به انتعاشه ، فان كان اتخاذها جزافا واتفاقا ، واجتراء ببعض المآرب وارتفاقا ، تجاول (5) شرها وخيرها ، وتعارض نفعها وضيرها ، وفضلها - ( 98 : أ ) في الغالب - غيرها ، وان كان عن اختيار ، وتحكيم معيار ، وتأسيس حكيم ، وتفويض للعقل وتحكيم ، تتافر الى حكمها النفر ، وأعمل السفر ، وكانت مساوئها - بالنسبة الى محاسنها - تغنفر ، اذ وجود الكمال فاضح للأمال ، ولله در القائل :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء فخرا أن تعد معاييه  
وبحسب ذلك :

حدث من يعنى بالاخبار ينقلها ، والحكم يصقلها ، والاسمار ينتقيها ، والآثار يخلدها ويبقيها ، والمجالس يأخذ صدورها والآفاق يشيم (6) شموستها وبدورها ، والحلل يعرف دورها ، ويأكل قدورها ، والطرف يهديها ، والخفيات يبديها . وقد جرى ذكر تفضيل البلدان ، وذكر القاصي والدان ، ومزايا الاماكن ، وخصائص المنازل والمساكن ، والمقابح والمحاسن ، والطيب والآسن (7) .

- 
- (3) الجعد : في الاصل هو الشعر غير المنسق ، والسياق ينصرف الى اللئيم البخيل .
  - (4) في نسخة (س) « مؤنثة » بدل « مؤنه » .
  - (5) تجاول : يقال ، تجاول القوم في الحرب ، أى جال بعضهم على بعض .
  - (6) يشيم : يعلم ، يقصد أنه ذو دراية بمطالع الشمس والقمر في هذه البلاد .
  - (7) الآسن : من الماء المتغير الطعم واللون والرائحة .



قال : ضمنى الليل وقد سدل المسح راهبه ، وانتهب قرص الشمس من يد الامس ناهبه ، ودلفت جيوشه الحبشية ( 98 : ب ) وكتائبه ، وفتحت الازهار بشط المجرة كواكبه ، وجنحت الطيور الى وكونها ، وانتشرت الطوافات بعد سكونها ، وعوت الذئاب فوق هضابها ، ولوحت البروق ببيض عضابها ، وباهت الكف الخضيب بخضابها ، وتسلفت اللصوص لانتهاز فرصها ، وخرجت الليوث الى قسمها وحصصها ، فى مناخ رحب المنطلق ، وثيق الغلق ، سامى السور ، كفيل بحفظ الميسور ، يأمن - به الذعر - خائفه ، وتدفع - معرة السماء - سقائفه ، يشتمل على مأوى الطريد ، ومحراب المرید ، ومرابط خيل البريد (8) ، ومكاسع الشيطان المرید . ذى قيم كثير البشاشة ، لطيف الحشاشة ، قناع بالمشاشة . يروح ويشى ، ويقف على ريب الاعيان وأعيان الريب فلا يشى . بر فأكثر ، ومهد ووثر ، وأدفاً ودثر ، ( ورقى بسور استنزاله فأثر ) (9) .

فلما أزحت الكلفة ، وأقضمت جوادى العلفة ، وأعجبنتى - من رفقاء الرفق - الالفة ، رمقت فى بعض السقائف آمنا فى زى خائف ، وشيخا طاف منه بالارض طائف ، وسكن حتى اليمامة والطائف . جنيب ( 99 : أ ) عكار ، ومثير شيب أثيث الوفرة ، وقسى ضلوع توتر بالزفرة ، حكم له بياض الشيب بالهية ، وقد دار بذراعه للسبحة الرقطاء حنش ، كما اختلط روم وحبش . والى يمينه دلو فاهق (10) ، وعن يساره تلميذ مراهق ، وأمامه حمار ناهق ، وهو يقول :

هم أسكنونا فى ظلال بيوتهم      ظلال بيوت أدفات وأكنت  
أبوا أن يملونا ، ولو أن أمنا      تلاقى الذى يلقون منا لملت

(8) مكاسع : مطارد ، مكان الطرد .

(9) زيادة فى نسخة « س » .

(10) فاهق : ممتلىء .

حتى اذا اطمأن حلولة ، وأصبح ذلوله (11) ، وتردد الى قيمم  
الخان - زغلولة (12) ، واستكبر لما جاءه - بما يهواه - رسوله ، استجمع  
قوته واحتشد ، ورفع عقيرته وأنشد :

أشكو الى الله ذهاب الشباب      كم حسرة أورثنى واكتئاب  
سد عن اللذات باب الصبا      فزارت الاشجان من كل باب  
وغربة طالت فما تنتهى      موصولة اليوم بيوم الحساب  
وشر نفس كلما هملجت (13)      فى الغى لم تقبل خطام المتاب  
يا رب شفّع فى شيبى ولا      تحرمنى الزلفى وحسن المآب

ثم أن ، والليل قد جن ، فلم يبق - فى القوم - الا من أشفق وحن ،  
وقال - وقد هزته أريحية - ( 99 : ب ) : على الدنيا سلام وتحية ، فقد  
نلنا الاوطار ، وركبنا الاخطار ، وأبعدنا المطار ، واخترقنا الاقطار (14) ،  
وحلبنا الاشطار (15) . فقال فتاه - وقد افترت عن الدر نفتاه ، مستثيرا  
لشجونه ، ومطلعا لنجوم همه من دجونه ، ومدلا عليه بمجونه - : وماذا  
بلغ الشيخ من أمدها ، ورفع من عمدها ، حتى يقضى منه عجب ، أو يجلى  
منه محتجب ؟ فأخذته حمية الحفاظ لهذه الالفاظ ، وقال : أى بنسى ،  
مثلى من الاقطاب ، يخاطب بهذا الخطاب !! وأيم الله لقد عقدت الحلق  
( ولبست من الدهر الجديد والخلق ) (16) ، وفككت العلق ، وأبعدت فى  
الصبوة الطلق ، وخضت المنون ، وصدت الضب والنون ، وحذقت الفنون ،

(11) ذلوله : دابته السهلة القيادة .

(12) زغلولة : غلامه الخفيف السريع .

(13) هملجت : الهملجة ، المشى فى سرعة .

(14) فى نسخة « س » وانترقنا ، ولعلها فى نسخنا اصوب .

(15) حلبنا الاشطار : يقصد جربنا خير الدهر وشره ، نعرفناهما .

(16) زيادة فى « ط ، س » .

وقهرت — بعد سليمان — الجنون ، وقضيت الديون ، ومرضت لمرض العيون . وركبت الهمالج (17) ، وتوسدت الودائل (18) والدمالج ، وركضت الفاره ، واقتحمت المهالك والمكاره ، وجبت البلاد ، وحضرت الجلاذ ، وأقمت الفصح والميلاد . فعدت من بلاد الهند والصين ، بالعقل الرصين ، وحذقت بدار قسطنطين (19) كتاب اللطين (20) ، ودست مدارس أصحاب الرواق (21) ، ورأيت غار الارواح وشجر الوقواق ،

- (17) الهمالج : الابل تمشى فى سرعة .  
(18) الودائل : ج وذيلة ، وهى الرشيقه من النساء .  
(19) قسطنطين : ملك من ملوك الروم ، سميت حاضرة ملكه باسمه (القسطنطينية) وهى مدينة قديمة كانت مسورة بأسوار حصينة تبلغ المائة ، احدها ( باب الذهب ) ، انظر ياقوت الحموى فى معجم البلدان ج 15 ص 347 .  
(20) كتاب اللطين : يعنى به « اللاتينية » .  
(21) اصحاب الرواق : يقصد الرواقيين ، وهم فرقة من الفلاسفة القدماء ، ينسبون الى الرواق ، الذى كان يعلم زينون — Zenon الرواقيين Stoiciens تحته ، وقد نشأت هذه الفرقة فى القرن الرابع قبل الميلاد ببلاد الاغريق ، تنقسم عندهم الفلسفة الى المنطق والطبيعة وعلم الاخلاق ، ولا يفصلون العناية الالهية عن القضاء ، كما أنهم لا يميزون بين المادى والروحى ، وأن الكون يسوده النظام ، ويسوسه المنطق ، وأن على الانسان أن ينظم نفسه ، فيحتل مكانه فيه . وبهذا تحققت عندهم فكرة الوحدة الكونية ، فى وقت لم يكن العلم الطبيعى عند الاغريق كثيرا ، ولكن كان حدسهم شديدا ، ونظراتهم الثاقبة كثيرا ما كانت تصيب .

أما عن زينون الرواقى فهو مؤلف هذا المذهب (نحو 340 — 265 ق م) فقد ولد فى بلدة كتيوم Cition بجزيرة قبرص ، وجاء بعد الى أثينا ، وهو من أصل فينيقى ، وأكثر من وسعوا المذهب كانوا أسويين أكثر منهم أفارقة ، ويمعد المذهب آخر مجهود فلسفى فى اليونان الوثنية .

هذا ، وممن آمن بوحدة الكون فى العصور الوسطى كتاب الاديان الثلاثة ، فمن المسلمين ابن رشد ( 1126 — 1198 م ) ، ومن المسيحيين كثيرون ، ومن اليهود القباليون Kabbalists ، ثم جاء عصر النهضة بأوربا فأحيا مبدا الوحدة الكونية بين أهلها ، وانبرى عدة فلاسفة ينادون بها ، متأثرين بالفلسفة الافلاطونية ، وبما رسمه المذهب من آداب ، ومنهم شكسبير ، وشلر ، وكنت . راجع : د. أحمد زكى ( مجلة العربى ) عدد 134 يناير 1970 م .

وشريت حلل اليمن (100 : أ) ببخس الثمن (22) ، وحللت من عدن (23) حلول الروح من البدن ، ونظرت الى قرن الغزالة لما شذن (24) ، وأزمنت عن العراقيين (25) ، سرى القين ، وشربت من ماء الرافدين باليدين ، وصليت بمحراب الدمى ركعتين ، وتركت الاثر للعين ، ووقفت حيث وقف الحكمان (26) ، وتقابل التركمان (27) وأخذت بالقدس ، عن الحبر الندس ، وركبت الولايا ، الى بلاد العاليا (28) ، بعد أن طفت بالبيت الشريف ، وحصلت بطيبة على الخصب والريف ، في فصل الخريف ، وقرأت بأخميم (29) علم التصريف ، وأسرعت في الانحطاط الى الفسطاط (30) ،

- (22) في نسخة س « بأبخس ثمن » وكلاهما بمعنى .  
(23) عدن : عاصمة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، تقع على ساحل البحر الاحمر جنوب غربى الجزيرة العربية ، لها شهرة تجارية واسعة بفضل موقعها .  
انظر : معجم البلدان ، للحموى ، ج 13 ص 89 .  
(24) في نسخة (س) « اذا » بدل « لما » ، ولعلها في نسختنا أصوب .  
(25) العراقيين : البصرة والكوفة بالعراق ، مدينتان لهما أصالتهما العلمية ولاسيما في عصر الامويين والعباسيين .  
(26) الحكمان : هما أبو موسى الاشعري ، وعمرو بن العاص ، لما احتكم اليهما على بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان ، عقب وقعة صفين ( 37 هـ — = 657 م ) في أمر الخلافة ، وانتهت بتولى معاوية .  
انظر « وقعة صفين في :  
أ) المسعودى في « مروج الذهب » ج 2 ص 20 — 22 .  
ب) الطبرى — في « تاريخ الامم والملوك » ج 6 ص 33 — 43 .  
(27) التركمان : قبيلة أخضعها التتار ، تعرف منذ القرن الثانى عشر الميلادى ، وتعيش الآن في تركستان الغربى ، وايران ، وما وراء القفقاس .  
(28) العاليا : مدينة ساحلية بآسيا الصغرى ، أسسها علاء الدين كيقوباد عام 1220 م .  
(29) أخميم : مدينة اثرية على شاطئ النيل الشرقى بمصر ، محافظتها « سوهاج »  
انظر : معجم البلدان ج 1 ص 123 .  
(30) الفسطاط — مدينة أنشأها الفاتح لمصر عمرو بن العاص عام (20 هـ = 640 م) مكانها « مصر القديمة » حاليا احدى ضواحي القاهرة .

والمصر الرحب الاختطاط ، وسكنت مدينة الاسكندرية (31) ثغر الرباط ،  
وعجلت بالمرور الى التكرور (32) ، فبعث الظل بالحرور ووقفت بأشبانية  
الى الهيكل المزور ، وحصلت بافريقية على الرغد غير المنزور ، وانحدرت  
الى المغرب ، انحدر الشمس الى المغرب ، وصممت تصميم الحسام الماضى  
المضرب ، ورابطت بالاندلس ثغر الاسلام ، وأعلمت بها تحت ظل (33)  
الاعلام .

فآها - والله - على عمر مضى ، وخلف مفضا ( 100 : ب )  
وزمن انقضى ، وشمل قضى الله من تفرقه ما قضى ، ثم أجهش ببيكائه ،  
وأعلن باشتكائه ، وأنشد :

لبسنا فلم نبل الزمان وأبلانا      يتابع أخرانا - على النعى - أولانا  
ونعتر بالآمال ، والعمر ينقضى      فما كان بالرجعى الى الله-أولانا  
وماذا عسى أن ينظر الدهر ما عسى      فما انقاد للزجر الحثيث ولا لانا  
جزينا صنيع الله شر جزائه      فلم نرعما - من سابق الفضل- أولانا  
فيا رب عاملنا بما أنت أهله      من العفو، واجبر صدعنا، أنت مولانا  
ثم قال :

لقد مات اخوانى الصالحون      فمالى صديق ولا لى عماد  
إذا أقبل الصبح ولى السرور      وان أقبل الليل ولى الرقاد

- 31 الاسكندرية : العاصمة التجارية لجمهورية مصر العربية ، وتقع على ساحل  
البحر المتوسط ، بناها الاسكندر المقدونى .  
انظر ياقوت الحموى فى « معجم البلدان » ج 2 ص 182 .  
32 تكرر : شعب من الزنج يسكن الجزء الاكبر من وهاذ « فوتة » السنغالية ،  
ويعرف باسم Foucouleur وفى نسخة (س) « تكرر » بدل « التكرور » .  
33 فى نسخة أخرى « ظلال » بدل « ظل » ، وكلاهما بمعنى .

فتملكتني له رقة ، وهزة للتماسك مسترقة ، فهجمت على مضجعه  
هجو ما أنكره ، وراع شأه وعكره (34) ، وغطى بفضل رده سكره ،  
فقلت له : على رسلك أيها الشيخ ، ناب (35) حنت الى حوار (36) ،  
وغريب أنس بجوار ، وحائر اهتدى بمنار ، ومقرور قصد الى ضوء نار ،  
وطارق لا يفضح عيبا ، (ولا يثلم غيباً) ولا يهمل (37) شيئا ، ولا يمنع  
( 101 : أ ) سييا ، ومنتاب يكسو الحلة ، ويحسن الخلة ، ويفرغ الغلة ،  
ويملا القلة .

أجارتنا : انا غريبان ها هنا وكل غريب – للغريب – نسيب  
فلما وقم الهواجس وكتبها ، وتأمل المخيلة واستثبتها ، تبسم لما  
توسم ، وسمح بعد ما جمع ، فهاج عقيما فتر ، ووصل ما بتر ، وأظهر ما  
خبأ تحت ثوبه وستر ، وماج منه البحر الزاخر ، وأتى بما لا تستطيعه  
الاولئل ولا الاواخر . وقال – وقد ركض الفنون وأجالها ، وعدد الحكم  
ورجالها ، وفجر للاحديث أنهارها ، وذكر البلدان وأخبارها – :

ولقد سئمت مآربي فكأن أطيبيها (38) خبيث  
الا الحديث فانه مثل اسمه – ابدأ – حديث  
فلما ذهب الخجل والوجل ، وطال المروي والمرجل ، وتوسط  
الواقع ، وتشوفت للنجوم المواقع ، وتوردت الخدود الفواقع ، قلت : أيها  
الحبر ، واللج الذي لا يناله السبر ، لا حجبك – قبل عمر النهاية – القبر ،  
– وأعقب كسر أعداد عمرك – المقابلة بالقبول والجبر ، كأننا بالليل قد  
أظهر – لوشك الرحيل – ( 101 : ب ) الهلع ، والغرب الجشع لنجومه

(34) عكره : ابله .

(35) ناب : الناب هي الناقة المسنة .

(36) حوار : بفتح الحاء وضمها ، ولد الناقة .

(37) يقصد : أنه لا يعيب أحدا في غيبته ، وقد وردت هذه الجملة في نسخة (س) .

(38) في نسخة (س) « فكان » بدل « فكان » وهو ما لا يستقيم وزنا .

قد ابتلع ، ومفرق الاحباب — وهو الصبح — قد طلع ، فأولنى عارفة من معارفك أقتنيها، وأهزلى أفنان حكمك أجتنيها، فقال : أمل ميسر ، ومجمل يحتاج أن يفسر ، فأوضح الملغز ، وابن لى الطلا (39) من البرغز (40) . وسل عما بدا لك ، فهو أجدى لك ، فأقسم لا تسألنى عن غامض ، وحلو وحامض ، الا أوسعته علما وبيانا ، وأريتك الحق عيانا .

قلت : صف لى البلاد وصفا لا يظلم مثقالا ، ولا يعمل — فى غير الصدق — وخدا ولا ارقالا (41) ، واذا قلتتم فاعدلوا (42) ، ومن أصدق من الله مقالا (43) فقال : سل ، ولا تسل ، ولو راعك الاسل . قلت : انفض لى البلاد الاندلسية من أطرافها ، وميز — بميزان الحق — بين اعتدالها وانحرافها ، ثم اتلها بالبلاد المرينية (44) نسقا ، واجل — بنور بيانك — غسقا :

- 
- (39) الطلا : ولد الطبى ساعة ولادته ، والجمع « اطلاق » .
- (40) البرغز : ولد البقرة ، ويقصد بالعبرة : اوضح غرضك وفصله .
- (41) الوخد والارقال : نوعان من السير السريع للابل .
- (42) اقتباسا من قوله تعالى : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا تكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » سورة الاتعام ، آية : 152 .
- (43) اقتباسا من قوله تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات جنات تجري من تحتها الانهار ، خالدين فيها أبدا ، وعد الله حقا ، ومن أصدق من الله قتيلا » سورة النساء ، آية : 122 .
- (44) البلاد المرينية : البلاد المغربية ، نسبة الى بنى مرين الذين حكموا هذه البلاد فى الفترة من 668 — 869 هـ ( 1269 — 1265 م ) وكانت عاصمتهم فاس .



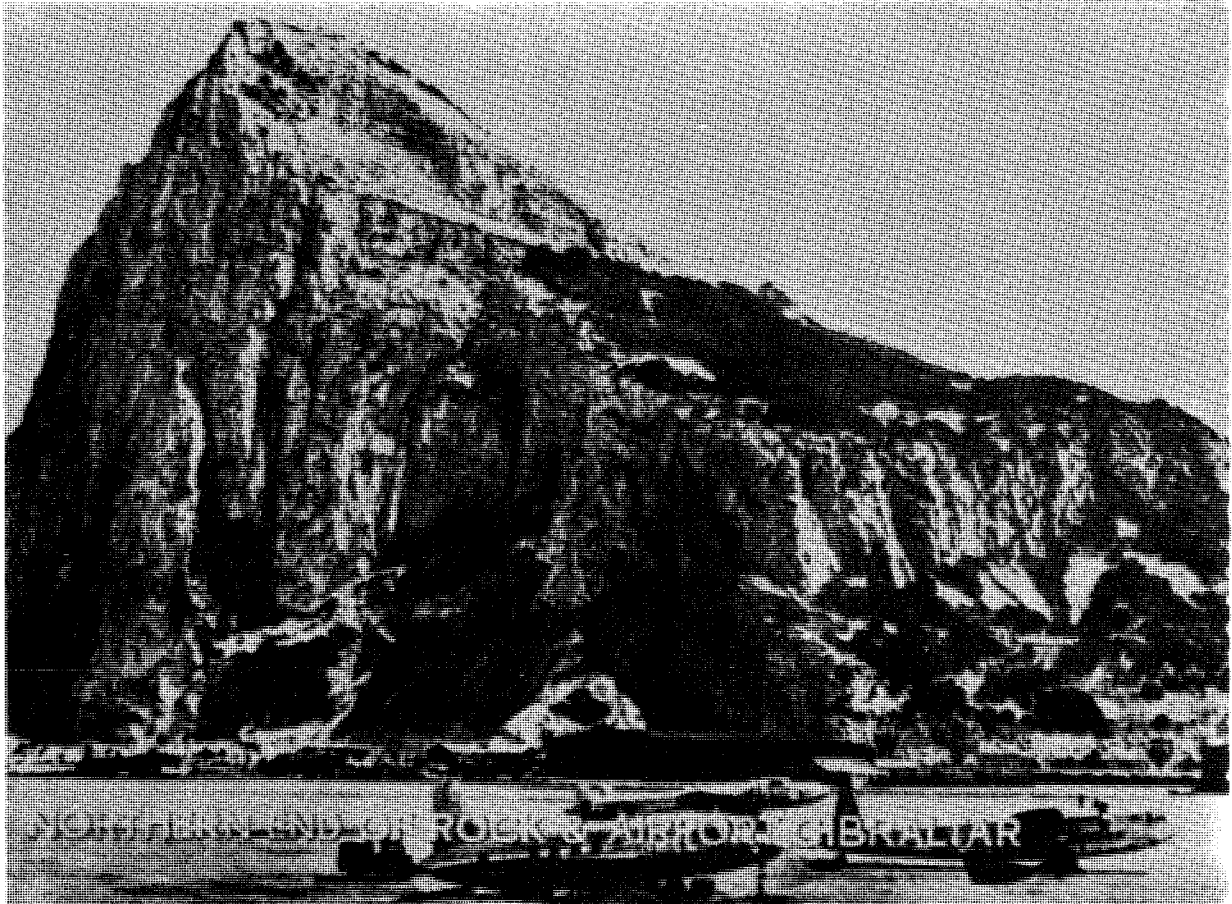


جبل طارق



Rock from the Bay, Gibraltar.

« منظر جبل طارق من البحر »



« منظر رأس الصخرة »

وهات ما تقول في « جبل الفتح » (46) :

## 1 - « جبل الفتح »

قال : فاتحة الكتاب من مصحف ذلك الاقليم ، ولطيفة السميع العليم ، وقصص المهارق (47) ، وأفق البارق ، ومتحف هذا الوطن المبين للارض المفارق ، مأهل العقيق (48) وبارق (49) ، ومحط طارقها ، (102 : أ) بالفتح طارق . ارم البلاد (150) التي لم يخلق مثله فيها ، وذو المناقب التي لا تحصرها الالسنه ولا توفيهها .

حجزه البحر ، حتى لم يبق الا خصر ، فلا يناله - من غير تلك الفرصة - ضيق ولا حصر ، وأطل بأعلاه قصر ، وأظله فتح - من الله - ونصر . ساوق (51) سورہ البحر فأعياءه ، قد تهلل بالكلس محياه ، واستقبل الشعر الغريب فحياءه . اطرده صنع الله فيه ، من عدو يكفيه ، ولطف يخفيه ، وداء عضال يشفيه . فهو خلوة العباد ، ومقام العاكف والباد ، ومسلحة من وراءه من العباد ، وشقة القلوب المسلمة والاكباد . هواؤه صحيح ، وثره - بالخزين - شحيح ، وتجر الرباط فيه ربيح ، وحماه - للمال

(46) جبل الفتح : هو جبل طارق « Gibraltar » نسبة الى فاتح اسبانيا ( طارق

بن زياد ) ، وكان يسمى قبل الفتح « Calpe » بمعنى « تجويف » يتبع بريطانيا حاليا ، وتنازعها اسبانيا في الاحقية ، وهذا خلاف قديم .

راجع : José Carlos de luna-Historia de Gibraltar

(47) المهارق : جمع مهرق ، وهي الصحيفة .

(48) العقيق : العقيق تقوله العرب لكل مسيل ماء شقه السيل في الارض فانهـره ووسعه ، وفي بلاد العرب اربعة أعققة .

راجع : ياقوت الحموى - معجم البلدان - ج 14 ص 138 ، ص 139 .

(49) بارق ، ركن من اركان اليمامة ، وهو جبل ، كما يطلق أيضا على ماء بالعراق ، وهو الفاصل بين القادسية والبصرة من أعمال الكوفة ، وقد عناه المتنبي بقوله :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجر السوابق

راجع : ياقوت الحموى - معجم البلدان - ج 2 ص 319 - 320 .

(50) ارم : الارم ، ما يهتدى به من حجارة تنصب في المفازة ، وجمعه آرام وأرؤم ، والمعنى : علم البلاد .

(51) ساوق : فاخر .

والحریم - غیر مبیح ، ووصفه الحسن لا یشان بتقییح . الا أنه - والله یقیه مما یتقیه - بعید الاقطار ، ممار بالقطار (52) ، کثیر الریاح والامطار . مکنتف بالرمل المخلف ، والجوار المتلف . قلیل المرافق ، معدوم المشاکل والمرافق . هزل الکراع ( لعدم الازدراع ، حاسر الذراع ، للکراع ) (54) ، مرتزق من ظل الشراع . کورة دبر ، (55) ومعتکف أزل وصبر ، وساکنه حی فی قبر ( 102 : ب ) .

هو الباب ان کان التزاور واللقیا وغوث وغیث للصریخ وللسقییا فان تطرق الايام فیہ بحادث وأعزز به قلنا : السلام علی الدنیا

## 2 - « اسطبونة » (56)

قلت : فاسطبونة ؟

قال : ذهب رسمها ، وبقي اسمها ، وكانت مظنة النعم الغزيرة ، قبل حادث الجزيرة (57) .

- 
- (52) القطار : السحاب الغزير القطر .  
(53) المرافق : اراد بالمرافق الاولى المنافع ، وبالثانية الآبار .  
(54) لعدم الازدراع : لعدم المرعى ، وما بين القوسين زيادة وجدناها في نسختي (س ، ر) .  
(55) كورة دبر : منزل النحل والزنانير ، وقد وردت في نسختي (ر ، د) « حبر » .  
(56) اسطبونة : بلدة تقع غرب مالقة ، على شاطئ البحر المتوسط ، وتعرف في الاسبانية باسم « Estepana »  
(57) يقصد بحادث الجزيرة موقعه طريف ، وهي بالاسبانية « Batalla del Salado » حدثت بين النصارى من جهة وبين المغاربة والاندلسيين من جهة أخرى ، وتمخضت عن هزيمة المسلمين ، وسقوط كل من طريف والجزيرة الخضراء ( 10/30 / 1340 م = جمادى الاولى 741 هـ ) .  
راجع : ابن خلدون في « العبر » ج 7 ص 261 ، 262 ، والمقرئ في « نفع الطيب » ج ص 317 ، 318 ، وابن الخطيب في اللحة البدرية ص 92 ، 93 ، والسلاوي في « الاستقصاء » ج 2 ص 65 ، 66 ، ودكتور لويس سيكودي لوثينا « في مجلة الاندلس - ملحق 1949 م .

مربلة ( غرناطة )



صورة من الجو للمدينة الساحلية

### 3 - « مربية » (58)

قلت : فمربية ؟

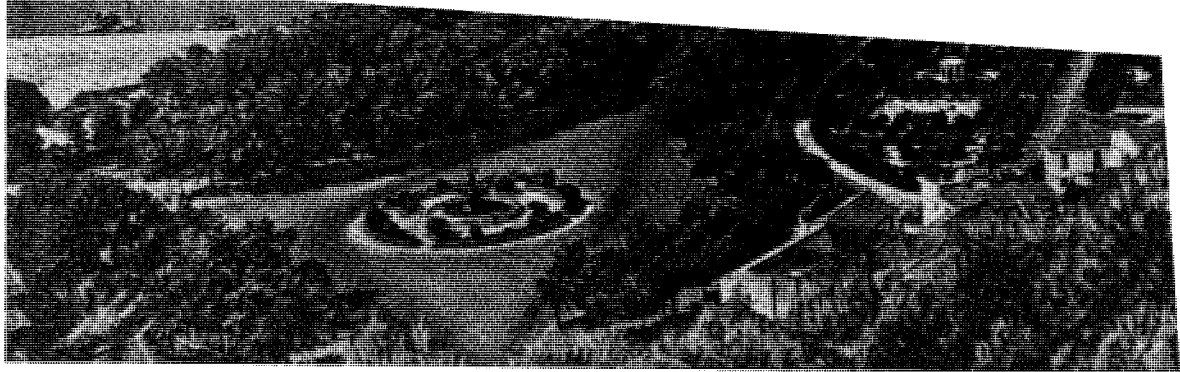
قال : بلد التأذين على السردين ، ومحل الدعاء والتأمين ، لمطعم الحوت السمين ، وحدقاتها مغرس العنب العديم القرين ، الى قبة أرين (59) . الا أن مرساها غير أمين ، وعقارها غير ثمين ، ومعقلها تركبه الارض عن شمال ويمين (60) .

### 4 - « سهيل » (61)

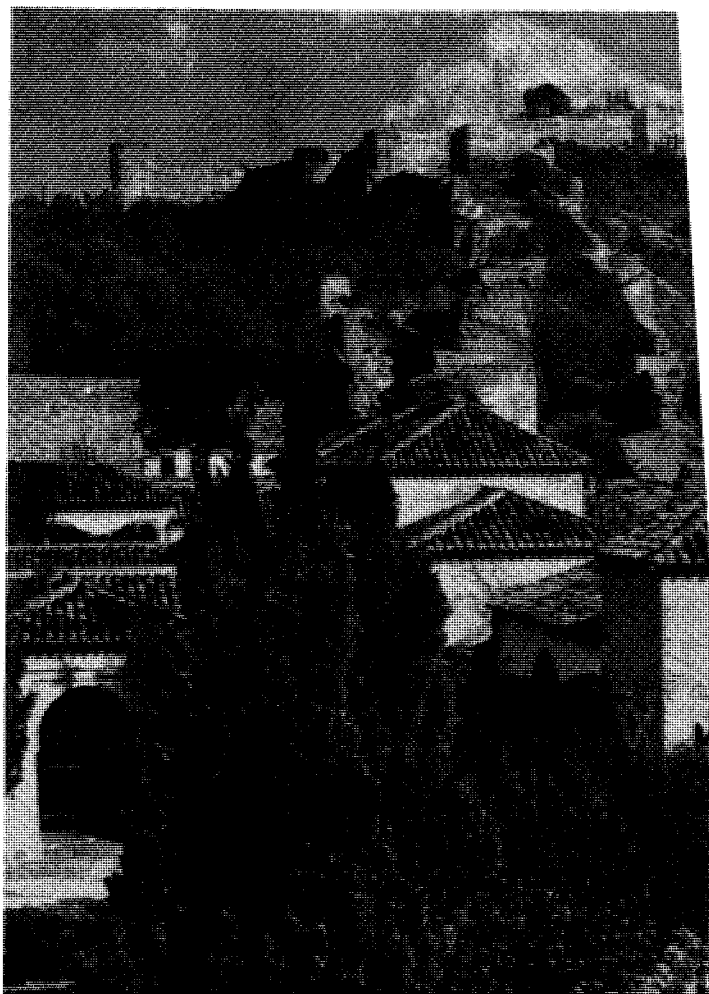
قلت : فسهييل ؟

قال : حصن حصين ، يضيق عن مثله هند وصين ، ويقضى - بفضله - كل ذى عقل رصين ، سبب عزه متين ، ومادة قوته شعير وتين . قد علم أهله مشربهم ، وأمنوا مهربهم . وأسهمت بين يديه قراه ، وجاد بالسملك واديه وبالحب ثراه ، وعرف شأنه بأرض النوب (62) ، ومنه يظهر سهيل من كواكب الجنوب . الا أن سواحله فل (63) الغارة البحرية ، ومهبط

- 
- (58) مربية : مدينة متوسطة ، تقع غرب مالقة ، على مسافة 60 كم منها ، تعرف في الاسبانية باسم « Marbella »  
(59) في نسخة ( ر ، س ، ط ) « قلت أن مرساها غير أمين » ، وقد اوردها كذلك المستشرق « سيمونيت » ، ولكن الصواب في نسختنا .  
(60) في نسخة ( س ، ر ) « عن شمال ويمين » بدل « من شمال ويمين » .  
(61) سهيل : ميناء على ساحل البحر المتوسط ، يعرف اليوم في الاسبانية باسم Fuenjerola على مسافة 28 كم شرقي مربية .  
(62) ربما يقصد « بلاد النوبة » أقصى الجنوب بجمهورية مصر العربية ، وشمال السودان ، والتعبير كناية عن بعد صيت المدينة .  
(63) في نسخة ( ر ، س ) « بل » بدل « فل » .



منظر عام للمدينة ومينائها



السرية غير السرية ، الخليفة بالحذر الحرية ، مسرح السائمة الاميرية ،  
وخدامها ( 103 : أ ) - كما علمت - أولئك هم شر البرية (64) .

## 5 - مالقة (65)

قلت : فمدينة مالقة ؟

قال : وما القول (66) في الدررة الوسيطة ، وفردوس هذه البسيطة ؟  
أشهد لو كانت سورة لقرنت بها حذقة الاطعام (69) ، أو يوما لكانت عيدا في  
العام (68) ، تبعث لها بالسلام مدينة السلام (69) ، وتلقى لها يد  
الاستسلام محاسن بلاد الاسلام . أى دار ، وقطب مدار ، وهالة ابدار ،  
وكنز تحت جدار . قصبتها مضاعفة الاسوار ، مصاحبة للسنين مخالفة  
للادوار (70) ، قد برزت في أكمل الاوضاع وأجمل الاطوار . كرسى ملك  
عتيق ، ومدرج مسك فتيق ، وايوان أكاسرة ، ومرقب عقاب كاسرة ،  
ومجلى فانتة حاسرة ، وصفقة غير خاسرة . فحماها منيع حريز ،

64) اقتباسا من قوله تعالى : « ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار  
جهنم خالدين فيها ، أولئك هم شر البرية » سورة البينة ، آية : 6 .

65) مالقة : Malaga مدينة على ساحل البحر الابيض المتوسط ، جنوب شرق  
الاندلس ، يرجع تأسيسها الى الفينيقيين عام 1200 ق. م ، حيث كانت تعرف  
باسم « Malaca » بمعنى : المملح ، نسبة الى الاسماك المملحة التى اشتهرت  
بها ، وتتوفر المدينة ايضا على أجود انواع الفواكه ، ولها شهرة في صناعة  
الفخار Ceramica ، كانت عاصمة الحموديين الادارسة أيام ملوك الطوائف ،  
كما كان بنو الاحمر يعتبرونها العاصمة الثانية بعد غرناطة .

راجع : المقرئ في « نفع الطيب » ج 1 ص 186 ، وياقوت الحموى في « معجم  
البلدان » ج 17 ص 367 .

66) في نسخة ( ر ، س ) « وما أقول » بدل « وما القول » وكلاهما بمعنى .

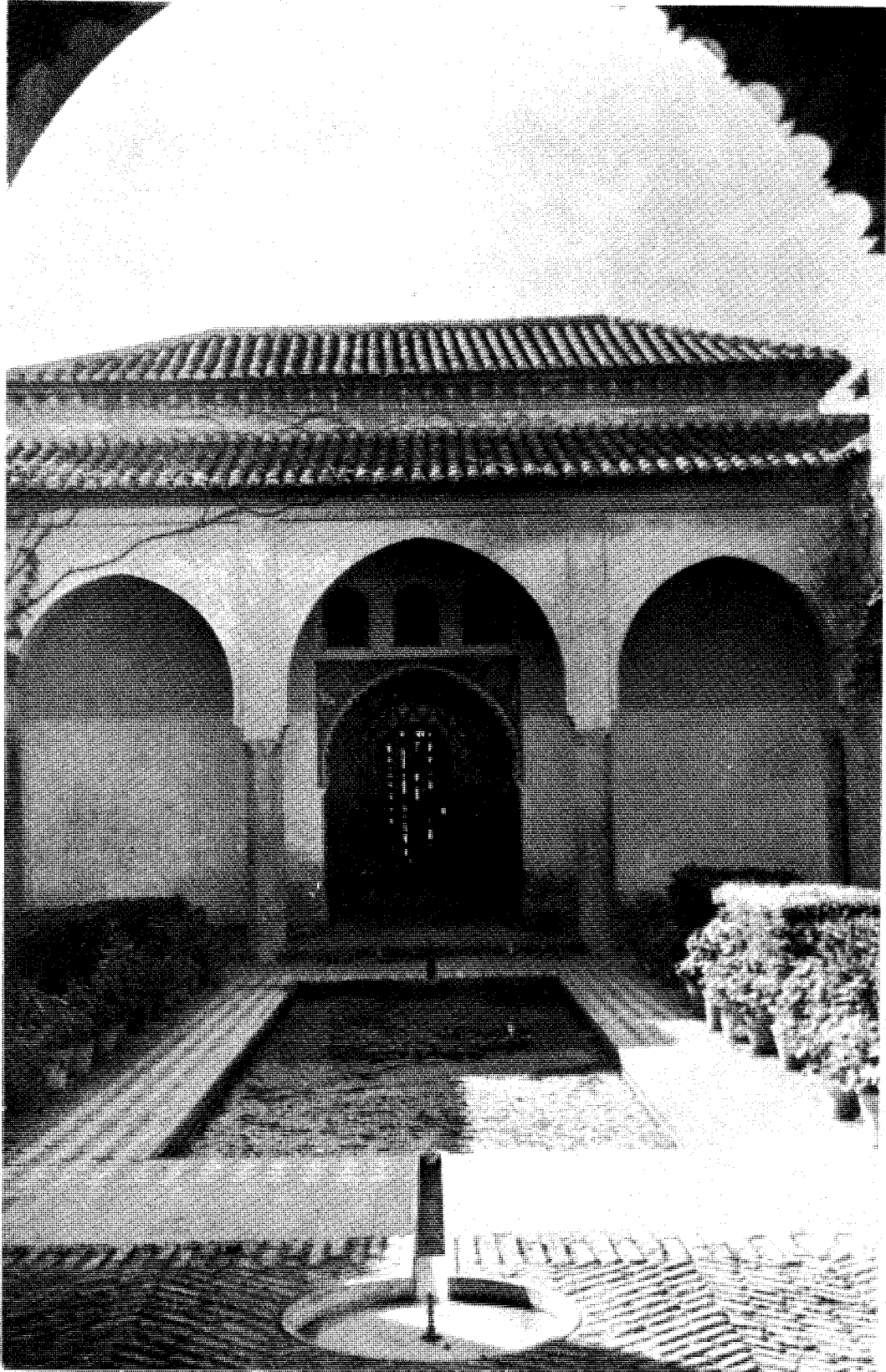
67) حذقة الطعام : الحفل الخاص بانتهاء الصبي من حفظ القرآن .

68) في نسخة ( ط ، س ) « في الايام » بدل « في الطعام » فالتعبير في نسختنا اعم .

69) مدينة السلام : بغداد .

70) في نسخة ( س ، ر ) « مصاحبة السنين ، مخالفة الادوار » ، فلعلها في نسختنا  
أولسى .

مالقة - القصبة



احد الامنية في القصبة



اضطبتت دار الاسطول ، وساوقت البحر بالطول ، وأسندت الى  
جبل الرحمة ظهرها ، واستقبلت ملعبها ونهرها ، ونشقت وردها الارج  
( 103 : ب ) وزهرها ، وعرفت قدرها ، غأغلت مهرها . وفتحت جفنها على  
الجفن غير الغضيض (72) ، والعالم الثانى ما بين الاوج الى الحضيض .

دار العجائب المصنوعة ، والفواكه غير المقطوعة ولا الممنوعة ،  
حيث الاوانى تلقى لها يد الغلب صنائع حلب ، والحلل التى تلح صنعاء  
فيها بالطلب ، وتدعو الى الجلب ، الى الدست الرهيف ، ذى الورق الهيف .  
وكفى برمانها حقائق ياقوت ، وأمير قوت ، وزائر غير ممقوت . الى  
المواساة ، وتعدد الاساة ، واطعام الجائع والمساهمة فى الفجائع ، وأى خلق  
أسرى من استخلاص الاسرى ، تبرز منهم المخدرة حسرى ، سامحة  
بسواريتها ولو كانا سوارى كسرى . الى المقبرة التى تسرح بها العين ،  
وتستهان — فى ترويض روضاتها — العين ، الى غلالها المحكمة البنيان ، المائلة  
كنجوم السماء للعيان ، وافتراض سكنها — أوان العصير — على الاعيان ،  
ووفور أولى المعارف والاديان .

( 104 : أ ) وأحسن (73) الشعر فيما أنت قائله

بيت يقال — اذا أنشدته — صدقا

وعلى ذلك ، فطينها يشقى به قطينها ، وأزبالها تحيى بها سبالها ،  
وسروبها يستمد (74) منها مشروبها ، فسحنها (75) منغيرة ، وكواكب

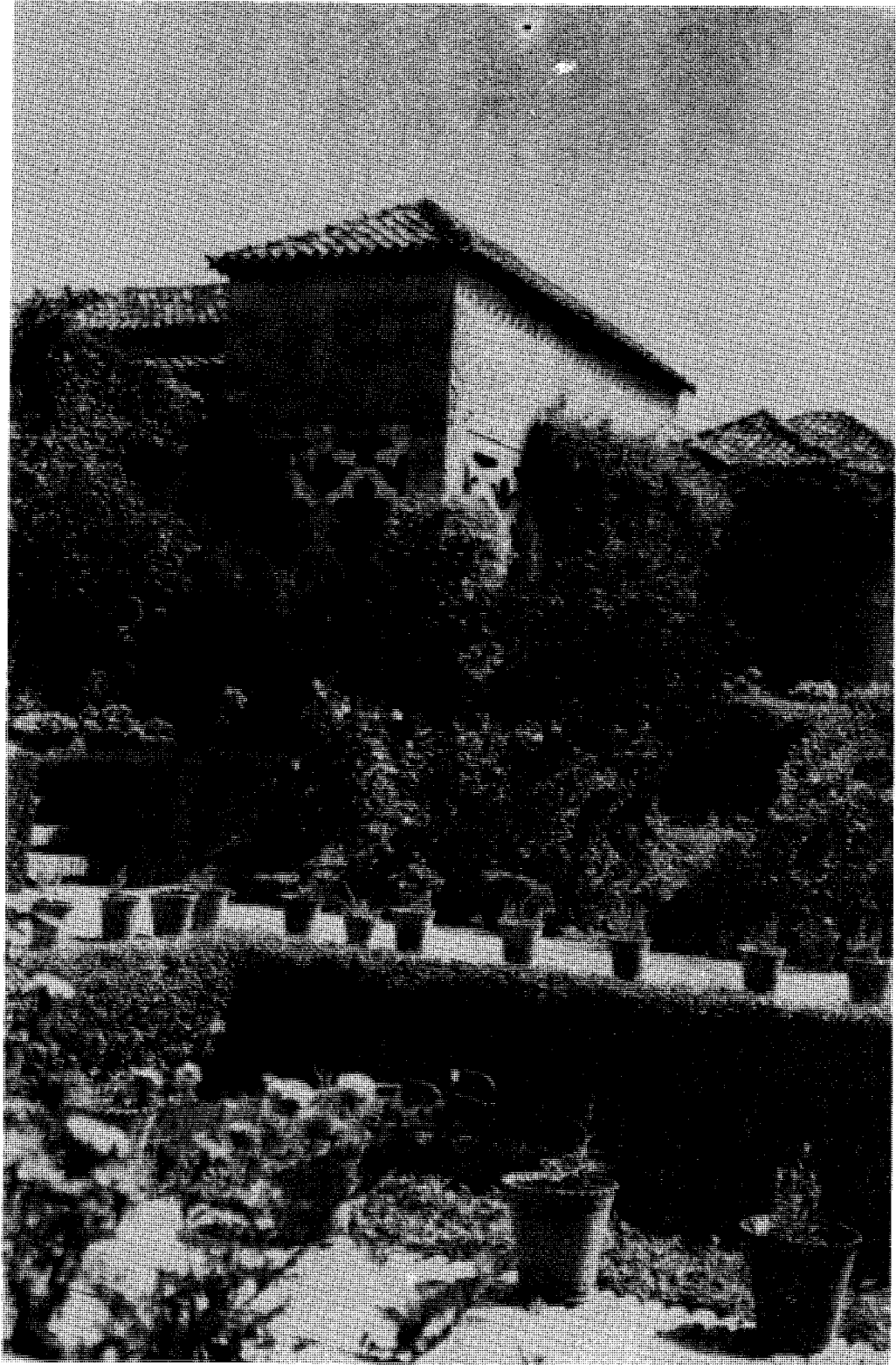
71 تبريز : مدينة فى ايران ، وهى قاعدة اقليم « اذربيجان الشرقية » ، وتشتهر  
بصناعة الطنافس والحريير .

72 اضطبتت : وافقت .

73 فى نسختى (س ، ط) « مما » بدل « فيما » .

74 فى نسختى (ط ، د) « يستعمل » بدل « يستمد » .

75 فى نسختى (ر ، س) « فسحهما ، فساحاتها » بدل « فسحنها » فلعلها فى  
نسختنا أولى .



قصة مالقة ( منظر جانبي )

أذهانها النيرة متحيرة ، وأقطارها جد شاسعة ، وأزقتها لزجة (76) غير واسعة ، وآبارها تفسدها أظفارها ، وطعامها لا يقبل الاختزان ، ولا يحفظ الوزن ، وفقيرها لا يفارق الاحزان ، وجوعها ينفى به هجوعها ، تحت (77) على الامواج أقواتها ، وتعلو على الموازين غير القسط أصواتها ، وأرحيتها تطرقها النوائب ، وتصيب أهدافها السهام الصوائب ، وتعد بها الجنائب ، وتستخدم فيها الصبا والجنائب ، وديارها الآهلة بالسكان قد صم بالنزائل صداها ، وأضحت بلاقع بما كسبت يداها ، وعين أعيانها أثر ، ورسم مجادتها قد دثر ، والدهر لا يقول دعا لمن عثر (78) ، ولا ينظم شملا اذا انتثر . وكيف لا يتعلق الذام ، ببلد يكثر به الجذام ! محلة بلواه آهلة ، والنفوس — بمعرة عدواه — جاهلة .

ثم تبسم عند انشراح صدر ، وتذكر (79) قصة ( 104 : ب ) الزبرقان بن بدر (80) .

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان ذممت تقل (81) قىء الزنابير مدح وذم ، وعين الشيء واحدة ان البيان يرى الظلماء كالنور (82)

(76) في نسخة (س) « حرجة » .

(77) في نسخة (ط) « تحط » بدل « تحت » .

(78) مثل يضرب عند العرب ، ومعناه : أن الدهر لا يدعو لك بالانتعاش اذا عثرت .

(79) في نسخة (س) « وذكر » بدل « وتذكر » .

(80) تتلخص قصة الزبرقان بن بدر في : ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل عمرو

ابن الاثم عن الزبرقان بن بدر ، فقال : « مانع لحوزته ، مطاع في ادنيه » فقال

الزبرقان : أما انه قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدنى شرفى ، فقال عمرو :

« أما لئن قال ما قال : فوالله ما علمته الا ضيق الصدر ، زمر المروءة ، لئيم

الخال ، حديث الغنى » ، فلما رأى عمرو انه قد خالف قوله الاول ، ورأى الإنكار

في عيني الرسول ، قال : « يا رسول الله ، رضيت ، فقلت أحسن ما علمت ،

وغضبت فقلت أتبع ما علمت ، وما كذبت في الاولى ، ولقد صدقت في الاخرى »

فقال الرسول عند ذلك : « ان من البيان لسحرا » .

انظر : الجاحظ في « البيان والتبيين » . ج 1 ص 52 .

(81) في نسخة (ط) « فقل » .

(82) في نسخة (ط ، س) « في النور » بدل « كالنور » .

## 6 - « بليش مالقة » (83)

قلت : فبليش ؟

قال : جادها المطر الصيب ، فنعم البلد الطيب ، حلى ونحر ،  
( وير ) ولوز وتين ، وسبب من الامن متين ، وبلد أمين ، وعقار ثمين ،  
وفواكه عن شمال ويمين ، وفلاحة مدعى انجابها لا يمين . الا أن التشاجر  
بها أنمى من الشجر ، والقلوب أقسى من الحجر ، ونفوس أهلها بينة  
الحسد والضجر ، وثأنها غيبة ونميمة ، وخبث (84) مائها - على ما  
سوغ الله من آلائها - تميمة (85) .

## 7 - « قمارش » (86)

قلت فقمارش ؟

قال : مودع الوفر ، ومحط السفر ، ومزاحم الفرقد (87)  
والغفر (88) ، حيث الماء المعين ، والقوت المعين . لا يخامر قلب

---

83 هي بالاسبانية « Velez Malaga » موقعها غرب مدينة مالقة على  
مسافة 34 كم . وقد تحدث ابن بطوطة عنها في « الرحلة » بما يؤيد وصف ابن  
الخطيب هنا ( رحلة ابن بطوطة ج 2 ص 187 ) .

84 في نسخة ( ر ، س ) « وخبث » .

85 التميمة : تجمع على تائم ، وهي للاطفال مثلا ما يوضع على صدورهم أو  
جباههم من تعاويذ ، يعتقد أهلهم أنها تقيهم شر الجوائح وعين الحسود ، قال  
الشاعر :

وإذا المنية أنشبت أظفارها الفيت كل تميمة لا تنفع

والقصد في موضوعنا : أن المؤلف يعلل لخبث ماء بليش ، بأنه تعويذة من حسد  
الحساد ، لما أنعم الله به عليها من النعم التي عددها .

86 قمارش : هي « Comares » إحدى الحصون الهامة أيام مملكة غرناطة ، وتقع  
قربها .

87 الفرقد : البقر الوحشى .

88 الغفر : ولد الوعل .

المنكب

مرفأ نزول عبد الرحمن الداخل  
مؤسس دولة بني أمية بالاندلس



صورة من البحر

الثائر به خطرة وجله ، الا من أجله . طالما فزعت اليه نفوس الملوك  
الاخائر بالذخائر ، وشقت عليه أكياس المرائر في الضرائر . وبه الاعناب  
التي راق بها الجناب ، والزياتين ، واللوز والتين ، والحرث الذي له التمكين ،  
والمكان المكين . الا أنه عدم سهله (89) ، وعظم جهله ، فلا يصلح فيه  
الا أهله .

## 8 - « المنكب » (90)

قلت : (105 : أ) فالمنكب ؟

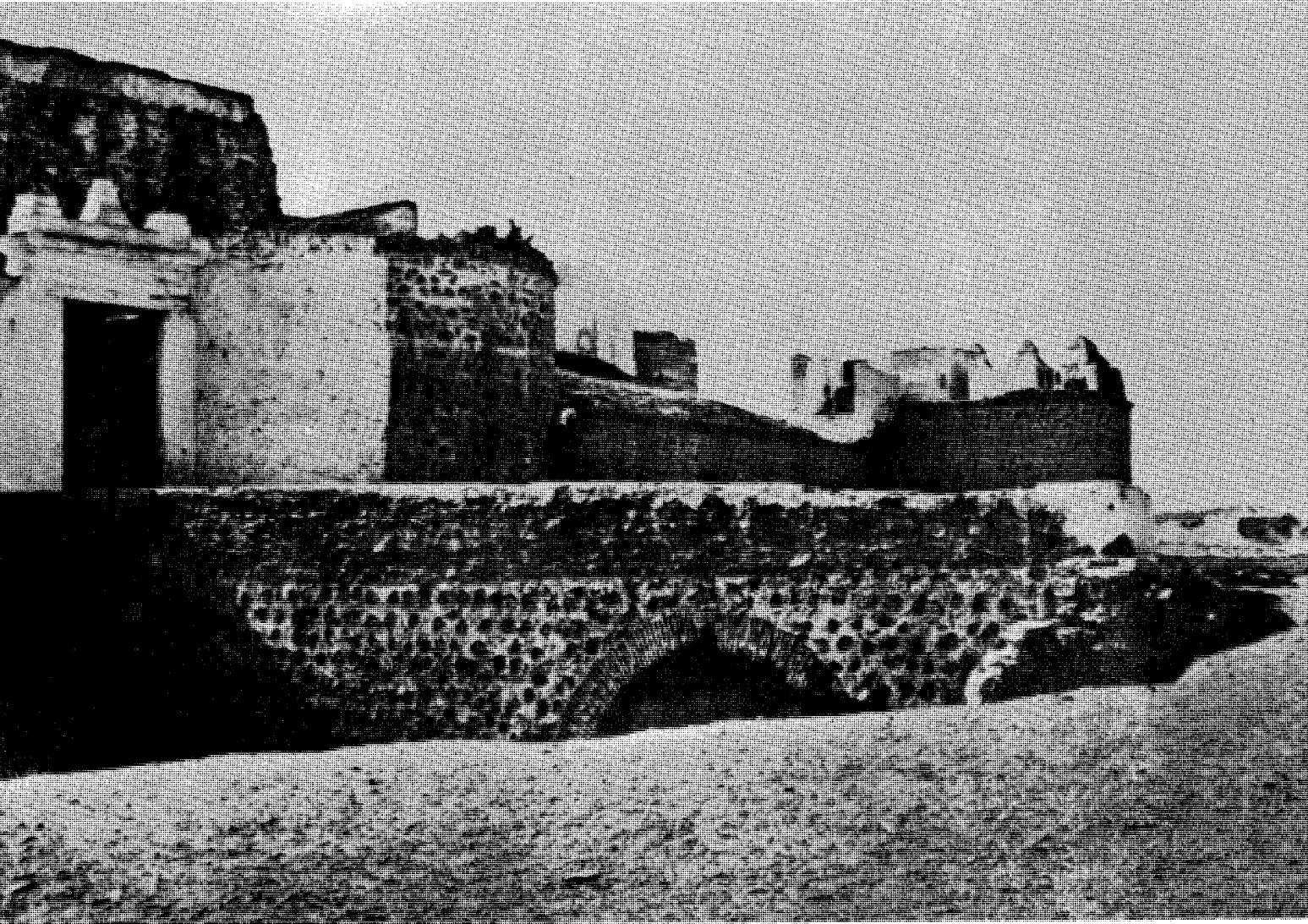
قال : مرفأ السفن ومحطها ، ومنزل عباد المسيح ومختطها . بلدة  
معقلها منيع ، وبردها صنيع ، ومحاسنها غير ذات تقنيع . والقصر  
المفتح الطيقان ، المحكم الاتقان ، والمسجد المشرف المكان ، والائر المنبىء  
عن كان وكان ، كأنه مبرد واقف ، أو عمود في يد مثاقف . قد أخذ من  
الدهر الامان ، وتشبه بصرح هامان (91) ، وأرهفت جوانبه بالصخر  
المنحوت ، وكاد أن يصل ( ما ) بين الحوت والحوت (92) . غصت

(89) يرمى بهذه الكناية الى سوء خلق أهل البلد .

(90) المنكب : مرفأ ساحلى مرتفع ، يقع جنوب شرق الاندلس بمقاطعة غرناطة ،  
يدعى الآن « Almunecar » وقد نزل الامير الاموى عبد الرحمن بن معاوية بهذا  
الميناء عند دخوله الاندلس في ربيع الاول 138 هـ = سبتمبر 755 م ، وهذا  
الامير هو الذى عرف بعدئذ بلقب « الداخل » .  
راجع : الادريسي في « نزهة المشتاق » - ص 199 - نشر دوزى 1866 م ،  
وكذا « الروض المعطار للحميرى ص 186 .

(91) يرمى الى الصرح الذى أمر فرعون وزيره هامان بتشبيده له ، في قوله تعالى :  
« وقال فرعون ياأيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى ، فأوقد لى يا هامان على  
الطين ، فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى ، وانى لاظنه من الكاذبين »  
القصص : 38 .

(92) يعنى بالحوت الاول : السمك ، وبالأخر : نجم ، كناية عن عظم ارتفاع القصر .



حصن المنكب , اول محط لعبد الرحمن الداخل ,

— بقصب السكر — أرضها ، وأستوعب بها (93) طولها وعرضها ، زبيبا فائق ، وجنابها رائق .

وقد مت — اليها — جبل الشوار (94) بنسب الجوار . منشأ الاسطول ، بعدته (95) غير ممطول ، وأمده لا يحتاج الى الطول . الا أن اسمها مظنة طيرة تشتتف (96) ، فالتنكيب — عنها — يؤتتف (97) . وطرقها (98) يمنع شر سلوكها من تردد ملوكها ، وهوؤها فاسد ، ووباؤها مستأسد ، وجارها حاسد . فاذا التهبت السماء ، وتغيرت بالسمايم (99) المسميات والاسماء ، فأهلها — من أجدات بيوتهم — يخرجون (100) ، والى جبالها يعرجون . والودك اليها مجلوب ، والقمح بين أهلها مقلوب ، (105 : ب) والصبر — ان لم يبعثه البحر — مطلوب (101) ، والحرباء — بعرائها — مصلوب (102) ، والحر — بدم الغريب — مطلوب (103) .

- 93 في نسخة ( ر ) « فيها » بدل « بها » .  
94 يقصد به جبل « Sierra del Cazulas »  
راجع في هذا كلا من الحميري في « الروض المعطار » ص 112 ، وكذا :  
« سيمونيت » في تحقيقه ص 47 .  
95 في نسخة ( ط ) « فوعدها » .  
96 في نسخة ( س ) « تستتف » .  
97 يؤتتف : بيتديء .  
98 في نسختي ( س ، ط ) « وطريقها » .  
99 السمايم : الريح الحارة .  
100 اقتباسا من قوله تعالى : « يوم يخرجون من الاجداث سراعا ، كأنهم الى نصب يوفضون » سورة المعارج ، آية : 43 .  
101 لعله يقصد أن القمح هو الآخر يجلب من الخارج ، ثم يصرف بين اهل المدينة ، فان لم تأت به السفن فالصبر نافذ .  
102 لعل السبب لهذا شدة الحرارة ، كما أسلف ، ويبقى الاعتراض على تذكير « مصلوب » والحرباء مؤنثة ، وعلى هذا المرجع أنه يقصد بالحرباء قاطع الطريق العاتى ، بدليل ما بعده ، ويميل « سيمونيت » الى ذلك .  
راجع : سيمونيت في تحقيقه ص : 47 .  
103 ربما يرمى بذلك الى ان أهلها شرار يعترضون طريق الغريب ، بغية السلب ، ولو أدى بهم ذلك الى قتل الغريب ، ومن ثم يكون القصاص منهم .



## 9 - « شلوبانية » (104)

قلت : فشلوبانية ؟

قال : أختها الصغرى ، ولدتها التى يشغل بها المسافر ويغرى ،  
حصانة معقل ، ومرقب متوقل ، وغاية طائر ، وممتع ثائر ، وممتزه زائر ،  
تركب - بدنها - الجداول المرفوعة ، وتخترق - جهاتها - المذانب  
المفردة والمشفوعة ، ففى المصيف تلعب بالعقل الحصيف ، وفى الخريف  
تسفر عن الخصب والريف . وحوت هذه السواحل أغزر من رمله ،  
تغرى (105) القوافل الى البلاد بحمله (106) ، الى الخضر الباكرة ،  
والنعم الحامدة للرب الشاكرة . وكفى بمترايل (107) من بسيطها محلة  
مشهورة ، وعقيلة ممهورة ، ووداعة فى السهل غير مبهورة (108) .  
جامعها حافل ، وفى حلة الحسن رافل . الا أن أرضها مستخلص السلطان  
بين الاوطان ، ورعيتها عديمة الاعيان ، مروعة على الاحيان . وتختص

---

(104) شلوبانية : بلدة على ساحل البحر الابيض المتوسط ، تبعد بمسافة 16 كلم  
شرق المنكب ، وتعرف فى الاسبانية باسم « Salobrena » تحيط بها الجبال  
من الشمال والغرب ، وبها حصن اندلسى من اهم الآثار الاندلسية ، وهو  
يشرف على المدينة من ناحية الشرق من ارتفاع شاهق ، وقد سقطت  
شلوبانية فى يد الاسبان فى نفس العام الذى سقطت فيه المنكب ، اى عام  
1489 م ، والى شلوبانية ينتسب امام النحو الاندلسى « ابو على الشلوبين »  
المتوفى باشبيلية عام 645 هـ ( 1247 م ) .

(105) فى نسخة (س) « تغدو » .

(106) فى نسخة (س) « تحمله » .

(107) مدينة تسمى الآن « Motril » ، يبلغ تعداد سكانها حاليا 50.000 نسمة  
تقريبا ، تبعد عن مالقة بنحو 107 كم ، كما تبعد عن مدينة غرناطة شرقا  
بنحو 74 كم تجاه ساحل البحر الابيض المتوسط ، تشتهر بزراعة تصب  
السكر ، ولها أهمية اقتصادية بين مدن غرناطة ، حيث أنها مركز هام  
للمواصلات .

(108) غير مبهورة : غير مفضولة .

شلوبانية بمزية البنيان ، ولكنها غاب الحميات ، غير أمينة على الاقتيات ،  
ولا وسيمة الفتیان ولا الفتیات (109) .

## 10 - « برجة » (110)

قلت : فبرجة ؟

قال : تصحيف وتحريف ، وتغيير في تعريف (111) . ما هي الابهجة  
ناظر ، وشرك خاطر ، ونسيجة ( 106 : أ ) عارض ماطر ، ودارين (112)  
نفس عاطر . عقارها ثمين ، وحرمها أمين ، وحسنها باد وكمين ، عقود  
أعناؤها قد قرطت آذان الميس (113) والهور (114) ، وعقائل أدواحها  
مبتسمة عن ثغور النور . وسيطها متواضع عن النجد ، مرتفع عن الغور ،  
وعينها سلسالة ، وسبائك (115) المذانب منها مسالة ، تحمل الى كل جهة  
رسالة ، ودورها في العراء مبنوثة ( وركائب النواسم بينها محبوثة ) ،  
لا تشكو بضيق الجوار ، واستكشاف العوار ، وتراحم الزوار .

مياه وظلال ، وسحر حلال ، وخلق دمث كثراها ، ومحاسن متعددة  
كقراها ، ولطافة كنواسمها عند مسراها ، وأعيان ووجوه ، نجل العيون ،

- 
- (109) في نسختي ( ط ، س ) « والفتيات » بدون « لا » .  
(110) برجه : هي « Berja » تقع شرق الاندلس ، وتتبع اقليم المرية .  
(111) يصح أن يكون اسم المدينة مصحف عن « بهجة » ومحرف عن « برج » ، وتقرأ  
معرفة « البرج » ، وهذا مقصد ابن الخطيب من تعبيره عنها .  
(112) دارين : مكان بالبحرين يجلب اليه المسك من الهند ، وينسب اليها . وقد ورد  
هذا المكان كثيرا في الاثعار العربية ، قال بعضهم :

يمرون بالدهنا خفاما عيابهم ويرجعون من دارين بجر الحقائق

- (113) الميس : نوع من الشجر . يوصف بضخامة الادواح والغصون .  
(114) الحور : نوع من الكروم ينهض على ساق .  
(115) في نسخة ( ط ) « وسنابك » .

بيض الوجوه ، غلتهم الحرير ، ومجادتهم غنية عن التقرير . الا أن متبوأها  
بسيط مطروق ، وقاعدتها فروق (116) ، ووتدها مفروق (117) ، ومعقلها  
خرب ، كأنه أحذب جرب ، ان لم ينقل اليه الماء ، برح به الظماء ، ولله  
در صاحبنا اذ يقول :

يا بسيطا بمعانى برجه أصبح الحسن به مشتهدرا  
لا تحرك بفخار مقولا فلقد أقممت منها حجرا  
والبر بها نزر الوجود ، واللحم تلوه وهما طيبنا الوجود ، والحرف  
( 106 : ب ) بها زاوية العود ، والمسلك اليها بعيد الصعود .

## 11 - « دلالية » (118)

قلت : فدلاية ؟

قال خير رعاية وولاية ، حرير ترفع عن الثمن ، وملح يستند على  
الزمن ، ومسرح معروف ، وأرض يثبت بها جبن وخروف . الا أنها لسرايا  
العدو البحرى مجر العوالى ، ومحل الفتكات على التوالى ، فطريقها  
صوى (119) ومشاهد ، والعارف - فى مثلها - زاهد .

116 قاعدتها فروق : اى ان أرضها عرضة للغارات ، التى تجعلها جزة يملكها  
الخوف .

117 وتدها مفروق : كناية عن أن مبانها يفرقها نهر أو واد مثلا ، والتعبير اصطلاح  
عروضى ، والتورية واضحة .

118 دلالية : هى « Dalias » احدى القرى التابعة لولاية المرية ، تبعد بنحو  
9 كم جنوب شرق برجة .

119 صوى : ما يوضع فى الطرق من ا حجار كعلامات ، وفى نسخ رس ، ط ، ر ،  
« هوى » . وقد أوردها « سيمونيت » هكذا ، ولعل الصواب فى نسختنا .

## 12 - « المريية » (120)

قلت : فمدينة المريية ؟

قال : المريية هنية مرية ، بحرية برية ، أصيلة سرية ، معقل الشموخ والاباية ، ومعدن المال وعنصر الجباية ، وحبوة الاسطول (121) ، غير المعلل بالنصر ولا الممطول ، ومحط التجار ، وكرم النجار ، ورعى الجار . ما شئت من أخلاق معسولة ، وسيوف من الجفون السود مسلولة ، وتلك محلولة ، وحضارة تعبق طيبيا ، ووجوه لا تعرف تقطيبا ، ولم تنزل مع الظرف - دار نساك ، وخلوة اعتكاف وامسك .

---

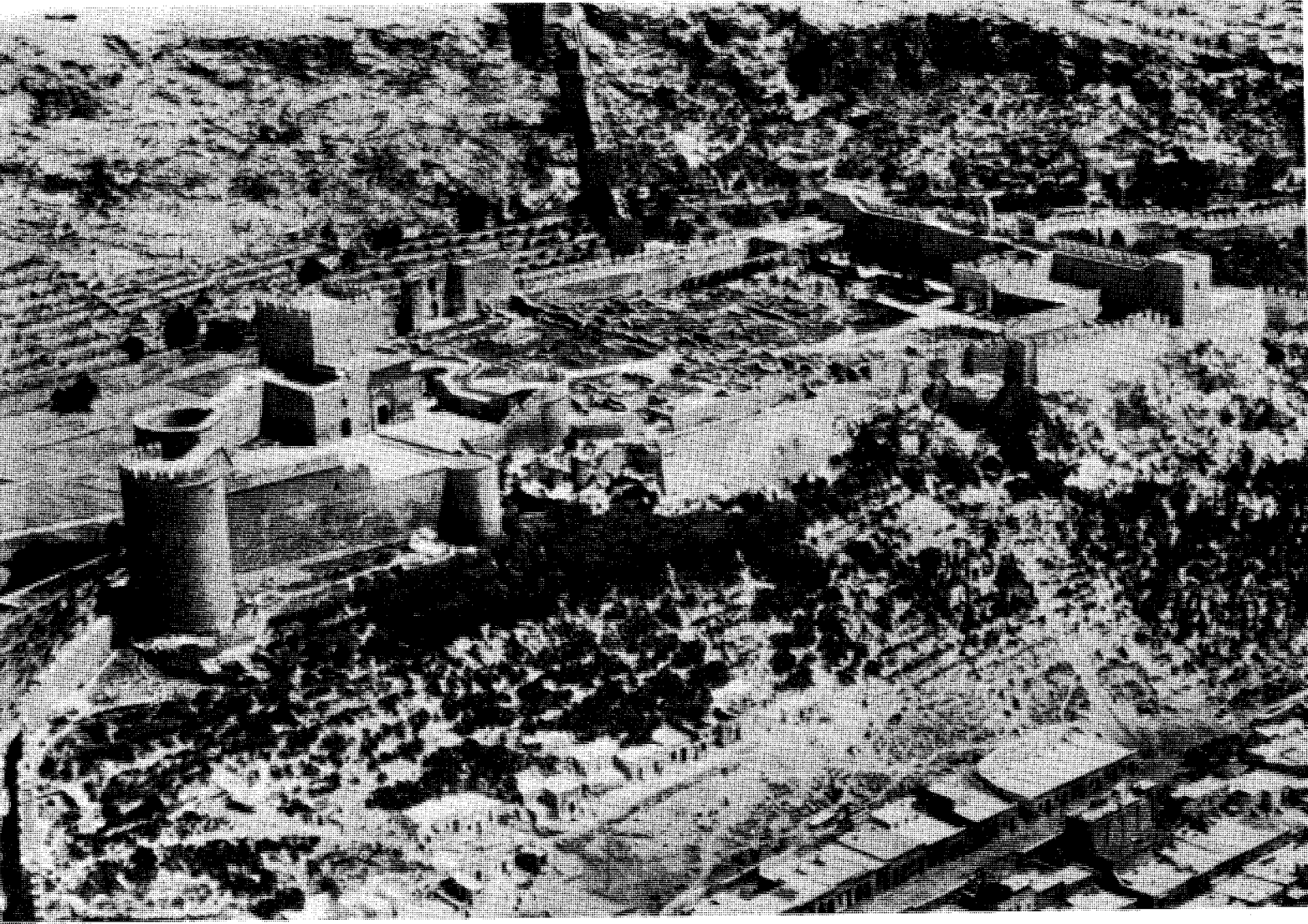
(120) المريية « Almaria » مدينة كبيرة جنوب شرق الاندلس ، ومن أجمل الثغور والمدن الاندلسية ، وهي عاصمة الولاية المسماة ، بهذا الاسم ، يبلغ سكانها اليوم 85.000 نسمة تقريبا ، وأهم صادراتها الحديد والرصاص والفاكهة ، وكانت في العهد الاسلامي من أهم ثغور الاندلس الجنوبية ، بناها الخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر عام 344 هـ = 955 م ، وسقطت في يد الاسبان في فبراير 1490 م ( 895 ) .

راجع : الروض المعطار للحميري ص 183 ، 184 ، وكذلك ما ذكره المستشرق « زيبولد » بدائرة المعارف الاسلامية ، عن وضعية هذه المدينة في العهد الاسلامي ص 319 (Zeybold, Enc. Isl, 1, P. 319)

(121) يقصد القاعدة التي هي مرسى الاسطول .

(122) في نسختي (س ، ر) « وأنف » وهكذا ورد عند « سيمونيت » ، فلعل الصواب في نسختنا ، اذ يرمى المؤلف بتعبيره هذا الى أن معظم اسم المدينة يعنى « المرارة » التي ذاتها العدو فانقلب عنها .

## المرية



صورة للقبة العربية من الجو

أرغم أهلها أنف الصليب ، لما عجم منها بالعود الصليب ، وألف (122)  
لامها وألفها حكم التغليب ، فانقلب منها آيسا (123) عند التغليب :

يسأل عن أهل المرية سائل  
وكيف ثبات القوم والروع باسر

( 107 : أ ) قطا دارج في الرمل في يوم لذة  
ولهو ، ويوم الروع فتح كواسر (114)

بحرها مرفأ السفن الكبار ، وكرسیها هو العزيز عند الاعتبار ،  
وقصبتها سلوة الحزين ، ومودع الخزين ، وفلك المنتزين . وهي محل  
الغلل (125) المجدية ، والاندية (126) المشفوعة الاردية ، ولواديها  
المزية على الاودية . حجة الناظر المفتون ، المكسو الغصون (127) والمتون ،  
بالاعناب والزيتون .

---

(123) ينبغي أن نشير هنا الى هذه المؤامرة السرية الخطيرة التي تمت بين قشتالة  
وأراجون على غزو مملكة غرناطة في آن واحد عام 1309م (709هـ) . وتتلخص  
هذه المؤامرة في أن تهاجم الجيوش القشتالية مدينة الجزيرة الخضراء  
Algociras بالجنوب ، بينما تهاجم الاساطيل الارجونية ثغور المرية من  
الشرق ، ويتابع الطرفان هجومهما حتى يتقابلا في غرناطة نفسها ، وقد  
تعرضت مدن أندلسية كثيرة لشر هذا الاتفاق ، وكانت المرية أكثر المدن  
ابتلاء بهذا الهجوم ، وقد فشل المشروع الهجومي بصمود هذه المدن .  
انظر : ابن القاضى في « درة الحجال في غرة اسماء الرجال » ج 1 ص : 71  
وما بعدها ، نشر علوش . الرباط 1934 م ، وقد ترجم النص الى عدة لغات ،  
منها ترجمة اسبانية لسانثيث البرانث في :

Sachez, Alboremez, La España Musulmana, P. 386-392.

(124) فتح : الاسد ذوات الكف العريض .

(125) في نسختي (س ، ط) « والحلل » .

(126) في نسخة (ط) « والاردية » .

(127) في نسخة (ط) « الخصور » .

بلد الخام (128) ، والرخام ، والذمم الضخام ، وحماتها (129) بديعة الوصف ، محكمة الوصف ، مقصودة للعلاج والقصف . حرها شديد ، ودكرها طويل مديد ، وأثرها على البلى (130) جديد . الا أن مغارمها ثقيلة ، وصفحة جوها — في المحول — صقيلة ، وسماؤها بخيلة ، وبروقها لا تصدق منها مخيلة ، وبلالة النطية منزورة العطية ، وسعرها من الاسعار غير الوطنية . ومعشوق البر بها قليل الوصال ، وحمل البحر صعب الفصال (131) ، وهي متوقعة الا أن يقى الله طلوع النضال ، وعادة المصال (132) .

### 13 — « طبرنش » (133)

قلت : فطبرنش ، من شرقيها ؟

قال : حاضرة البلاد الشرقية (134) ، وثنية البارقة الافقية . ما شئت من تنجيد بيت ، وعصير زيت (135) ، ( 107 : ب ) واحياء أنس

- (128) في نسختي ( ط ، ر ) « الكتان » ففي نسختنا اعم .  
(129) حميتها : لا يقصد بلدة الحامة « Alhama » التي سيفرد ابن الخطيب لها وصفا خاصا بها بعد قليل . وانما يقصد العين الحارة الخاصة بالمرية ، وذلك خلافا لما ذكره العبادي في « المشاهدات » .  
(130) في نسخة ( ر ، س ) « البلاد » ، وقد اوردها « سيمونيت » كذلك ، ولعلها في نسختنا اصوب .  
(131) في نسختي ( ر ، ط ) « العضال » وقد اوردها « سيمونيت » كذلك ، ولصل الصواب في نسختنا ، فهو يعنى أن حمل السفن من قمح وخراسه صعب الفصال ، وهو كناية عن قلة البر وغلاؤه .  
(132) المصال : الكناح .  
(133) طبرنش : هي « Tabernas » وتعنى باللاتينية : حوانيت واكواخ . انظر : سيمونيت في تحقيقه . Simonet. O.P. Cit. P. 103 .  
(134) في نسخة اخرى « البلاد الشرقية » .  
(135) في نسخة (س) « وعصر الزيت » .

ميت ، وحمام طيب ، وشعب تنتثر فيه دنانير أبي الطيب (136) . الا أنها  
 محيلة الغيوث ، عادية الليوث ، متحزبة الاحزاب (137) شرهة الاعزاب .  
 ولو شكر - الغيث - شعيرها ، أخصبت - البلاد - غيرها .

#### 14 - « بيـرة » (138)

قلت : فبيـرة ؟

قال : بلدة صافية الجو ، رحيية الدو (139) ، يسرح بها البعير ،  
 ويجم بها الشعير ، ويقصدها - من مرسية وأحوازها - العير ، فساكنها  
 بين تجر وابتغاء أجر ، وواديها نيلى الفيوض والمدود ، مصرى التخوم  
 والحدود ، ان بلغ الى الحد المحدود ، فليس رزقه بالمحصور ولا بالمعدود .  
 الا أنها قليلة المطر ، مقيمة على الخطر ، مثلومة الاعراض والاسوار ، مهطعة  
 لداعى البوار ، حليفة حسن مغلوب ، معللة بالماء المجلوب ، آخذة  
 باكظام القلوب ، خاملة الدور ، قليلة الوجوه والصدور ، كثيرة المشاجرة  
 والشور ، برها أنذر من برها فى المعتمر والبور ، وزهد أهلها فى الصلاة

(136) يرمى بذلك الى وصف المتنبي (303 - 354 هـ/915 - 965 م) للشعب بوان ،  
 فى تساقط أشعة الشمس من خلال الاوراق على الارض ، وكأنها الدنانير ،  
 وشعب بوان هو مكان بفارس قرب شيراز ، يوصف بكثرة المياه والاشجار .  
 قال المتنبي فى وصفه :

فدوننا تنفض الاغصان نيسه	على اعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجب الشمس عنى	وجئن من الضياء بما كفانى
والقى الشرق منها فى ثيابى	دنانير تفر من البنان

راجع : العرف الطيب - لليازجى ج 7 ص 603 - 612 .

(137) فى نسختى (ر ، س) « شريفة » فلعل الصواب فى نسختنا .

(138) بيـرة : هى بالاسبانية « Vera » تقع شمال شرق مملكة غرناطة ، وهى بلدة

مرتفعة ، على ساحل البحر الابيض المتوسط ، مما أكسبها أهميتها الحربية .

(139) الدو : الفضاء خارج المدينة .



شائع في الجمهور ، وسوء ملكة الاسرى من الذائع ( بها ) (140)  
والمشهور .

( ما قام خيرك يا زمان بشره اولى لنا ما قل منكوما كفى ) (141)

### 15 - « مجاقر » (142)

قلت : فمجاقر ؟

قال : حصن جديد ، وخير مديد ، وبحر ما على افادته مزيد ،  
( وخصب ثابت ويزيد ) (143) . ساكنه قد قضى - الحج - أكثره ،  
وظهر ( 108 : أ ) عين الخير فيه وأثره ، الا أنه لا تلقى - به للماء -  
بلالة ، ولا تستشف للجود علالة .

### 16 - « قنتورية » (144)

قلت : فقنتورية ؟

قال يسار يمينها ، وغبار كمينها ، ومعمول يمينها ، وجود بها الجبن  
والعسل ، ومن دونها الاسل (145) ، وأما عن الخبز فلا تسل . وان كانت  
أحسن شكلا ، فأقل شربا وأكلا ، وأجفا أهلا ، وأشد جهلا ، وأعدم علا

(140) زيادة في « س » .

(141) هذا البيت ورد في النسخ الاخرى ، وأثبتته « سيمونيت »

Simonet OP. Cit. P. 112

(142) مجاقر : هي بالاسبانية « Mojacar » احدى قرى الاندلس الصغيرة ، مسا  
زالت حتى اليوم ، وما زال نساؤها حتى الآن يرتدين الحجاب .

(143) زيادة في « س ، ط » .

(144) قنتورية : هي « Cantoria » تقع جنوب « برشانة » على نهر المنصورة .

(145) كناية عن بخل اهلها ، بدليل ما ذكره بعدئذ .

ونهلا ، وأهلها شرار ، أضلعمهم بالظماء (146) حرار . لا تلتفى بها  
نغبة (147) ماء ، ولا تعدم (148) مشقة ظماء ، ولا تنوج أفقها الا في  
الندرة قزعة سماء .

## 17 - « برشانة » (149)

قلت : فبرشانة ؟

قال : حصن مانع ، وجناب يانع ، أهلها أولو عداوة لاخلق البداوة ،  
وعلى وجوههم نضرة وفي أيديهم نداوة ، يداوون بالسلافة (150) علل  
الجلافة ، ( ويؤثرون علل التخلف على لذة الخلافة ) (151) ، فأصبح  
ربعمهم ظرفا ، قد ملئ ظرفا ، فللمجون به بسوق ، وللفسوق ألف سوق ،  
تشمر به الاذيال عن سوق . وهي تبين بعض بيان عن أعيان ، وعلى وجوه  
نسوانها طلاقة ، وفي ألسنتهم ذلاقة ، ولهن بالسفارة (152) في الفقراء  
علاقة . (153) الا أن جفنها ليس بذى سور يقيه مما يتقيه ، ووغدها يتكلم  
بملىء فيه ، وحليهما يشقى بالسفيه ، ومحياها تكمن حية الجور فيه .

146) في نسختي (س ، ر) « بالظما » وهكذا أوردها « سيمونيت » ، ولعل الصواب  
في نسختنا .

147) النغبة : بالتشديد مع الفتح أو الضم ، بمعنى الجرعة من الماء .

148) في نسخة (س) « ولا يعدم » .

149) هي « Purchena » وتقع على نهر المنصورة ، تتبع ولاية « المرية » ، ويوجد  
مكان آخر بهذا الاسم بولاية « جيان » .

انظر « الروض المعطار » للحميري ص 52 حاشية 1 .

150) السلافة : أفضل أنواع الخمر ، اذ هي السائل قبل العصير

151) هذه العبارة زائدة في النسخ الاخرى ، والعلل هو الشرب للخمر المرة تلو  
المرة ، فأهل المدينة يؤثرون ذلك على لذة الملك .

152) في نسختي (س ، ر) « عن » ، وهو أصوب وأنسب .

153) كناية عن اشتغال بعض نسائها بالقوادة .

## 18 - « أوربية » (153)

قلت : فأوربية ؟ ( 108 : ب ) .

قال : بلد الجبن والعسل (154) ، والهواء الذي يذهب بالكسل ، وأما عن الماء البرود فلا تسل . ادامه الصيد الذي لا يتعذر ، وقونه الشعير الذي ييذر . الا أنه بادي الوحشة والانتقطاع ، والاجابة لداعى المخالفة (155) والاهطاع (156) . وحش الجناب (157) ، عرى من ثمرات النخيل والاعناب ، حقيق لمعرة العدو والاجتناب .

## 19 - « بليش الشقراء » (158)

قلت : فبليش ؟

قال : ثغر قصى ، وقياد (159) - على الامن - عصى ، ويتيم ليس عليه - غير العدو - وصى . ماؤه معين ، وحوره عين ، وخلوته - على النسك وسواه - تعين . وبه الحمام ، والنطف الجمام (160) ، ولاهله بالصيادة اهتمام ، وعسله - اذا اصطفت العسول - امام . الا أنها

- 
- (153) هي المعروفة اليوم باسم « Oria » بولاية الحيرة .  
(154) في النسخ الاخرى « بلدة » .  
(155) في نسخة اخرى « المخالفة » .  
(156) الاهطاع : الاسراع في خوف .  
(157) في نسختى ( س ، ر ) « وحسن » هكذا أوردها « سيمونيت » ، وهو ما يتناسب مع السياق العام للوصف .  
(158) هي « Velez Rubio » تقع قرب مدينة « لورقة » ، علاوة على « بليش البيضاء » « y en sun proximadales Velez Blancc »  
كما توجد بليش اخرى تدعى « Velez Malaga » وهي قرب « مالقة » .  
(159) في النسخ الاخرى بحذف « وقياد » .  
(160) النطف الجمام : الماء الكثير .

بسطة غرناطة



منظر عام للمدينة

بلدة منقطعة بائية ، وبأحواز العدو كائنة ، ولحدود لورقة (161) - فتحتها  
الله - مشاهدة معاينة . وبرها الزهيد القليل يتحف به العليل ، وسبيل  
الامن اليها غير سبيل ، ومرعاها - لسوء الجوار - وبيل .

## 20 - « بسطة » (162)

قلت : فمدينة بسطة ؟

قال : وما بسطة ! بلد خصيب ، ومدينة لها من اسمها نصيب ،  
دوحها متهدل ، (163) وطيب هوائها غير متبدل ، وناهيك من بلد اختص  
أهله في معالجة الزعفران ، وامتازوا به عن غيرهم من الجيران . عمت  
- أرضها - السقيا فلا تخلف ، وشملتها البركة يختص الله (164) 109:  
أ ) من يشاء ويزلف ، يتخلل - مدينتها - الجدول المتدافع ، والناقع  
للغلل (165) النافع . ثياب أهلها بالعبير تتأرجح ، وحوورها تتجلى وتتبرج  
وولدانها - في شط انهارها المتعددة - تتفرج . ولها الفحص الذي يسافر  
فيه الطرف سعيا ، ولا تعدم السائمة به ريا ولا رعيا ، ولله در القائل :

ألجأني الدهر الى عالم يؤخذ منه العلم والدين (166)  
في بلدة عوذت نفسى بها اذ في اسمها طه وياسين

161 لورقة : مدينة تبعد عن مرسية بنحو 60 كم على مرتفع جبلى ، نهى قلعة مرسية  
في الحروب الاسلامية النصرانية ، وقد سقطت لورقة هذه في يد الاسبان عام  
1248 م ( 645 هـ ) .

راجع : الروض المعطار ص 171 .

162 بسطة : تعرف الآن في الاسبانية باسم « Baza » تقع شمال شرق غرناطة  
بنحو 25 كم .

163 في نسختي (س ، ر) « متدل » .

164 في نسختي (ط ، ر) « تختص » .

165 في نسخة (ط) « للعلل » .

166 في نسخة (ط) يتأخر البيت الاول عن الثانى ، وهو ما لا يتناسب والسياق  
العام ، وهكذا اوردها سيمونيت دون اشارة الى نسختنا .

الا أن ترتبها تفضح البناء ، وان صحبة الاعتناء ، فأسوارها تسجد عند الإقامة ، وخذقتها - لأكسارها - تلقامة ، فهي - لذلك - غير دار (167) مقامة ، ورياحها عاصفة ، وعودها قاصفة ، وحاميتها تنتظر الى الهياج ، من خلف سياج ، فالعدو فيها شديد الفتكات ، معمل الحركات ، وساكنها دائم الشكات ، وحدها قليل ، وأعيانها قليل (168) ، وعزيزها - لتوقع المكروه - ذليل .

## 21 - « أشكر » (169)

قلت : فأشكر ؟

قال : نعم البسيط المديد ، والرزق الجديد ، والتقى (170) العديد ، والصيد والقديد (171) ، تركب الجداول فحصها ، ويأبى الكمال نقصها ، ويلزم ظل الخصب شخصها . مسرح البهائم ، ومعدن الرعى الدائم . الا أن معقلها لا يمنع ، ومكانها يحوم عليه ( 109 : ب ) الحادث الاثنع ونفوس أهلها مستسلمة لما الله يصنع .

---

(167) في نسخة ( ط ) « خير » ، وهو ما لا يتناسب والسياق العام لوصف طبيعة البلد ، وقد أوردتها سيمونيت كذلك مخالفة لنسختنا .

(168) هذه الجملة زائدة في نسختنا ، دون النسخ الأخرى .

(169) أشكر : هي « Huescat تتبع ولاية غرناطة ، موقعها شمال بسطة ، ويشير « سيمونيت » عند ذكر هذه المدينة الى المنازعات التي كانت بين المسلمين والنصارى أيام ابن الخطيب .  
راجع : Simonet. OP. Cit. p. 63

(170) في نسخة ( ط ) « والسعى » .

(171) في نسختي ( ر ، س ) « القديد » بدون الواو .

## 22 - « أندرش » (172)

قلت : فأندرش ؟

قال : عنصر جباية ، ووطن بهم (173) أولو اباية ، حريرها ذهب ، وتربها تبر منتهب (174) ، وماؤها سلسل ، وهواؤها لا يلفى معه كسل .  
الا أنها ضيقة الاحواز والجهات ، كثيرة المعابر والفوهات . أعرابها أولو استطالة ، وابناء مترفيها كثيرو البطالة ، فلا يعدم ذو الزرع عدوانا ، ولا يفقد غير الشر نزوانا ، وطريقها غير سوى ، وساكنها ضعيف يشكو من قـوى .

## 23 - « شبالش » (175)

قلت : فشبالش ؟

قال : معدن حرير خلصت سبائكها ، وأثرى بزازه وحائكها ، وتهدلت حجاله وتمهدت آرائكها ، وجباية سهل اقتضاؤها ، وجمت بيضاؤها . الا

- 172 أندرش : هي « Andorax » تتبع المرية ، مدينة صغيرة ، توجد الآن قرب ولايتها ، واسمها يطلق على نهر هناك ينبع من جبل الثلج Sierra Nevada ويصب في البحر الابيض المتوسط .
- 173 في نسخة ( ر ) « به » بدل « بهم » ، والبهم بضم ففتح ج بهمة ، وهو الشجاع ، يقول البوصيري :
- طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا  
فما تفرق بين البهم والبهم
- 174 في نسختي ( س ، ر ) « ملتهب » هكذا أوردها « سيمونيت » ، ولعل الصواب في نسختنا .
- 175 في نسخة ( ط ، ر ) « الفرغ » ، هكذا أوردها سيمونيت ، وهو ما لا يتناسب والسياق ، فلعل الصواب في نسختنا .
- 175 تسمى بالاسبانية « Jubles » موقعها بأطراف جبل الثلج « Sierra Nevada » وكانت عبارة عن حصن في العصور الاسلامية ، وقد تحدث « سيمونيت » عن هذا الحصن وأهميته في الحروب الاهلية ، التي كانت تنشب في غرناطة على مر عصورها الاسلامية المختلفة .  
راجع في هذا : « سيمونيت » ص 102 .

أنه وطن عدم ادامة ، وبيت ظهر اهتمامه ، وفقدت به حيل التعميش  
وأسبابه ، ومحل لا يقيم به الا أربابه .

## 24 - « وادى آش » (176)

قلت : فمدينة وادى آش ؟

قال : مدينة الوطن ، ومناخ من عبر أو قطن ، للناس ما بدا (177)  
ولله ما بطن . وضع سديد ، وبأس شديد ، ومعدن حديد ، ومحل عدة  
وعديد ، وبلد لا يعتل فيه الا النسيم ، ومرأى يخجل منه الصباح الوسيم .  
كثيرة الجداول والمذائب ، مخضرة الجوانب . الى ( 110 : أ ) الفواكه  
الكثيرة ، والكروم الاثيرة ، والسقى الذى يسد الخلة ، ويضاعف الغلة .  
وسنדה معدن الحديد والحريير ، ومعقلها أهل للتاج والسريير . وهى  
دار أحساب ، وارث واكتساب ، وأدب وحساب . وماؤها مجاج الجليد ،  
وهواؤها يذكى طبع البليد . الا أن ضعيفها يضيق عليه المعاش ، وناقها  
ينعذر عليه الانتعاش ، وشيخها يسطو على عصابة الارتعاش (178) .  
فهى ذات برد ، وعكس وطررد ، ما شئت من لحي راعد ، ومقرور على  
الجمر قاعد ، ونفس صاعد ، وفتنة يعد بها واعد ، وشرور تسل الخناجر ،  
وفاجر يسطو بفاجر ، وكلف بهاجر (179) ، واغتمام تبلغ به القلوب  
الخناجر ، وزمهيرير تجمد له المياه فى ناجر شهر (180) . وعن ذلك قدرتها

---

176 وادى آش : هى « Guadix » تقع شمال شرق غرناطة ، على نهر « فردس »  
وتبعد عن غرناطة بنحو 55 كم .  
راجع : الحميرى فى : « الروض المعطار » ص 192 - 193 نشر ليفسى  
بروفنسال

- 177 فى نسخة (ط) « ما ظهر » .  
178 فى نسختى (ط ، س) « وشيخها يخطو على تصبة الارتعاش » .  
179 الهاجر : الفحش والبذىء من القول .  
180 شهر ناجر : كل شهر من شهور الصيف ، لان الإبل تنجر فيه اى تعطش .



أسمح (181) للحالب ، ونشيدتها أقرب للطالب ، ومحاسنها أغلب والحكم  
للقالب .

## 25 - « فنيانة » ( 182 )

قلت : ففنيانة ؟

قال : مدينة ، وللخير خدينة ، ما شئت من ظبي غرير ، وعضب  
طرير (183) ، وغلة وحرير ، وماء نمير ، ودوام للخزين (184) وتعمير .  
الا أن بردها كثير ، وودقتها نثير ، ووشرارها لهم في الخيار تأثير .

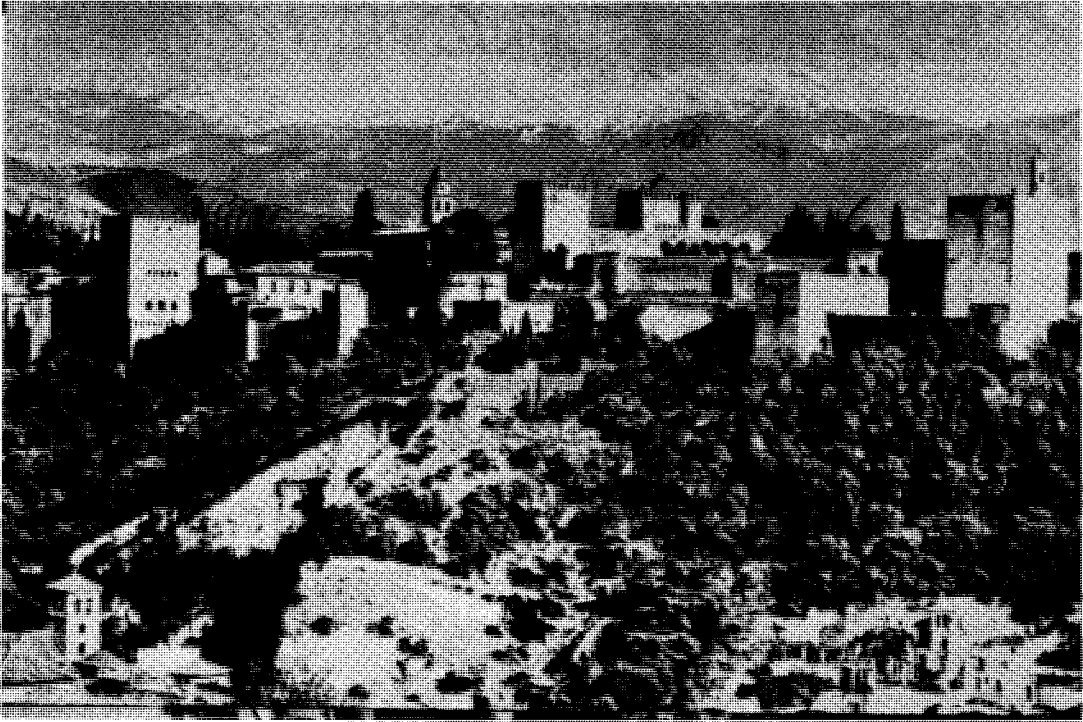
## 26 - « مدينة غرناطة » ( 185 )

قلت : فمدينة غرناطة ؟

قال : حضرة سنية ، والشمس ( بها ) عن مدح المادح غنية ،

- 
- (181) في نسختي (س ، ر ) « اسمع » وهكذا أوردها « سيمونيت » ، ولكنها في  
نسختنا أصوب
- (182) هي « Finana » تقع ضمن مقاطعة المرية على مسافة 30 كم . جنوب شرق  
وادي آش .  
راجع : الحميري في « الروض المعطار » ، ص 172 حاشية 2 .
- (183) عضب طرير : سيف ذي حد مرهف .
- (184) في نسختي (س ، ر ) « للتخزين » .
- (185) هي Granada ومعناها « الرمانة » ، وهي شعارها التاريخي ، تقع في واد  
عميق ، يمتد من المنحدر الشمالي الغربي لجبال « سييرانيفاذا » ويحدها من  
الجنوب نهر شنيل فرع الوادي الكبير ، ويخترق فرعه « حدره » المدينة من  
الوسط ، والى يمينه يقع حي البيازين ، ومعظم المدينة الحديثة ، وتقع قسبة  
الحمراء في الناحية الاخرى . وقد سقطت غرناطة بالتسليم في يد الملكين  
الكاثوليكين « فرناندو وايزابيلا » في 2 يناير 1492 م ( 2 ربيع الاول 897 هـ ) .  
وهي خاتمة الفتوح التي توجت حروب الاسترداد la Reconquista لذلك تحظى

## غرناطة



## الحمراء وقلمتها

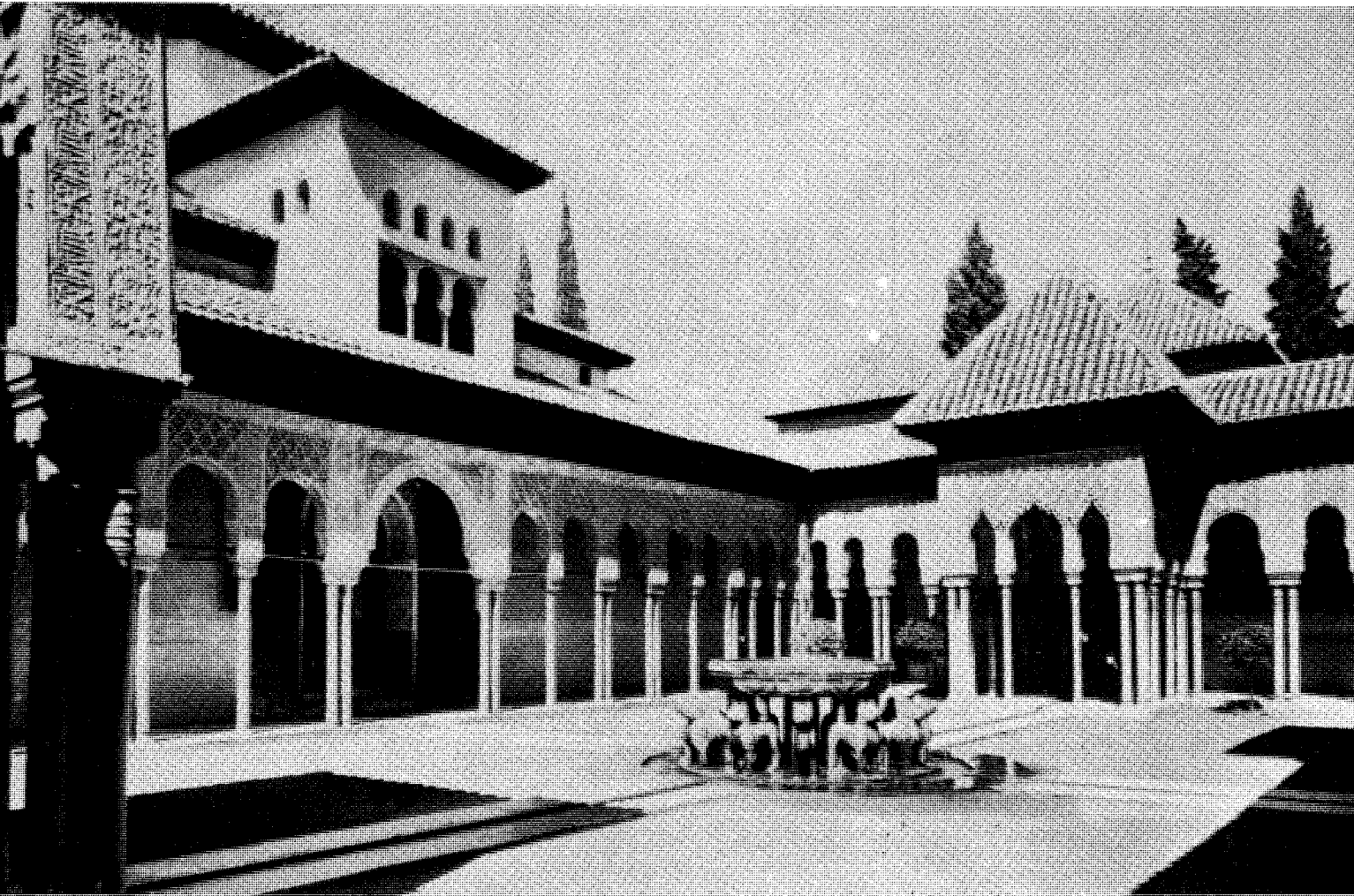
كبرت عن قيل وقال ، وجلت عن ( 110 : ب ) وامق (186) وقال (187) ، وقيدت العقل بعقال ، وأمنت حال حسنها من انتقال . لو خبرت في حسن الوضع لما زادت وصفا ، ولا أحكمت رصفا ، ولا أخرجت

غرناطة بمنزلة خاصة في نفوس الاسبان ، وفي التاريخ الاسباني كذلك ، فهي المرقد الابدي لفاتحها الكاثوليكين ، كما حباها ملوك اسبانيا بعنايتهم ، وفي مقدمتهم الامبراطور « شارلكان » الذي أسس جامعتها الشهيرة . وغرناطة اليوم ولاية ومدينة ، فكونها ولاية تشمل مساحة قدرها 5.000 ميل مربع يحدها البحر من الجنوب ، ومن الشمال ولايات قرطبة وجيان ، ومن المشرق ولايتا المرية ومرسية ، ومن الغرب ولاية مالقة ، وتخترقها وتظللها جبال الثلج « سييرانيغادا » ويرويها كل من نهر الوداي الكبير وفرعه نهر شنيل ، وجوها جار ، ولاسيما في الوديان المنخفضة ، وباردة في التلال ، وترتبتها خصبة جدا ، ولاسيما في المغرب والجنوب ، ويبلغ سكان الولاية 1.500.000 نسمة تقريبا ، ويتبعها من المدن : وادي آش ، واشكر ، ومتريل ، والحامة ، وستافي ، ولوشه ، وحصن اللوز ، ومونتي فريو ، واجيجر ، وبسطة ، والمنكب ، وأرجية ، وشلوبانية . وغرناطة العاصمة حاليا لثلاثة اقسام ، هي : انتكروولا ، وغرناطة ، والبيازين . وهي مدينة زراعية صناعية ، ويبلغ عدد سكانها اليوم حوالي 170.000 نسمة ، وتمتاز بكثرة منشآتها العلمية والفنية ، وقد تأسست جامعتها عام 1531 م في عصر الامبواطور شارلكان ، وقد بارك المشروع « البابا كليمنت السابع » وأصدر مرسوما بانشاء الجامعة التي تشتمل على كليات ، هي : الفلسفة والآداب ، والعلوم ، والحقوق ، والطب ، والصيدلة . ويلحق بكلية الآداب — معهدان هما : معهد تاريخ الملكين الكاثوليكين ، وقد أنشئ عام 1943 م ، والثاني مدرسة الأبحاث العربية بغرناطة ، والتي تعمل بالتعاون مع مدرسة « بيجيل آسنن » للدراسات العربية بمديرد ، ويصدران معا « مجلة الاندلس » ، وبغرناطة عدة متاحف ، منها متحف الحمراء ، والمتحف الاثري ، ومتحف البلدية . أما المعالم والآثار الاندلسية الباقية فهي : الحمراء ، وحى البيازين ، وميدان باب الرملة ، والتيسرية ، والمدرسة ، والخان ، والابواب والاسوار ، وقصر شنيل .

راجع : رحلة ابن بطوطة لهذه المدينة ، ج 2 ص 1187 ، 68 — 27 ، وكذا : Simonet, OP. Cit.

(186) الوامق : المحب .

(187) القال : الكاره .



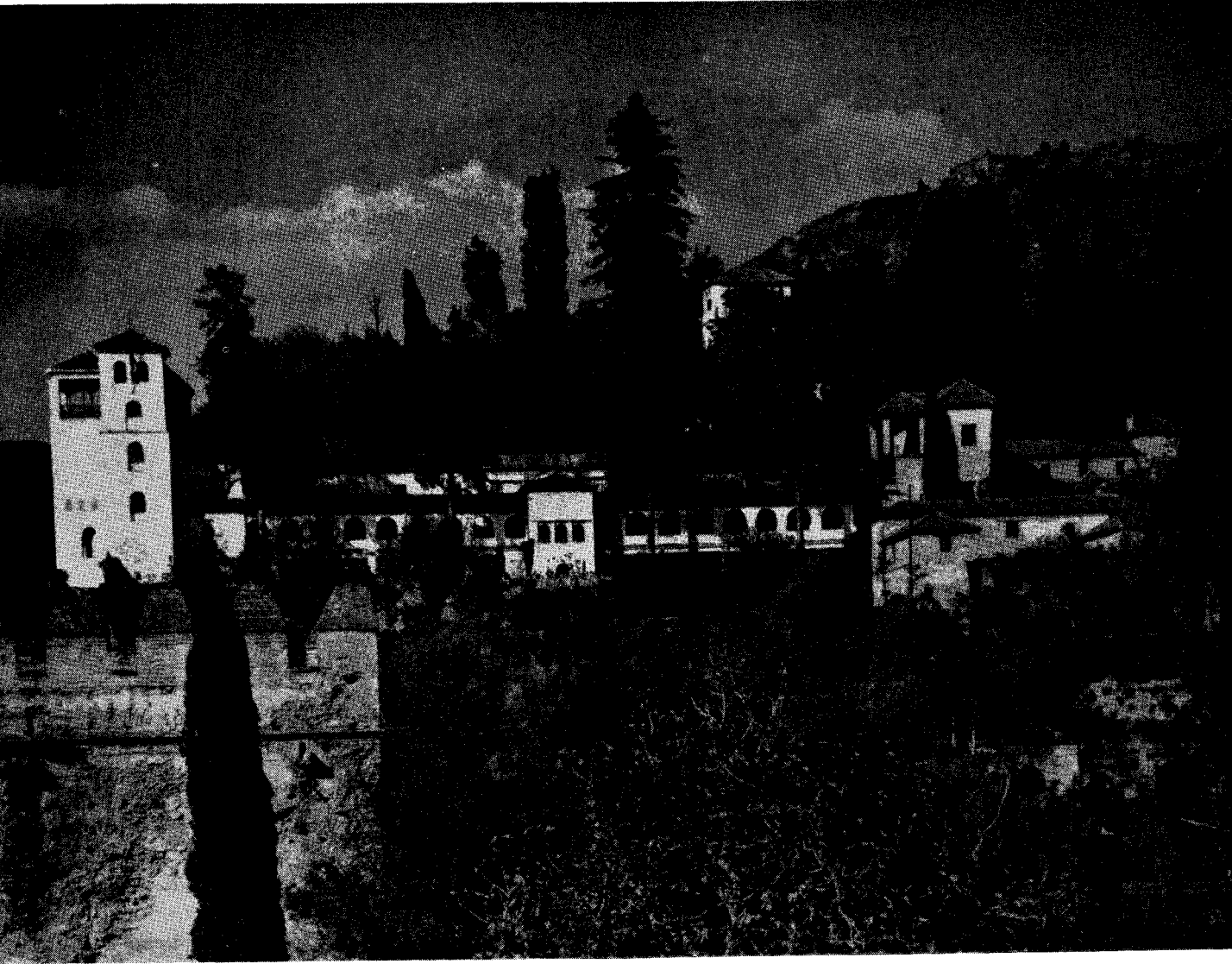
فناء الاسود ( قصر الحمراء )

أرضها ريحانا ولا عصفا (188) ، ولا أخذت بأثنتات المذاهب ، وأصناف  
المواهب جدا و (لا) قصفا . كرسيتها ظاهر الاشراف، مطل على الاطراف،  
وديوانها مكتوب بآيات الانفال والاعراف ، وهوؤها صاف ، وللانفاس  
مصاف . حجبت - الجنوب عنها - الجبال ، فأمن (189) الوباء والوبال ،  
وأصبح ساكنها غير مبال، وفي جنه من النبال، وانفسحت للشمال (190) ،  
واستوفت الشروط على الكمال ، وانحدر منها مجاج الجليد على الرمال .  
وانبسط - بين يديها - المرج الذي نضرة النعيم لا تفارقه ، ومدارى  
النسيم تفلى بها مفارقه . ريع من واديه بثعبان مبين ، ان لدغ تلؤل  
شطه تله للجبين ، وولدت حيات المذانب عن الشمال واليمين (191) ، وقلد  
منها اللبات سلوكا تأتي (192) من الحصباء بكل در ثمين ، وترك الارض  
مخضرة ، تغير من خضراء السماء ضرة ، والازهار مفتره ، والحياة الدنيا  
- بزخرفها - مغتره .

أى واد أفاض من عرفات  
فوق حمرائها أتم أفاضة

( 111 : أ ) ثم لما استقر بالسهل يجرى  
ثبق منها بحلة ففاضة  
كلما انساب كان غضبا صقلا  
واذا ما استدار كان مفاضة (193)

- 
- 188 العصف : ورق الزرع .  
189 فى نسخة ( س ) « فأمنت » .  
190 الشمال : رياح الشمال .  
191 فى نسخة ( س ) « وولد حيات المذانب تأتي عن الشمال واليمين » .  
192 فى نسختى ( ر ، س ) « تائر » ، وهكذا أوردها سيمونيت ، والصواب فى  
نسختنا .  
193 مفاضة : درع .



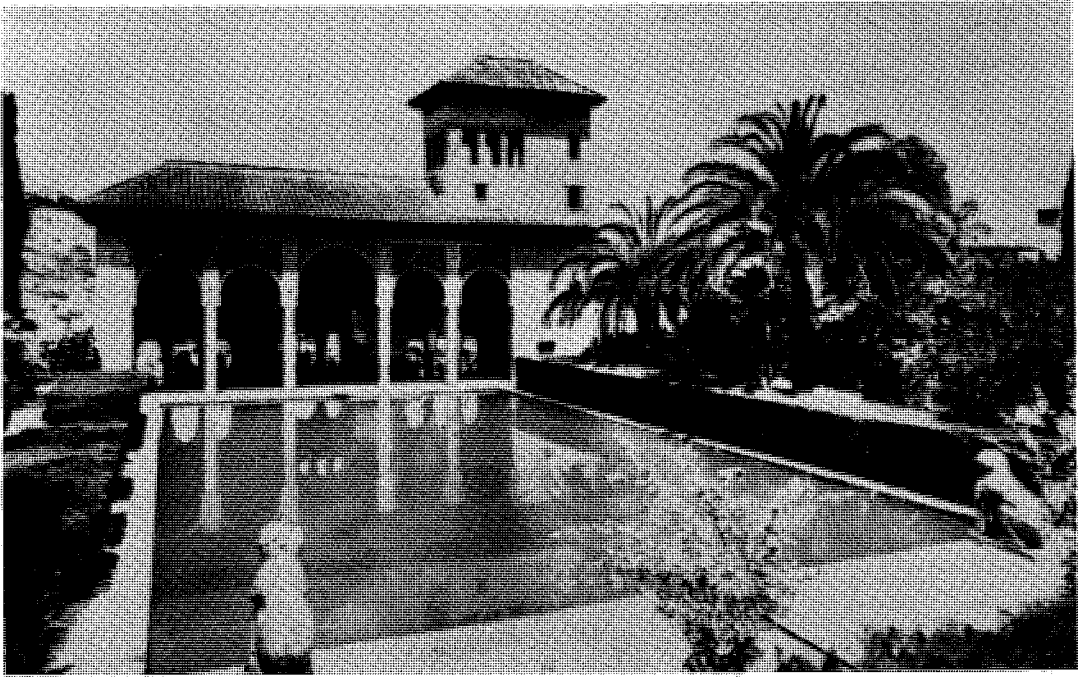
قصر جنة العريف من الخارج  
( الحمراء )

فتعددت القرى والجنات ، وحفت — بالامهات منها — البنات ،  
ورف النبات ، وتدبجت الجنبات ، وتقلدت اللبات ، وطابت بانواسم  
المهبات ، ودارت بالاسوار دور السوار المنى والمستخلصات ، ونصبت  
— لعرائس الروض — المنصات ، وقعد سلطان الربيع لعرض القصات ،  
وخطب بلبل الدوح فوجب الانصات ، وتموجت الاعناب ، واستبحر — بكل  
عذب الجنا — منها الجناب ، وزينت السماء الدنيا من الابراج العديدة  
بأبراج ، ذات دقائق وأدراج ، وتنفست الرياح عن أراج ، أذكرت الجنة  
كل امل ما عند الله وراج .

وتبرجت بحمرائها القصور مبتسمة عن بيض  
الشرفات ، ساغرة عن صفحات القبات المزخرفات . تقذف — بالانهار من  
بعد المرتقى — فيوض بحورها الزرق ، وتناغى — أذكار المآذن  
بأسمارها — نغمات الورق . وكم أطلعت من أثمار وأهلة ، وربت من  
ملوك جلة ، الى بحر التمدن (194) المحيط الاستدارة ، الصادر عن الاحكام  
والادارة ، ذى المحاسن غير المعارة ، المعجزة لسان ( 111 : ب ) الكناية  
والاستعارة ، حيث المساجد العتيقة القديمة ، والميازب الحافظة للرى  
المديمة ، والجسور العريضة ، والعوائد المقدرة ( تقدير الفريضة ،  
والاسواق المرقومة الاطواق ) (195) بنفائس الاذواق ، والوجوه الزهر ،  
والبشرات الرقاق ، والذى الذى غاق زى الآفاق ، وملا قلوب المؤمنين  
بالاشفاق :

بلد جلها الله حسنا وسنى  
وأجر السعد من حل لديها رسنا

- 
- (194) وردت هذه العبارة في نسختي ( ط ، ر ) هكذا : « الى التمدين المحيط  
الاستدارة » كما أوردها بهذا سيمونيت ، ولعلها في نسختنا أوفى  
(195) هذه الزيادة بين القوسين وجدتها في نسختنا فقط .



بركة البرطل  
( الحمراء )



قد أجنّت سكرًا جما ورزقا حسنا  
أعجزت عن (196) منتهى الفخر البعيد السنا (197)

يروقك في أطرافها حسن الصور وجمالها ، وظرف (198) الصنائع  
وكمالها ، والفعلة وأعمالها ، حتى الاطلال وانهما لها ، والسؤال  
وأسمالها (199) :

كل عليه من المحاسن لمحمة في كل طور للوجود تطورا  
كالروض يعجب في ابتداء نباته واذا استجم به النبات ونورا  
واذا الجمال المطلق استشهدته ألغيت ما انتحل الخيال وزورا

(112 : أ) ثم قال : أي أمن (200) عرى من مخافة ، وأي حصافة  
لا تقابلها سخافة ، ولكل شيء آفة . لكنها - والله - بردها يطفىء حر  
الحياة ، ويمنع الشفاه عن رد التحيات ، وأسعارها يشعر معيارها  
بالترهات (201) ، وعدوها يعاطى كئوس الحرب فهاك (202) وهات .  
البي السكك التي بان خمولها ، ولم يقبل الموضوع محمولها ، والكرب الذي  
يجده الانسان فيها ، صادف اضافة أو ترفيها ، والمكوس التي تطرد البركة  
وتنفيها . الى سوء الجوار ، وجفاء الزوار ، ونزلة الديار ، وغلاء الخشب  
والجيار ، وكساد المعايث عند الاضطرار ، واهانة المقابر وهي دار

- 
- (196) في نسخة ( ر ، ي ) « من » .  
(197) في نسخة ( ط ) « السعيد لسنا » ، ولكن هذا الشطر الاخير يناسبه ما ورد في  
نسختنا ، حيث يستقيم به المعنى .  
(198) في نسخة اخرى « وظرف » .  
(199) السؤال : ج سائل . والاسمال : البالي من الثياب ، وهي مبالغة تكاد تكون  
غير معقولة .  
(200) في نسخة ( س ) « أمن » .  
(201) الترهات : ج ترهة ، وهي الاباطيل .  
(202) في نسخة ( ط ) « بهاك » .



جنة العريف  
( الحمراء )

القرار ، وقصر الاعمار ، واستحلال الغيبة في الاسمار ، واحتقار أولى  
الفضل والوقار ، والتنافس في العقار ، والشح في الدرهم والدينار ، باليم  
والنار (203) .

ثم قال : اللهم غفرا ، وان لم نقل كفرا ، « ان الله لا يغفر أن يشرك  
به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (204) » . والله در أبي العتاهية (205)  
حين يقول :

أصبحت الدنيا - لنا فتننة والحمد لله على ذلكا  
اجتمع الناس على ذمها وما نرى - منهم لها - تاركا

---

203) في نسختي (س ، ر) « واليم » وهكذا أوردها « سيمونيت » ، ولعل الصواب  
في نسختنا .

204) آية : 48 من سورة النساء .

205) أبو العتاهية : هو اسماعيل بن القاسم ، شاعر الزهد العربي في القرن الثاني  
الهجري ( الثامن الميلادي ) ، من بلدة عين التمر بالانبار غرب الكوفة . وقد  
وقد ولد حوالي عام 130 هـ ( 747 م ) ، ومات حوالي عام . 210 هـ ( 825 م )  
درس اللغة العربية والادب ، ثم اتصل بالمهدى والهادى والرشيد والمامون ،  
اشتهر شعره بالزهد في أواخر حياته ، وخاصة عندما بلغ الخمسين ، وكان  
للرشيد جارية تسمى « عتبة » عشقها أبو العتاهية في شبابه ، وتصيب بها  
كثيرا ، وخاصة في بدء قصائده التي مدح بها الرشيد ، وكان حائرا بين مذاهب  
الشعر التي عاصرها ، ولكنه استقر أخيرا على شعر الزهد فأجاده .  
راجع : مجلة الرسالة المصرية - العدد 3 عام 1953 م « شاعرنا  
العالمى أبو العتاهية » - لعبد المتعال الصعدي .  
ثم « أبو العتاهية » لمحمد أحمد برانق - القاهرة 1947 م .

قلت : فالحممة ؟

قال : أجل ، الصيد (207) والحجل ، والصحة (208) وان كان  
المعتبر ( 112 : ب ) الاجل ، وتورد الخدود وان لم يطرقها الخجل .  
والحصانة عند الهرب من الرهب ، والبر كأنة قطع الذهب . والحممة  
التي حوضها يفهق (209) بالنعيم ، مبدولة للخامل والزعيم ، تمت ثنيتها  
بالنسب الى ثنية النعيم . قد ملأها الله اعتدالا ، فلا تجد الخلق اعتياضا  
عنها ولا استبدالا ، وأنبط صخرتها الصماء عذبا زلالا ، قد اعتزل الكدر  
اعتزالا . لكن مزارعها لا ترويهما الجداول ، ولا ينجدها الا الجود  
المزاول (210) ، فان أخصب العام أعيان (211) الطعام ، وان أخلف  
الانعام ، هلكت الناس بها والانعام . والفواكه يطرف بها الجلب ، وتزر  
عليها العلب ، وعصيرها لا يليق بالأكل ولا يصلح للحلب ، وبردها شديد  
وان لم يقض به المنقلب .

206 الحممة : هي Alhama بلدة صغيرة تقع قرب مدينة بجانة من أعمال المرية، وقد  
اطلق عليها العرب هذا الاسم نسبة الى العين الحارة الموجودة بها ، والتي  
هي مقصد كثير من ذوى العلل والاسقام .  
كما يقصد السياح اليوم هذه المدينة للاستشفاء بعينها ، وما تزال بها  
الحممات العربية والعين حتى الآن .

راجع : الحميرى فى « الروض المعطار » ص 39 ، وابن بطوطة فى رحلته  
ج 2 ص 187 .

(207) فى نسخة أخرى « الصحة » .

(208) فى نسخة ( س ) « والصيد » ، وهو ما لا يتناسب والسياق بعد .

(209) يفهق : يعمر .

(210) الجود المزاول : المطر الغزير المعالج .

(211) يحتمل معنى ( اعيان الطعام ) أعجز الناس عن حمله لكثرتة ووفرتة متى أخصب  
العام .

28 - « صالحمة » (212)

قلت : فصالحمة ؟

قال : لولا أنها مناخ لم تذكر ، فليس مما يذم ولا مما يشكر ، وان كان ماؤها فضيا ، ووجه جوها وضيا ، وعصيرها مرضيا ، ورزقها أرضيا ، وفضلها ذاتيا لا عرضيا . فهي مهيب نفس ، ودار خسف ، وأهلها بهم ، ليس - لأحد منهم - فهم .

29 - « أليرة ومنتفريد » (213)

قلت : فأليرة ومنتفريد ؟

قال : بلد ارتفاع (214) ، باجماع واتفاق ، معدن البر الذكي ، والصيد الزكي ، وهد شاهق ، ومصرخ ناهق ، ومعدن بر فائق ، ان لم يعق - من عدو القلعة - ( 113 : أ ) عائق .

30 - « لوشة » (215)

قلت : فلوشة ؟

قال مرأى بهيج ، ومنظر يروق ويهيج ، ونهر سيال ، وغصن مياد ، وجنات وعيون ، ولذات لا تمطل بها ديون ، وجداول تنضح بها الجوانح ،

212 صالحمة : مدينة زالت معالمها منذ أواسط القرن السادس عشر الميلادي ، يطلق عليها الكتاب الاسبان اسم Zalea موقعها قديما كان قرب الحمة .

213 أليرة Illora ومنتفريد Montefrio تقع المدينتان شمال مدينة لوشة . Loja .

214 ارتفاع : استقرار واعتماد .

215 راجع ما كتبه عن هذه المدينة بأول الكتاب ، عند التعريف بالمؤلف ، فهي مسقط رأسه .

ومحاسن يشغل بها عن وكره السائح ، ونعم يذكر - بها - المانع المانع . ما شئت من رجا يدور ، ونطف تشفى - بها - الصدور ، وصيد ووقود ، وأعنان كما زانت اللبات عقود ، وأرانب تحسبهم أيقاظا وهم رقود (217) . الى معدن الملح ، ومعصر الزيت ، والخضر المتكفلة بخصب البيت ، والمرافق التي لا تحصر الا بعد الكيت . والخارج الذي عضد مسحة الملاحة ، بجدوى الفلاحة . الا أن داخلها حرج الأزقة ، وأحوال أهلها مائلة الى الرقة ، وأزقتها قذرة ، وأسباب التطوف (218) بها متعذرة ، ومنازلها - لنزائل الجند - نازلة ، وعيون العدو - لثغرها الشنيب (219) - مغازلة .

### 31 - « أرجذونة » (220)

قلت : فأرجذونة ؟

قال : شر دار وطلل لم يبق منه غير جدار ، ومصام يرجع البصر عنه وهو حاسر (221) ، وعورة ساكنها - لعدم الماء - مستأثرة (222) . وقومها ذو بطر وأشر ، وشيوخها - تيروس في مسالخ بشر ، طعام من

- 
- 216 اقتباسا من قوله تعالى : « وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا » الكهف : 18 .
- 217 في نسخة ( ط ، س ) « ومعاصر » .
- 218 في نسخة ( ط ) « التصرف » .
- 219 الثغر الشنيب : ما كان أبيض الاسنان حسنها ، ويقصد صفحة المدينة الجميلة .
- 220 أرجذونة : هي حاليا Archidona بلدة متوسطة تتبع ولاية مالقة التي لا تبعد عنها كثيرا .
- 221 اقتباسا من قوله تعالى : « ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » الملك : 4 .
- 222 مستأسر : قابض .

يقوت منهم أو يعول ، التيوس والوعول ، وحرثها مغل ، ( 113 : ب )  
وخلقها حسد وغل .

## 32 - « أنتقيرة » (223)

قلت : فأنتقيرة ؟

قال : محل الحرث والانعام ، ومبذر الطعام ، والمرآة التى يتجلى بها  
وجه العام ، الرحب والسهل ، والنبات والطفل ، والهشيم والكهل ، والوطن  
والاهل . ساحت الجداول فى فحصها الافيح وسالت ، وانسابت حيات  
المذانب (224) فى سقيها الرحب الجوانب وانسالت . لا تشكو من نبو  
ساحة ، ولا تسفر الا عن ملاحه ، ولا تضاهى فى جدوى فلاحه ، وعظم  
ملاحه . الا أنها جرداء الخارج ، بل مارد ومارج (225) . وشدة فرجها  
فارح . لا تضبطها المسلحة للاتساع ، والدرع الوساع ، قليلة الفواكه ،  
عديمة الملاطف والمفاكه . أهلها أولو شرور وغرور ، وسلاح مشهور ،  
وقاهر ومقهور ، لا تقبل غريبا ، ولا تعدم (226) من العدو تثريبا .

---

223 أنتقيرة : هى حاليا Antequera احدى مدن الاندلس القديمة ، تبعد عن مالقة  
بحوالى 60 كم ، وهى عبارة عن حصون بين مالقة وغرناطة . ينسب اليها :  
الحكيم أبو بكر يحيى بن محمد بن يحيى الانصارى الانتقىرى .  
راجع : معجم البلدان - للحموى - ج 3 ص 259 .

224 المذانب : ج مذنب بوزن منبر ، وهو جدول الماء ذو المسيل الضيق .

225 المارد : العاتى القاسى ، والمارج : الشعلة ذات اللهب الشديد .

226 فى نسخة ( س ) « عن » بدل « من » .

### 33 - « نكوان » (227)

قلت : فذكوان ؟

قال : روض وغدير ، وفواكه جلت عن التقدير ، وخورنق وسدير (228) ، ومائدة لا تفوتها فائدة . دارت على الطحن أحجارها ، والتفت أشجارها ، وطاب هواؤها ، وخفق بالمحاسن لواؤها . إلا أنها ضالمة ساقطة ، وحببة ترتقب لاقطة ، لا تدفع عن قرطها وسوارها بأسوارها ، ولا تمنع نزع صدارها بجدارها ، وقضت بغلة ( 114 : أ ) أعيانها حدائث بنيانها .

### 34 - « قرطمة » (229)

قلت : فقرطمة ؟

قال : الكرك (230) ، الذي يؤمن عليه الدرك (231) ، وان عظم المعترك . جوها صاف ، في مشتي ومصطاف ، وتربها للبر مصاف ، وعصيرها

227 ذكوان : عبارة عن حصن يسمى « Coin » موقعه غرب مالقة ، يرجع تأسيسه الى أيام عبد الرحمن الثالث الاموي ، أعظم وأشهر ملوك بني أمية ( 300 - 350 هـ = 912 - 961 م ) ، ويروي ابن عذارى أن السبب في اقامته هو مواجهة حصون عمر بن حفصون وأولاده ، الذين أعلنوا عصيانهم لحكومة قرطبة .

راجع : ابن عذارى في « البيان المغرب » ج 2 ص 189 وكذا :

Simonet Op. cit. p. 81

229 الخورنق والسدير : قصران ينسبان في التاريخ للنعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وتنسج حولهما طرائف .

راجع : الحموي في معجم البلدان ج 3 ص 54 ، والاغاني للاصمغاني ج 2 ص 144 .

229 قرطمة : هي بالاسبانية « Cartama » ، احدى مدن الاندلس الصغيرة .

230 الكرك : نوع من الطير .

231 الدرك : الحراسة .



## رندة



القنطرة العربية

بالكثرة ذو اتصاف . الا أن الماء بمعقلها مخزون ، وعتاد موزون ، وأهلها في الشدائد لا يجزون ، أيديهم — بالبخل — مغلولة ، وسيوف تشاجرهم مسلوقة .

### 35 — « رندة » (232)

قلت : فرندة ؟

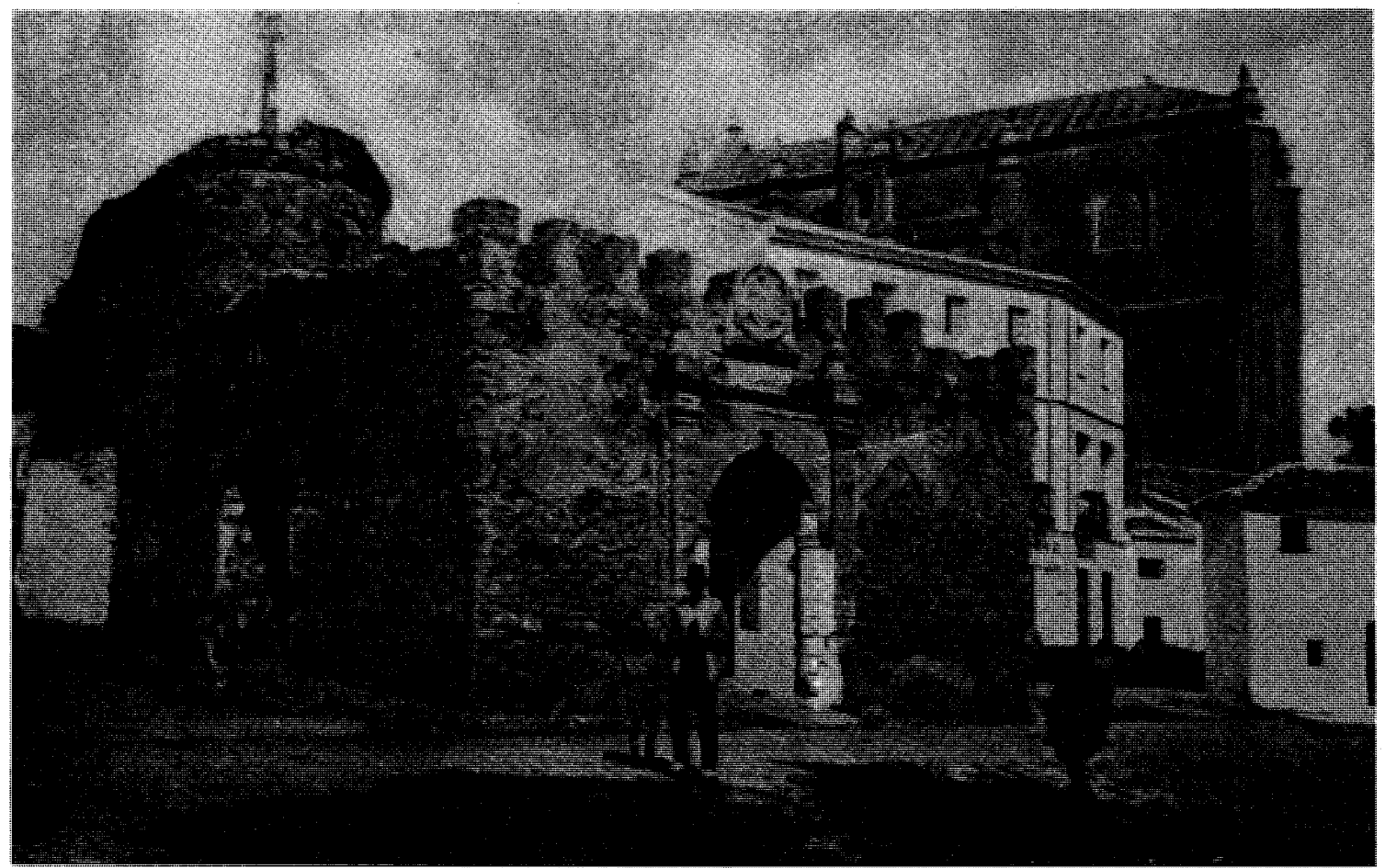
قال : أم جهات وحصون ، وشجرة ذات غصون ، وجناب خصيب ، وحمى مصون . بلد زرع وضرع ، وأصل وفرع ، مخازنها بالبر مالية ،

(232) رندة : هي « Ronda » تقع غرب مالقة ، وقد كانت من أهم القواعد الاندلسية ، كما كانت من أهم مدن غرناطة ، وتعتبر الحصن الذي يحمى مالقة من ناحية الغرب ، ولذلك لما سقطت رندة في يد الاسبان في أبريل 1485 (جمادى الاولى 890 هـ) ، اضحى الطريق سهلا لاستيلاء القشتاليين على مالقة ، فقد سقطت بعد قليل في أيديهم في أغسطس 1487 م (شعبان 892 هـ) . وهي تشرف على منطقة عالية من الربى ، ويشقتها من وسطها وادى ليين Guadalebin وقد وصف ابن بطوطة مدينة رندة حينما زار الاندلس عام 1350 م بقوله : « وهي من أمنع معاتل المسلمين وأجملها وصفا » ، ويبلغ سكان رندة حاليا أكثر من 35.000 نسمة ، فهي مدينة متوسطة الحجم ، ويغلب عليها طابع القدم والبساطة ، وعليها المسحة الاندلسية . هذا ، وأهم المعالم والآثار الاندلسية الباقية بها اطلال القصبه الشهيرة ، والقنطرة العربية عند مدخل المدينة الغربي ، وهي ذات عقد واحد بالغ الارتفاع ، ثم الحمامات العربية ، وهي اطلال دارسة من حمامات أندلسية قديمة ، على مقربة من الكنيسة العظمى ، وكذلك من الآثار « المنارة » في نهاية المدينة ، ويبلغ طولها حوالي 12 مترا ، والظاهر أنها من أيام الموحدين لشبهها بمآذنهم ، ثم قصر الامير ابي مالك ، ويعرف في رندة باسم « Casa del Gigante » وهو اسم الاسرة التي تملكه ، ويقع القصر في طرف المدينة الجنوبي ، وكذلك باب المقابر Puerta de Almocabar ويقع في حي فرانسسكو . وينسب الى هذه المدينة الفقيه ابن عباد الرندى .

راجع ما كتبه ليفي بروفنسال عن هذه المدينة الاسلامية في

Enc. ISI, III, P. 1254 ومجلة الاندلس 472. Al-Andalus (1944)

## رندة



باب المقابر

وأقواتها جديدة وبالية ، ونعمها — بجوار الجبل — متوالية . وهى بلد  
أعيان وصدور (233) ، وشموس وبدور ، ودور أى ودور ، وماء واديهما  
يتوصل اليه فى جدور ، محكم مقدر . وفى أهلها فضاضة (234)  
وغضاضة (235) ، ما فى الكلف بها غضاضة (236) ، يلبس نساؤها  
الموق (237) ، على الاملد المرموق ، ويسفرن عن الخد المشوق ،  
وينعشن قلب المشوق ، بالطيب المنشوق . الا أن العدو طوى ذيل بردها ،  
وغصب بنيانها ، وكيف السبيل الى ردها ، وأضاق خارجها ، وخفض  
معارضها ، وأعلى طائرها ودارجها (238) .

فلما بلغ هذا الحد قال : هل اكتفيت ؟ فقد شرحت صدرك ( 114 : ب )  
وشفيت ، وبما طلبت منى قد وفيت . يا بنى كانى بالصباح السافر ،  
وأدهم الظلام النافر ، قد أجفل أمام مقننه (239) الوافر ، وترك من  
الهلال نعل الحافر . ونفسى مطيتى ، وقد بلغت الليلة طيتى (240) ،  
وأجزلت عطيتى ، فلنجم بالحمض (241) ، ونلم بالغمض ، وأنا بعد

- 233 فى نسخة ( ط ) « وجدور » ولعل الصواب فى نسختنا .  
234 فضاضة : سعة الصدر .  
235 غضاضة : حلم .  
236 غضاضة : حط من القدر . وفى ( س ) ما فى الكلف بها « فضاضة » ، أى : ما فى  
الكلف بها شئ .  
237 الموق : خف غليظ تلبسه النساء فوق خف أرق منه .  
238 كناية عن أن العدو بغاراته يثير طيورها فتعلو فى الجو ، وفى الوقت نفسه  
يثير غبار طرقتها .  
239 المقنن : الوعاء للصائد يجعل فيه ما يصيده .  
240 طيتى : حاجتى .  
241 فلنجم بالحمض : الحمض هو الفاكهة ، والابل لها طعامها ولها حمضها ، ويقصد  
بالتعبير : المذاكرة .

نزليك ، ان سرفى جزيلك ، وعديك ان ضحك الى منديك ، وسميرك ان  
روانى نميرك . فبادرت البدره ففضضتها ، والصرة فافتضضتها ،  
والعيبة (242) فنفضضتها ، والمعادن فأفضضتها . فقال : بوركت من مواس ،  
وأنشد قول أبى نواس (243) :

ما من يد فى الناس واحده كيد أبو العباس (244) أولاهها  
نام الثقات على مضاجعهم وسرى الى نفسى فأحياها

نم قال : نم فى أمان ، من خطوب الزمان ، وقم فى ضمان ، من  
وقاية الرحمن . فلعمرى وما عمرى على بهين ، ولا الحلف على بمتعين ،  
لو كان الجود ثمرا لكنت ليا به ، أو عمرا لكنت شبابه ، أو منزلا لكنت  
بابه .

فما هو الا أن كحلت جفنى بميل الرقاد ، وقدت طرفه سلس المقاد ،  
وقام قيم الخان الى عادة الافتقاد ، وبادر سراج به بالايقاد ، ونظرت

---

(242) العيبة : الزنبيل .

(243) أبو نواس : هو الشاعر أبو الحسن بن هانئ الفارسى الاصل ، المولود عام  
140 هـ ( 747 م ) عاصر هارون الرشيد الخليفة العباسى ثم ابنه الامين ،  
فكان شاعرها . اشتهر بهجونه وتهتكه ، وكثيرا ما حبسناه لظهور ذلك فى  
شعره ، توفى بعد مقتل الامين عام 199 هـ ( 813 م ) ببغداد . ويعتبر أبو  
نواس ممثل المدرسة الشعرية الحديثة ، وقد ظهر تجديده فى خمرياتنه  
وغزله بالمذكر . فهو فى هذين المجالين خصب الفكرا ، واسع الخبرة ،  
بحيث يستطيع أن يتغنى بمحاسنهما فى صور متجددة .  
راجع : ديوان أبى نواس « المقدمة » ج 1 ص 248 ، نشر وتحقيق ايفالد  
فاغر ( القاهرة عام 1958 م ) .

(244) يعنى بابى العباس الوزير « الفضل بن الربيع » المكنى بابى العباس . وأبو  
نواس بهذين البيتين يمدح أبا العباس هذا ، بعد أن تم اطلاقه من السجن على  
يده . وقوله « وسرى الى نفسى .. » يعنى : سرى الممدوح الى نفسه  
فأحياها ، بعد أن انتقذه من السجن .

( 115 : أ ) الى مضجع الشيخ ليس فيه الا زئبر أطماره (245) ، وروث حماره ، فخرجت لا يثاره ، مقتنيا لآثاره ، فكأن الفلك لفه في مداره ، أو خسفت الارض به وبداره (246) ، وسرت وفي قلبى — لبينه وذهاب أثره وعينه — حرقة ، وقلت متأسيا : لكل اجتماع من خليلين فرقة .



---

245 زئبر أطماره : اثر ثيابه البالية .  
246 اقتباسا من قوله تعالى : « فحسبنا به وبداره الارض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين » سورة القصص ، آية : 81.

# الفصل الخامس

المجلس الثاني





## ( 116 : ١ ) المجلس الثانى

قال المخبر : فلما اندمل جرح الفراق بعد طول ، وزمان مطول (1) ومحا - رسم التذكر - تكرار فصول ، ونصول خضاب (2) ، وخضاب نصول (3) ، بينا أنا ذات يوم فى بعض أسواق الغبار ، أسرح طرف الاعتبار ، فى أمم تنسل من كل حدب ، وتنتدب من كل منتدى ومنتدب ، ما بين مشتمل للصماء يلوياها ، وللائث للعمامة لا يسويها ، ومتلفظ بالشهادة وهو لا ينويها ، وصاعد من غور ، ومتظلم من جور ، وممسك بذنب غير أو روق (4) ثور ، يموجون ، ومن الاجداث يخرجون ، كأنهم النمل نشرها وقد برزت للشمس ، من مطر الامس ، يشيرون ( 116 : ب ) بأجنحة الاكسية ، ويتساقطون على ثماد القلب (5) وأسئار الاحسية (6) ، وقد اصطف ذابحو الجزور ، وبائعو اللبوب (7) والبذور (8) ولصق بالاملياء (9) حللة العقد وشهدة الزور ، ونظرت فى ذلك المجتمع الهائل المرأى والمسمع .

الى درسة غى ، وطهارة كى ، ورقاة جنون ، بضروب من القول وفنون ، وفيهم كهل قد استظل بقيطون (10) ، وسل سيف

- 
- (1) فى نسخة ( ط ) « مطول » .
  - (2) نصول خضاب : ذهاب الحناء .
  - (3) خضاب نصول : حناء مزالة .
  - (4) روق ثور : قرن ثور .
  - (5) ثماد القلب : حفر الآبار .
  - (6) أسئار الاحسية : بقايا الماء فى المستنقعات .
  - (7) اللبوب : الجوز واللوز .
  - (8) البزور والابزار : التوابل .
  - (9) الاملياء : ج ملى ، كفى وزنا ومعنى .
  - (10) قيطون : يطلقها اهل المغرب على الخيمة ، والجمع : قياطين .

لاطون (11) ، وتحدى برقية لديغ ومداواة مبطون ، قد اشتمل بسملة غفاره وبين يديه غبار في جلد غاره ، وطحن من اطعام كفارة (12) . وأمامه تلميذ قد شمر الاكمام ، والتفت الخلف والامام ، وصرف لوحى لحظه - الاهتمام . وهو ياسو ويجرح ، ويتكلم بلسان القوم ثم يشرح ، ويقيد من حضره بقيد العزيمة فلا يبرح . ويقول :

أيها البهم السارح ، والحزب المسرور بما لديه الفارح ، والسرب الذى تقناتنه لولاية البغى الجوارح (13) . صرفتم غروب اعتنائكم ، لمآرب نساتكم وأبنائكم ، وذهلت عن حل بفنائكم ، وجعلتم تطعمون وتجمعون ، « انما يستجيب الذين يسمعون » (14) . من وقعت على منكم عينه ، فقد رأى فاتح أقفال الاسرار ، ومثبت ( 117 : أ ) الفرار ، ومصمت أولئك الصرار ، ومغور مياه الآبار بيسير الغبار ، ومخرج الاضمار فى المضمار ، ومذهب المس وطارد العمار (15) .

أنا قاطع الدماء اذا نرذفت ، وكاشف الغماء اذا ما انكشفت ، أهنا (16) الأبل فلا تجرب ، وأخط حول الحمى فلا تدنو السباع ولا تقرب ، وأدخن بها فلا تتسلل الحية ولا تدب العقرب ، ان نعت الشمس - لوقت محدود - طمس فيها نورها (17) ، وان وعدت الارض برى

(11) يرجح استاذنا عبد الله كيون أنها ربما تكون مشتقة من الكلمة الاسبانية لاطون « Laton » بمعنى النحاس ، فقد استعملها المقرئ فى كتابه « نفع الطيب » بهذا المعنى .

(12) ولاية البغى : يقصد بهم شرطة المكوس .

(13) كان العامة يعتقدون نوعا من الشفاء فى مثل هذه الامور .

(14) اقتباسا من قوله تعالى : « انما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى بيعنهم الله ، ثم اليه يرجعون » سورة الانعام ، آية : 36 .

(15) العمار : الجن يسكنون البيوت .

(16) أهنا الأبل : اطللى الأبل بالقطران .

(17) كناية عن تنبؤه باحوال الطقس .

محمود فار تنورها (18) ، وان كتبت لعقد النكاح انحلت ، وان عقلت  
خطى الضالة وقفت حيث حلت ، وان زجرت الجنون تركت وختت ، وان  
استثرت الدفائن ألفت الارض ما فيها وتختت (19) . أنا جردت البيضة  
الثقراء ، وزوجت الفتى الشرقي من الجارية العذراء . أنا صافحت الملك ،  
ورصدت الفلك ، ومزجت - بسر الحكمة - الضياء والحلك ، فاحتقرت  
الملك وما ملك .

دعوت علم الطباع فأطاع ، وقطعت شكوك الهيئة بالشكل القطاع ،  
وقلت بالقدر وبالاستطاع ، وسبقت في صناعة البرهان (20) يوم الرهان .  
ورضت صعاب الرياضيات حتى ذل قيادها ، وسهل انقيادها ، وعدلت  
الكواكب ( 117 : ب ) واختبرت القلوب اليابانية والمناكب ، وبشرت عند  
رجوع خنسها (21) بالغيوث السواكب ، ووقفت بالامتحان ، على صناعة  
الاحسان ، وقرأت ما بعد علم الطبيعة ، وناظرت قسيس البيعة (22) ،  
وأعملت في الاصول مرهفة النصول ، وأحكمت أمزجة الطباع وطبائع  
الفصول . وامتزت بالبروع في علم الفروع ، وقمت في العهد الحديث  
بالحديث، وحزت في علم اللسان درجة الاحسان . وحققت قسمة الفروض،

(18) فار تنورها : فاضت مياهها .

(19) اقتباسا من قوله تعالى : « واذا الارض مدت ، وألفت ما فيها وتختت » سورة  
الانشقاق ، آية 3 ، 4 .

(20) يقصد علم المنطق والمناظرة في البحث العلمي .

(21) خنسها : الخنس ، قيل : الكواكب كلها ، وقيل : السيارات منها فقط ، وقيل :  
الخنس ، هي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد . وقد أقسم الله  
تعالى بها في قوله : « فلا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس ... انه لقول رسول  
كريم » آية 15 - 19 من سورة التكوير .

(22) قسيس البيعة : يرمى بهذا الى ما كان يحدث احيانا بين بعض المسيحيين  
المستعربين من جهة ، وبين الاندلسيين الذين اتقنوا لغة المسيحيين من جهة  
أخرى ، فهؤلاء وأولئك كثيرا ما التحما في مجادلات دينية .  
راجع ابن الخطيب في : الاحاطة ، لوحة 111 ، 222 من مخطوطة جاييجوس  
بالاسكوريال .

وعدلت الشعر بميزان المعروض ، ونظمت ونثرت ، وأكثرت فما عثرت .  
وعبرت حلم النوم ، ولبست الخرقه بشرط القوم (23) ، ولزمت خلوة  
الذكر ومعتكف الصوم .

وأما معرفتى بالاخبار ، وزرع الارض بالاشبار ، ما بين جليقية (24)  
الى الانبار (25) ، وأوصاف المدن الكبار — فقد ثبت بالاختبار .

قال : فأثار قديمى ، وأذكرنى بنديمى ، فقلت : الله أكبر ، أوضح  
— الخبر — المخبر . فحضت اليه ومن بينى وبينه وهم بحر زاخر ،  
وأول ليس له آخر ، وبهم يسخر منه الساخر ، ما بين كبش مجتر  
وعجل ناخر (26) . وقلت : أيها الحبر ، ضالتي قريب أمدها ، معروف  
معتمدها . وعلى ذلك فالشكر ( 118 : أ ) ممنوح ، والرغد طوفان نوح .  
فألان (27) العريكة ، وسلم النطع والاريكة ، وقال : أجل واعرض ،

(23) بشرط القوم : يعنى وفق شروط قوم الصوفية فى اللباس المرقع .  
(24) جليقية : ادارة اسبانية انشأها « فرناندو الاول » لابنه « غارسيا » ، ضمت الى  
قشتالة عام 1662 م = 1073 هـ ، وتمتع أمراؤها ببعض الاستقلال الذاتى  
الى أواخر القرن الخامس عشر ، موقعها شمالى الاندلس فى أقصى الغرب .  
وقد وصل الى هذا المكان « موسى بن نصير » لما فتح الاندلس ، وينسب  
الى هذه الناحية « عبد الرحمن بن مروان الجليقى » من الخارجين بالاندلس  
أيام بنى أمية .

راجع : المعجم للحموى ج 3 ص 257 .  
(25) الانبار : آثار مدينة قديمة فى العراق على ضفة الفرات ، فتحها خالد بن الوليد  
القائد الاسلامى على عهد الخليفة أبى بكر الصديق عام 634 هـ (1236 م ) .  
وكانت مقرا للخلافة الاسلامية حتى تأسست بغداد ، فأضحت حاضرة الخلافة  
حيث جدها أبو العباس السفاح ، أول خليفة عباسى . وينسب لهذه المدينة  
القاضى أحمد بن نصر بن الحسين الانبارى .

راجع : المعجم للحموى ج 3 ص 257 .  
(26) عجل ناخر : أى يمد نفسه بن خياشيمه .  
(27) فى نسخة ( س ) « فالن » بصيغة الامر ، ولعل سياق المحاوره يتمشى مع  
نسختنا .

وأنزل السؤال وافرض . فقلت : بي الى تعرف البلدان جنوح و جنون ،  
والجنون فنون ، وقد ظفرت قبلك بنقاب (28) ، وعود احتقاب ، وسارب  
أنقاب (29) ، حصل به من طلبى الشطر (30) ، وبك يتم  
الشكر (31) ، ويعظم الخطر . فقال : الناس متهم (32)  
ومنجد (33) ، ( وخائل وممجد ) ، ولا تجود يد الا بما تجد .

والله المرشد . وجعل ينشد :

اذا المشكلات تصدين لى      كشفت غوامضها بالنظر  
ولست بامعة فى الرجال      أسائل هذا وذا : ما الخبر (34)  
ولكننى مذبب الاصغريين      أبين - مع ما مضى - ما غير (35)

ثم قال : هات ، أمن عقدك الشبهات .

- 
- (28) نقاب : رجل علامة .  
(29) سارب انتقاب : السارب ، هو الذاهب على وجهه بالانتقاب ، وهى الطرق فى  
الجبل .  
(30) فى نسخة (س) « الشكر » .  
(31) فى نسخة « الشطر » .  
(32) متهم : ساكن تهامة ، وهى أراضى السهل الساحلى الضيق ، الممتد من شبه  
جزيرة سيناء شمالا الى أطراف اليمن جنوبا ، وفيها مدن نجران وجسدة  
وصنعاء ، وسكانها يميل بعضهم الى الزراعة بينما يميل البعض الى التجارة  
والملاحة وصيد اللؤلؤ .  
(33) منجد : ساكن نجد ، ونجد ، اقليم بالسعودية ، والماصمة الرياض ، وهى بلاد  
جبلية فى شمال شبه جزيرة العرب ، نقيضها تهامة ، وهى البلاد الساحلية  
الغربية هناك .  
(34) فى نسختى (س ، ر) « وما الخبر » بالواو ، وهو خطأ فى الوزن، وهكذا أوردها  
موللر .  
(35) فى نسختى (ط ، س) « وما غير » ، وهو خطأ فى الوزن أيضا ، وقد أوردها  
موللر هكذا أيضا .



## 1 - « بادس » (36)

قلت : ما تقول في بادس ؟

قال : بدأت بحمدلة الرقعة ، وبركة البقعة ، ومدفن الولي (37) ، والنحر غير العاطل ولا الخلى من الحلى . بلد السراوة والشجاعة ، والايثار على فرض المجاعة ، والنفوس الاوابة ( الى الله ) الرجاعة ، حيث البر والحوت ، والخشب الذي ينشأ منه كل منحوت ، والبأس والاقدام ، والفاكهة الطيبة والادام ، ( 118 : ب ) ورب الجبال ، وفضل للمدافعة لصهب السبال . الا أنها موحشة الخارج ، وعرة المعارج ، مجاورة غمارة (38) بالمارد والمارج ، فهم ذوو ديبب ، فى مدارج تلك الغرابيب (39) ، وكيدهم - ببركة الشيخ - فى تتيبب (40) .

36) بادس : مدينة اندثرت فى اواخر القرن السادس عشر الميلادى ، حيث خربها الاسبان ، ويقال لها : « باديس » « وبادس غمارة » ، كما يقال لها « بادس فاس » تميزا لها عن « بادس الزاب » الواقعة بالجزائر ، اما الاولى فكانت تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط ، وتبعد عن « الحسيمة » بنحو 40 كم راجع : صحيفة الميثاق المغربية عدد 7 من السنة الاولى 1962 م ، وكذا ياقوت الحموى فى « معجم البلدان » ج 2 ص 29 .

37) يقصد بالولى هذا : أبو يعقوب يوسف بن محمد بن عبد الله الزهيلي البادسى ، نسبة الى بادس . ( 640 - 734 هـ = 1242 - 1333 م ) عالم متصوف ذكره ابن خلدون عرضا فى حديثه عن قبائل البربر . عاصر الملك ابا الحسن المرينى ، وقد عثر مؤخرا على مخطوط ألفه « أبو محمد الاوربى » فى مناقب أبى يعقوب البادسى .

راجع : صحيفة الميثاق المغربية عدد 7 ، 8 من السنة الاولى 1962 م .

38) غمارة : قبيلة بربرية ، وتسمى الجبال التى تسكنها بهذا الاسم أيضا .

39) مدارج غرابيب : طرق حالكة السواد .

40) تتيبب : هلاك .

## 2 - « سبتة » (41)

قلت : فمدينة سبتة ؟

قال : عروس المجلى ، وثنية الصباح الاجلى . تبرجت تبرج العقيلة ، ونظرت وجهها من البحر في المرآة الصقيلة ، واختص ميزان حسناتها بالاعمال الثقيلة . واذا قامت بيض أسوارها مقام سوارها ، وكان جبل بنيونش (42) شمامة أزهارها ، والمنارة منازة شوارها (43) ، كيف لا ترغب النفوس في جوارها ، وتخيم الخواطر بين أنجادها وأغوارها !! الى المينا الفلكية ، والمراسى (44) الفلكية ، والركية الزكية (45) ، غير المنزورة ولا البكية (46) ذات الوقود الجزل ، المد للازل ، والقصور المقصورة على الجد والهزل ، والوجوه الزهر السحن ،

41 سبتة : هي Ceuta احدى المدن الساحلية على شواطئ البحر الابيض المتوسط شمال المغرب ، ولكنها تتبع حاليا اسبانيا ، لها تاريخها على مر العصور الوسطى الاسلامية ، من حيث كونها قاعدة سياسية هامة ، وقد اتخذها الامويون في العصر الاسلامى قاعدة يصدون منها تيار الفاطميين . وفي القرن الثالث عشر استولت عليها أسرة أندلسية اسمها « بنى العزفى » ، وبقيت تحت حكم بنى الاحمر فترة من الوقت ، ثم استولى عليها البرتغال في القرن الخامس عشر ، واخيرا استولى عليها الاسبان ، وما تزال تحت حكمهم حتى اليوم . ومنها « مرانة السبتي » من أعلم الناس بالحساب والهندسة والفرائض والتأليف ، ومن تلاميذته ابن مرانة الفرضى « الحاسب » ، يقولون : انه كان من اهل بلده ، وكان المعتمد بن عباد يقول : « اشتهيت ان يكون عندى من اهل سبتة ثلاثة نفر : « ابن غازى » الخطيب ، « وابن عطاء » الكاتب ، « وابن مرانة » الفرضى .

انظر : معجم البلدان للحموى ج 10 ص 182 - 183 .

42 بنيونش : قرية تجاور سبتة من الغرب ، لا زالت آثارها باقية حتى اليوم .

43 شوارها : حسنها .

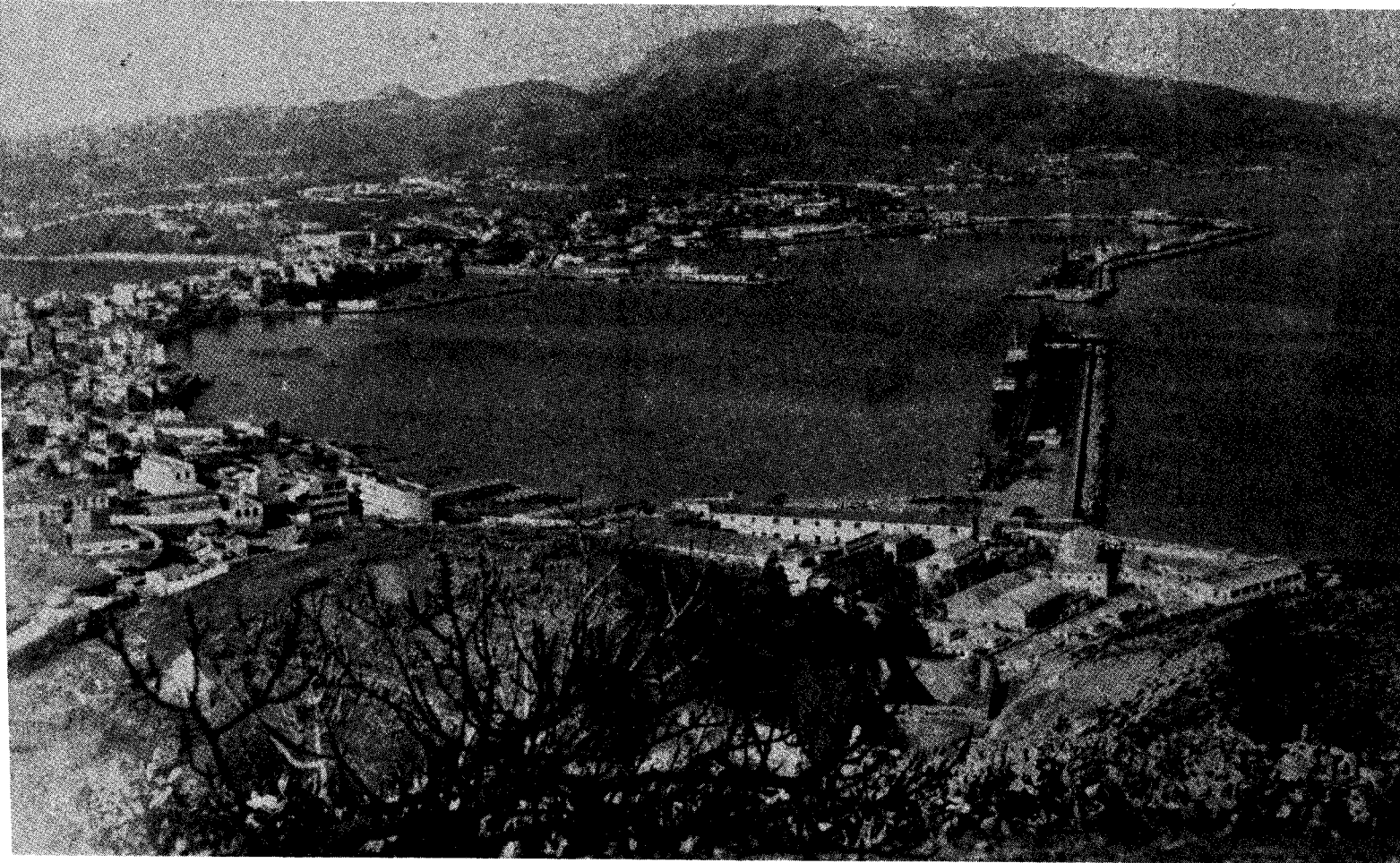
44 في نسخة « س » والمراتى ، بدل « والمراسى » .

45 الركبة الزكية : البئر الطاهرة .

46 البئر غير البكية : هي التى لا تفيض فيض الدموع حين البكاء ، والتعبير عموما كناية عن ان منسوب المياه فيها معتدل .



## مستبة



ساحل المدينة وجبل بنيونش

المضنون بها عن المحسن . دار الناشئة ، وانحامية المضرمة للحرب  
المناشئة ، والاسطول المرهوب ، المحذور الالهوب ، والسلاح المكتوب  
المحسوب ، والاثر المعروف المنسوب . كرسى الامراء والاشراف ،  
والوسيطه لخامس اقاليم البسيطه ، فلا ( 119 : أ ) حظ لها في  
الانحراف .

بصرة علوم اللسان ، وصنعاء الحلال الحسان ، وثمره امتثال قوله  
تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » (47) ، الامينه على الاختران ،  
القويمة المكيال والميزان ، محشر أنواع الحيتان ، ومحط قوافل  
العصير والحريير والكتان ، وكفاها السكنى ببنيونش (48) في فصول  
الزمان ، ووجود المساكن النبيه بأرخص الاثمان . والمدفن المرحوم  
غير المرحوم ، وخزانة كتب العلوم ، والآثار المنبئة عن أصالة العلوم (49)  
الا أنها فاغرة أفواه الجيوب (50) للغيث المصبوب ، عرضة للرياح  
ذات الهبوب ، عديمة الحرث فقيرة من الحبوب ، ثغر تنبو (52) فيه  
المضاجع بالجنوب . وناهيك (59) بحسنة تعد من الذنوب ، فأحوال  
أهلها رقيقة (52) ، وتكلفهم ظاهر مهما عرضت وليمة أو عقيقة ،  
واقنصادهم لا تلتبس منه طريقة ، وأنساب نفقاتهم - في تقدير الارزاق -  
عريقة ، فهم يمصون البلالة مص المحاجم ، ويجعلون الخبز في الولايم  
بعدد الجماجم ، وفتنتهم ببلدهم فتنة الواجم ، بالبشير الهاجم (53) ،

47) اقتباسا من قوله : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذى القربى ، وينهى

عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » سورة النحل ، آية : 9 .

48) هي « Boliones » قرية تجاور سبتة من الغرب ، كانت تشتهر بحماماتها

وبساتينها وأنهارها ، ويسمى الجبل هناك باسمها .

49) العلوم : العقول ، والمفرد ، حلم .

50) في نسخة ( ط ) « الجنوب » وهي أنسب للسياق .

51) ناهيك : حسبك ، بمعنى يكتيك .

52) في نسخة ( س ) « دقيقة » وكتاهاها مناسبة للمعنى العام .

53) كناية عن حبهم الشديد لبلدهم ، فهم مفتونون بها ، كفتنة الحزين ببشير مندفع

نحوه ، أو كفتنة راعي أرض مجذبة تدفق عليها المطر .

وراعى الجديب بالمطر الساجم (54) ، فلا يفضلون على مدينتهم مدينة ،  
( 119 : ب ) الشك - عندي - في مكة والمدينة .

### 3 - « طنجة » (55)

قلت : فطنجة ؟

قال : المدينة العادية ، والبقعة التي ليست بالخبيثة ولا بالردية ،  
اليها بالاندلس كانت نسبة المغاربة ، والكتائب المحاربة ، والرفق (56)  
السائحة في الارض الضاربة . سورها ليس بمثلوم ، وساكنها غير ملوم ،  
وفضلها معلوم ، ودارها ليست بدار لوم . ميدان أفراس كبير ، ومعدن  
هند (57) وذكر (58) . مثلت بين المنار والقالة «59» ، وحكماها  
في التفضيل ، فأشكل الحكم وتعذرت المقالة ، ولم يصح البيع ولا وجبت  
الاقالة . هذى سماء بروج ، وهذى أزهار مروج ، وكلاهما مركب سرور

(54) المطر الساجم : الكثير المنصب .

(55) طنجة : « Tanger » إحدى مدن المغرب القديمة ، موقعها على المحيط الاطلسي  
بينها وبين أوروبا مسافة مضيق جبل طارق . عرفها الفينيقيون مركزا تجاريا  
هاما ، ثم القرطاجنيون كذلك في تبادل السلع الهامة ، وتموين السفن التي في  
طريقها الى المحيط . ولما ظهرت الدولة الرومانية واكتسحت الدولة  
القرطاجنية فرضت سيادتها - ضمن ما فرضت - على طنجة ، والتي عرفت  
ازدهارا تجاريا ضخما بين المغرب - عن طريقها - وبين روما مركز الدولة  
الرومانية . وتوالى الزمن على المدينة ، حتى جاء عقبة بن نافع وموسى بن  
نصير الفاتحان الاسلاميان للمغرب عام 62 هـ ( 681 م ) ، ومن يومها وطنجة  
العربية الاسلامية محافظة على طابعها ، حتى غدت قطعة من المغرب عام  
1956 م ( 1376 هـ ) .

(56) الرفق : المعونة .

(57) هند : السيف . ويقال أيضا للمائة من الإبل فما فوقها .

(58) ذكير : الذكير هو أجود الحديد .

(59) القالة : يعنى بها الميناء ، وهى بالاسبانية : La Cala

# طنجة



المدينة العربية

وسروج ، ومثمتع فروج ، ومطعم قديد ومروج . ديارها نبيهة ،  
وأحوالها - بأحوال جارتها (الاندلس) شبيهة .

لكن رملها يحشو العين بالذرور عند المرور ، ( ويدخل الدور ،  
ويفسد القدر ) ورياحها لا تسكن الا في الدور ، وظلمة جوها  
متسبية عما وراءها من مغرب الشمس والبدور . وعين برقانها - أعذب  
عيونها - مشهور بتوليد الهوج ، قران عند الناس غير ذى عوج ، ويذكر  
أن سليمان اختصها بسجن مرده الجن ، فيعثر بها على ( 120 : أ ) أوان  
ملئت ريحا ، تثير تبريحا (60) ، ويسندون - لذلك - افكا صريحا .

#### 4 - « قصر كتامة » (61)

قلت : فقصر كتامة ؟

قال : مغرد عندليب (62) ، وعنصر بر وحليب ، ومرعى سائمة ،  
ومسرح بهيمة في الجميم هائمة ، ومسقط مزنة عادية وديمة دائمة .  
وبه التفاح النفاح ، ترتاح الى شميمة الارواح ، والفوائد قد ثقلت  
بها الادواح ، يقذف به السماء والصبح ، ويتفنن فيه الحرام والمباح ،  
والسمك كما جردت الصفاح اذا استبحر الكفاح . وطريقه مسلك  
- القافلة ، وببابه السوق الحافلة . ينسل اليها من غمارة قرود وفهود (63)

(60) تبريحا : شدة وهلاك .

(61) قصر كتامة : أراد به « القصر الكبير » أحد مدن الشمال بالمغرب ، على بعد  
25 كم من مدينة العرائش ، كما يبعد عن ساحل المحيط الاطلنطي بنحو  
35 كم .

راجع : ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ج 15 ص 360 .

(62) الجميم : يقال ارض جميم اى ملساء .

(63) الوان مختلفة من امرار قبيلة غمارة

وأمة صالح وهود ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (64).  
الا أنه قور (65) قد تهدم ، ودار الندوة لام ملدم (66) ، ومنتزى لهائج  
المرار وثائر الدم . جثم الهواء الخبيث فى بطيحتة وربض ، وانبسط  
وما انقبض ، وجهز ليله عسكر البعوض الهاجم ، دربة بمص المحاجم .  
وأما وحله فلا يعبر ولا يسبر ، وان اسهبت العبارة فالامر أكبر .

## 5 - « أصيلا » (67)

قلت : فأصيلا ؟

قال : كثيرة المرافق ، رافعة فى الخصب اللواء الخافق ، ( 120 ) :  
ب ) العصير الاثير ، والحوت الكثير ، والادام الذى يرمى به من  
حكم عليه بالتعزيز (68) ، والسفن المترددة فيها الملف (69) والابازير .  
الا أن حصنها من المنعة برى ، وساكنها بربرى ، وجارها - من غمارة -  
جرى .

---

64) اقتباسا من قوله تعالى : « ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الاخرة ، ذلك يوم  
مجموع له الناس ، وذلك يوم مشهود » سورة هود ، آية : 103 .

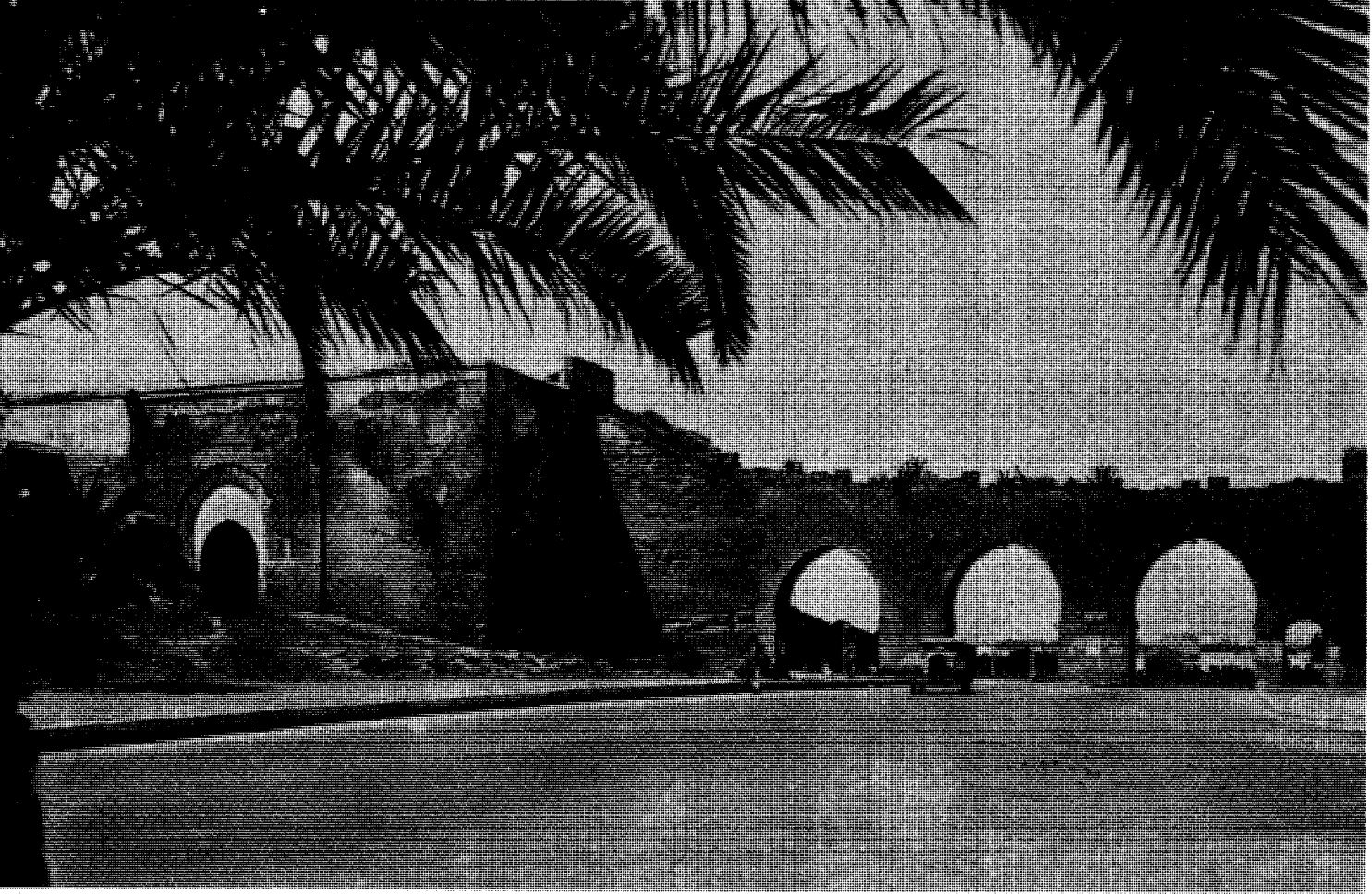
65) قور : بئر .

66) أم ملدم : كنية الحمى .

67) اصيلا : هى « Arcila » مدينة صغيرة على ساحل المحيط الاطلنطى ، ينسب  
اليها الاديب المحدث أبو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد الاصيلى ،  
تراس الكتابة بقرطبة على عهد المستنصر .  
راجع : ياقوت الحموى « معجم البلدان » ج 15 ص 212 .

68) كناية عن وفرة الزاد بالبلد .

69) الملف : لفظ شامل للغطاء والكساء .



الاسوار القديمة الاثرية  
( مدخل المدينة الشمالي )

## 6 - « سلا » (70)

قلت : فمدينة سلا ؟

قال العقيلة المفضلة ، والبطيحة المخضلة ، والقاعدة المؤصلة ،  
والسدرة المفصلة . ذات الوسامة والنضارة ، والجامعة بين البداوة  
والحضارة . معدن القطن والكتان ، والمدرسة والمارستان ، والزاوية  
كأنها البستان ، والوادي المتعدد الاجفان ، والقطر الآمن عند الرجفان ،  
والعصير العظيم الشأن ، والاسوق الممتازة حتى برقيق الحبشان .  
اكتنفها المسرح ، والخصب الذي لا يبرح ، والبحر الذي يأسو ويجرح ،  
وشقتها الوادي يتمم محاسنها ويشرح .

وقابلها الرباط (71) ، الذي ظهر به - من المنصور - الاغتباط ،  
حيث القصة والسباط (72) ، ووقع منه بنظرة الاعتبار ، فاتسع الخرق

(70) هي Salé مدينة موازية لوادي أبي الرقراق الذي يفصلها عن مدينة الرباط  
العاصمة ، يعتقد بأنها تأسست في القرن الحادي عشر الميلادي ، ويرى  
بعض المؤرخين أنها مدينة رومانية قديمة ، نالت عناية بنى مرين فسوروها ،  
وأنشأوا بها كثيرا من المرافق العامة ، وتعتبر عمارتها نموذجا للفن المغربي  
الرائع في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، ولسلا شهرة صناعية تجارية  
في الجلد والوانى النحاسية والحديدية ونسج الزرابى والطرز وصناعة  
الحصر ، وهي المدينة التي بقى فيها ابن الخطيب منفا لمدة ثلاث سنوات  
تقريبا ( 760 - 763 هـ / 1358 - 1361 م ) حيث ألف بها كتابه هذا ضمن  
ضمن كتب أخرى ، حينما جاء الى المغرب مع سلطان غرناطة المخلوع  
« الفنى بالله محمد الخامس ابن الاحمر » .

راجع : المعجم للحموى ج 10 ص 231 .

(71) الرباط : « Rabat » هي عاصمة المغرب الادارية ، وقد أسسها الخليفة المنصور  
أبو يوسف بن عبد المؤمن ، ( 554 هـ 595 هـ ) = ( 1159 - 1198 م ) أشهر  
ملوك الموحدين ، وسماها « رباط الفتح » ، وهي مدينة الابواب العظيمة ،  
أقامها الموحدون ، فقد كانت رباطهم العسكري ، كما أن بها صومعة حسان  
الشامخة البتراء ، تشرف على المدينة وعلى بقايا أطلال المسجد ، وهذه  
الصومعة من طراز الكتبية بمراكش والخيرالدا بأشبيلية .

راجع : « السلاوى » في الاستقصا ج 1 ص 16 - 181 .

(72) السباط : سقيفة بين دارين تحتها طريق .

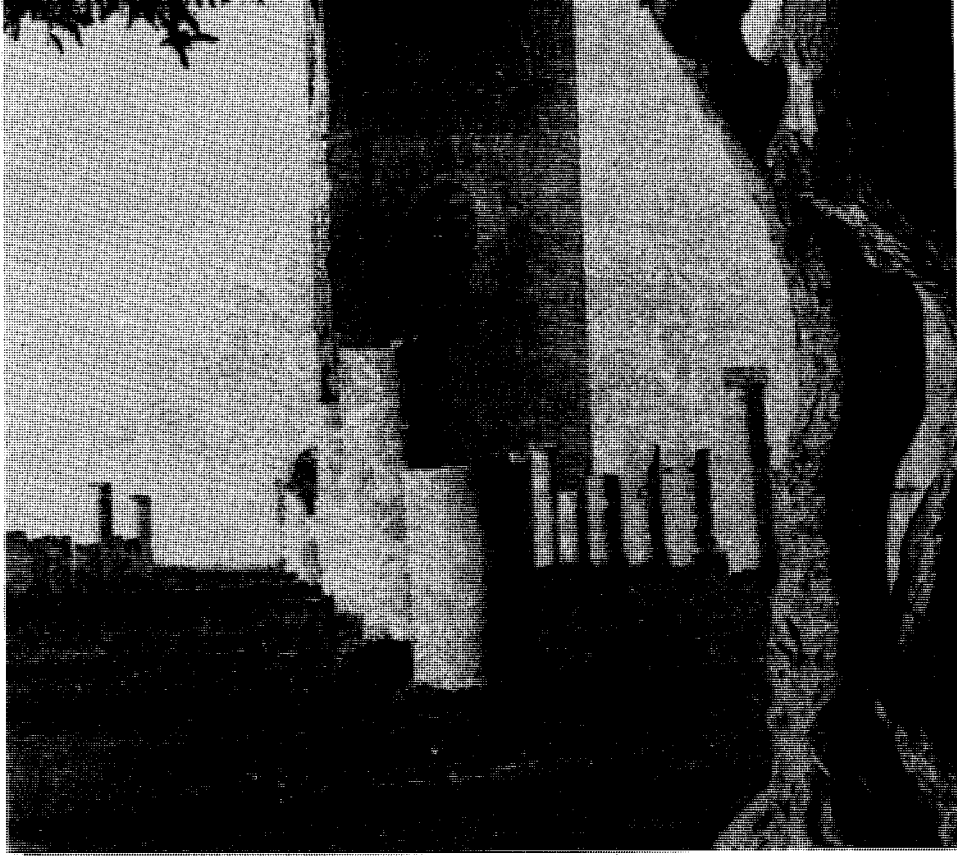


## الرباط



المدينة كما تبدو من وادي أبي القرقان  
وحيث تطل عليه قصبة الأوداية

« الصومعة وبعض  
الرباط »



قصبه الأوداج



وعظم الاستطاط ، وبعد الكمال يكون الانحطاط (73) . الى شامة (74)  
مرعى الذمم ، ونتيجة ( 121 : أ ) الهم ، ( ومشمخ الانوف ذوات  
الشمم ) (75) وعنوان بر الديم ، حيث الحسنات المكتتبة ، والاقواف  
المرتبة ، والقباب كالأزهار ، مجودة بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ،  
وظلل حسان المثل في الاستهارة .

وهى - على الجملة من غيرها - أوفق ، ومغارمها - لاحترام  
الملوك الكرام - أرفق ، ومقبرتها المنضدة عجب في الانتظام ، معدودة  
في المدافن العظام ، وتتأتى بها - للعبادة - الخلوة ، وتوجد عندها  
- للهموم - السلوة ، كما قال ابن الخطيب :

وصلت حثيث السير فيمن فلا الفلا فلا خاطرى لما نأى وانجلى انجلى  
ولا نسخت - كرى بقلبى - سلوة فلما سرى فيه نسيم سلا سلا

وكفى بالشابل رزقا طريا ، وسمكا بالتفضيل حريا ، يبرز عدد  
قطر الديم ، وبياع ببخس القيم ، ويعم حتى المجاشر (76) النائية والخيم  
الا أن ماءها لا يروى به بارد (77) ، لا كريم ولا بارد ، وأليفها شارد ،  
والخزين بها فاسد ، وبعوضها مستأسد ، راضع غير مفظوم ، واسم  
للخد والخرطوم ، بذياك الخرطوم ، خالغ للعدار غير مخطوم ، تصغى

73) يرمى بهذا الى ما روى عن المنصور مؤسس الرباط عند ما توفى ، من انه قال:  
ندمت على ثلاثة اشياء : بناء مدينة الرباط ، واسكان عرب بنى هلال في  
المغرب ، واطلاق أسرى النصارى ، وهم الذين كان قد أسرهم في موقعة  
« الارك » الشهيرة ( ربيع الاول 592 هـ = 1195 م ) ، وقد تحققت نبوءة  
المنصور في العاقبة السيئة لهذه الامور الثلاثة ، فقد اتخذ الفرنسيون مدينة  
الرباط قاعدة بعد احتلالهم المغرب فيما بعد ، واثار عرب بنى هلال القلائل  
والفتن في المغرب ، واخذ النصارى بثارهم في موقعة « العقاب » حيث  
هزموا المسلمين فيها شر هزيمة ( 15 صفر 609 هـ = 18 يوليو 1212 م ) .

74) في نسختى ( ط ، س ) « شالة » وهو الاوفق .

75) زيادة في ( س ، ط ) .

76) المجاشر : يعنى القرى والضياع ، ويقال لها في المغرب الآن « المداشر » .

77) في نسخة ( س ) « وارد » وهو أصوب .

— لرنته — الأذن ، ويفتك بوكز السنان ، كالقوس تصمى ( 121 : ب )  
الرمايا وهى مرنان (78) ، وديارها — فى الماء — دار عثمان (79) ،  
وطواحنها غالية الاثمان ، وكتبانها العفر تلوث بيض الثياب ، طى  
العياب، وعابر واديبها — الى مأرب أكيد — فى تنكيد . الى غلبة الامسك،  
وخوض النساك (80) ، وكثرة أرباب الخطط ، (81) والاغياء فى الشطط ،  
تذود — عن جناته للاسد — جنان ، (82) فلا يلتذ — بقطف العنقود  
منها — بنان ، وفى أهلها خفة ، وميزانها لا تعادل منه كفة .

## 7 — « أنفا » (83)

قلت : فأنفا ؟

قال : جون (84) الحط والاقلاع ، ومجلب السلاع ، تهدى اليها  
السفن شارعة ، وتبتدرها مسارعة . تصارف برها الذهبى بالذهب  
الابريز ، وتراوح برها وتغاديه بالتبريز .

- 78 قوس مرنان : صلبة مرنة .  
79 يرمى بذلك الى انه لا ماء فيها ، اذ دار سيدنا عثمان بن عفان الخليفة لم يكن بها  
ماء اثناء حصاره .  
80 يغلب على أهل البلد البخل ، وعلى نساكها خوضهم فى أعراض الناس .  
81 الخطط : ارباب الوظائف .  
82 جنان : حراس كالجن فى الذب عن البساتين .  
83 أنفا : الدار البيضاء « Casablanca » العاصمة التجارية للمغرب الاقصى على  
ساحل المحيط الاطلنطى ، تشتهر بالانتاج الزراعى والصناعى . وقد وقع  
عليها اعتداء من الاساطيل البرتغالية عام 1465 م حيث دمرتها تماما ، بسبب  
منافستها التجارية لشغر قادس ، ولكن أعيد بناؤها عام 1515 م ، وقد تست  
عليها الطبيعة من البحر فاجتاحت معظمها الامواج عام 1755 م ، ولم تعد  
مدينة تتطور وتزدهر الا فى عام 1907 م وهى اليوم كبرى مدن المغرب  
مساحة ، وأعظمها تعدادا للسكان ، ذات مرسى ضخم تبلغ أرصفتها مساحة  
6 كيلومترات . والسكان حاليا يتجاوزون المليون والنصف نسمة تقريبا .  
84 الجون : أحد أنواع القطا ، أسود البطن والجناح ، والجونة : الشمس عند  
مغيبها والسياق يحتمل أحد المعنيين .

## الدار البيضاء



« منظر حديث للمدينة »

يكثر الطير حيث ينتشر الحـ ب وتغشى منازل الكرماء  
وخارجها يفضل كل خارج ، وقانصها يجمع بين طائر ودارج ،  
وفواكهها طيبة ، وأمطار عصيرها صيبة ، وكيلها وافر ، وسعرها — عن  
وجه الرخاء — سافر ، وميرتها لا ينقطع لها خف ولا حافر . لكن ماءها  
وهواءها عديما الصحة ، والعرب عليها في الفتن ملحة ، والامراض بها  
تعيث وتعيث ، والخزين بها لا يلبث .

### 8 — « أزمور » (85)

قلت : فأزمور ؟

قال : جار واد وريف (86) ، وعروس ربيع وخريف ، وذو وضع  
شريف . أطلت على واديه المنازه ( 122 : أ ) والمراقب ، كأنها النجوم  
الثواقب ، وجلت من خصبه المناقب (87) ، وضمن المرافق نهره المجاور  
وبحره المصاقب (88) . بلد يخزن الاقوات ، ويملا اللهوات . باطنه  
الخير ، وادامه اللحم والطير . وساكنه رفيه ، ولباسه يتحد فيه ،  
ومسكنه نبيه ، وحوته الشابل ليس له شبيه . لكن أهله — أنما حرثهم  
وحصادهم — اقتصادهم ، فلا يعرفون ارضاخا (89) ، ولا وردا نضاخا ،

85 أزمور : هي « Azammur » مدينة ساحلية على المحيط الاطلنطي بالمغرب.  
موقعها على الجانب الايسر لمصب وادي أم الربيع ، وعلى مسافة 80 كم  
من الدار البيضاء جنوبا ، وهي مدينة صغيرة مشيدة بجانب رأس صخرى  
عال ، كانت عاصمة اقليم دكالة القديمة .

راجع : J. Leon Africano, Op. Cit. P. 83

والتعريف بابن خلدون ص 44 حاشية 4 .

- 86 وريف : ممتد واسع .  
87 المناقب : الطريق في الجبل .  
88 المصاقب : المجاور .  
89 ارضاخا : تساهلا .

يترامون على حبة الخردل (90) بالجندل (91) ، ويتضاربون على الاثمان  
الزيوف (92) بالسيوف . بربرى لسانهم ، كثير حسانهم ، قليل  
احسانهم ، يكثر بينهم - بالعرض - (93) الافتخار ، ويعدم - ببلدهم -  
الماء والملح والفضار .

## 9 - « تيط » (94)

قلت : فتيط ؟

قال : معدن تقصير ، وبلد بين بحرى ماء وعصير ، ورباط  
للاولياء به ( سرور ) (95) ، واغتباط ، ومسجدها تضيق عنه المدائن  
منارا عاليا ، وبقلادة الاحكام حاليا . الا أن خارجها لا يروق عين المقيم  
والمسافر ، ولا يشوق بحسن سافر ، ومؤمنه يشقى بصداع كافر ،

---

90 الخردل : نبات برى ينبت فى الحقول مع الزرع ، او على حافة الطرق ، حبه  
أسود وصغير جدا ، يستعمل فى التوابل ، وله فوائد طبية ، كما يستخرج منه  
الزيت .

91 الجندل : الصخر العظيم .

92 الاثمان الزيوف : النقود الزائفة .

93 العرض : ضد الجوهر .

94 تيط : هى « Tit » تقع جنوبى مدينة الجديدة ، وهى ضمن اقليم دكالة ، على  
ساحل المحيط الاطلنطى .

95 زيادة فى ( س ، ط ) .

وحماه عدو كل خف وحافر ، فلولا ساكنه لم ينبس يوم فخر ، ولم ينم  
الا الى صخر (96) .

## 10 - « آسفى » (97)

قلت : فرباط آسفى ؟

قال : لطف خفى ، وجناب حفى ، ووعد وفى ، ودين ظاهره مالكى ،  
وباطنه حنفى . الدمثة والجمال ، والصبر ( 122 : ب ) والاحتمال ،  
والزهد والمال ، والسذاجة والجمال (98) . قليلة الاحزان ، صابرة على  
الاختزان ، وافية المكيال والميزان ، رافعة اللواء ، بصحة الهواء . بلد

96 كناية عن أنها بلدة شبه منقطعة عن سواها ، لوعورة الطرق اليها ، كما أسلف  
في وصفها ، وهو يورى بصخر المبكى عليه من أخته الخنساء بنت عمرو بن  
الشريد السلمية ، عاش صخر هذا فيما بين القرنين السادس والسابع  
الميلادى ، وخرج في احدى الغزوات ، فقاتل حتى أصابه جرح فمات ، فحزنت  
عليه أخته أكثر من حزنها على أخيه معاوية ، الذى توفى قبله ، لما للاول من  
أياد كريمة عليها . ولها ديوان خاص في رثاء صخر ، فمن قولها فيه ترثيه :

وان صخرنا لتاتم الهداة به      كانه علم على رأسه نار  
جلد جميل المحيا كامل ورع      وللحروب غداة الروع مسمار  
جمال الوية ، هباط أودية      شهاد أندية ، للجيش جرار

راجع : الموجز في الادب العربى وتاريخه ، نشر دار المعارف ج 1 ص 204 ،

97 رباط آسفى : هى « Safi » مدينة على ساحل المحيط الاطلنطى بالمغرب ،  
وهى أصلا مؤسسة برتغالية ، كادت تندثر عندما غادرها مؤسسوها ، ولم  
يبق من آثارهم فيها غير حصن عظيم ، وثكنة ، وقصر يسمى « دار البحر » ،  
وترتكز ثروة آسفى على صيد الاسماك ، فهى من أهم مراسى الصيد للسردين  
في العالم ، ومن مرسى آسفى يصدر الفوسفات المستخرج من مناجم  
« كشكاط » ، وتبعد المدينة عن الدار البيضاء بمسافة 252 كم .

98 فى نسخة أخرى « والجلال » وهو أنسب .



موصوف ، برفيع ثياب الصوف ، وبه تربة الشيخ أبي محمد صالح (99) .  
وهو خاتمة المراحل ، لمسورات ذلك الساحل . لكن ماءه قليل ، وعزيزه  
— لعادية من يواليه من الاعراب — ذليل (100) .

## 11 — « مراکش » (101)

قلت : فمدينة مراکش ؟

قال : فتنفس الصعداء ، وأسمع البعداء ، وقال : درج الحلى ، وبرج  
النير الجلى ، وتربة الولى ، وحضرة الملك الاولى ، وصرح الناصر  
الولى . ذات المقاصير (102) والقصور ، وغابة الاسد الهصور ،

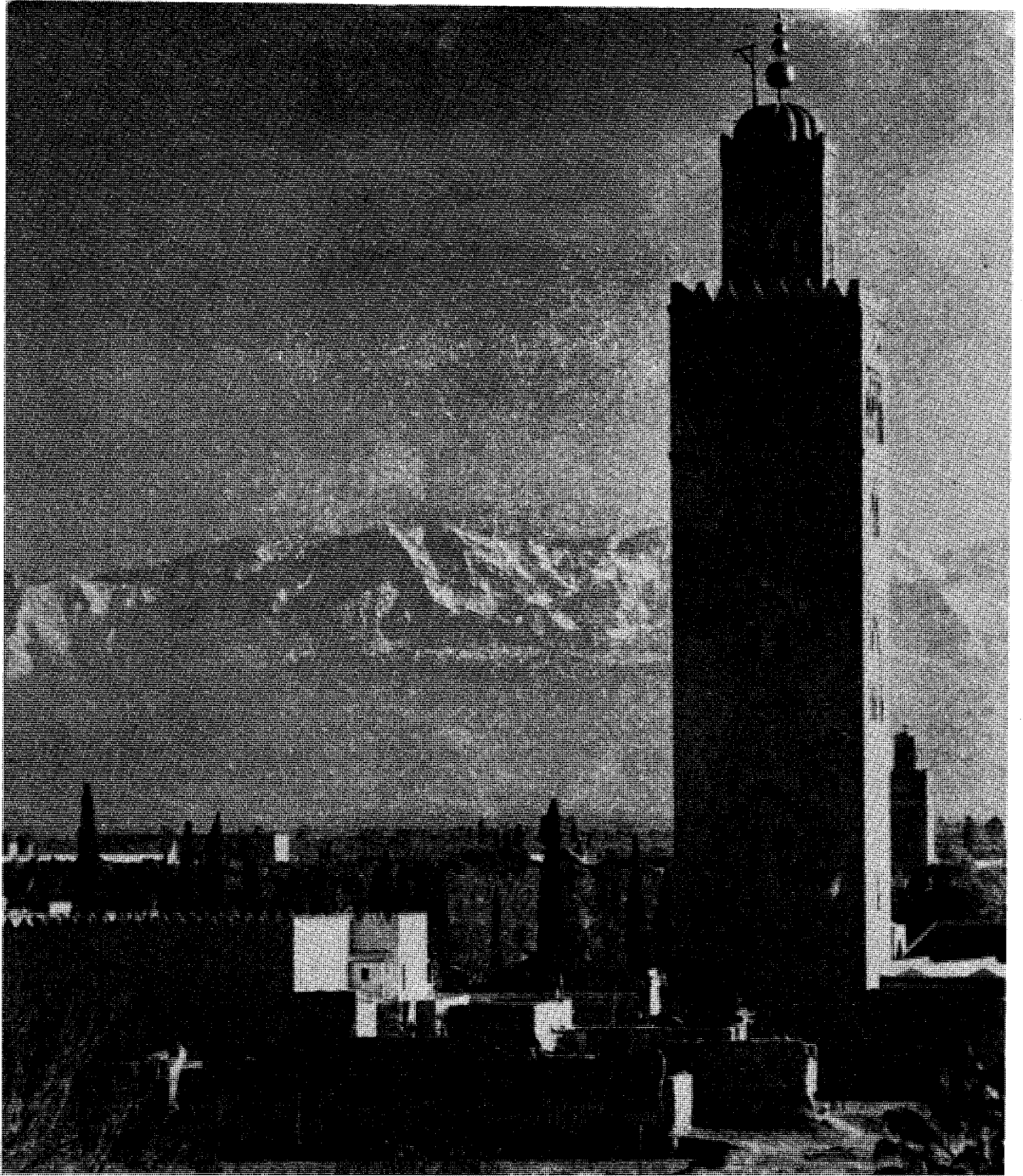
99 هو أحد رواد الطرق الصوفية ، عاش في أوائل القرن السابع الهجرى ، كان  
يرأس — بهذه البلاد — جمعية لتيسير الحج ، لحراسة القوافل الذاهبة الى  
الاراضى المقدسة .

100 كناية عن كثرة السطو على الموسرين بالمدينة من قبل الاعراب المجاورين  
لها .

101 هسى بالاسبانية « Marraquex » تبعد عن الرباط بمسافة 326 كم ، عاصمة  
الجنوب بالمغرب ، أسسها يوسف بن تاشفين أعظم ملوك المرابطين عام  
454 هـ = 1062 م ، كما بنى بها مسجده المعروف باسم « جامع يوسف » .  
استمرت عاصمة للموحدين كما كانت عاصمة للمرابطين ، ولكن بنى مريـن  
تحولوا عنها الى فاس ، ففقدت مراکش من يومها مركزها السياسى ، وقد  
شيد بها الموحدون جامع الكتبية بمنارته الشهيرة ، كما أن بها من آثار  
السعديين مقابرهم العظيمة . وتشتهر المدينة بصناعة الجلد والصباغـة  
والنحاس ، والمنسوجات الوطنية ، والزراوى . وخارجها مزارع الزيتون ،  
وواحات النخيل الشاسعة ، تحوطها جبال الاطلس التى تكسوها الثلوج  
شـتاء . وللعلويين بها جنان اكدال التى أنشأها عبد الرحمن بن هشام العلوى،  
وبها ضريح القاضى عياض ، وأبو العباس السبـتى ، وأبو القاسم السهـلى،  
ومحمد بن سـيمان الجزولى .

راجع : البغدادى فى « مرصد الاطلاع ، على أسماء الامكنة والبـقاع » ج 3  
ص 1251 . وكذا : J. Leon. Op. Cit. P. 67-68  
102 المقاصير : ج متصورة ، وهى الدار الواسعة المحصنة .

## مراكش



صومعة مسجد الكتبية — واحدة من ثلاث ذات هندسة واحدة :  
الخير الدا باشبيلية ، والكتبية بمراكش ، وحسان بالرباط .

وسدة(103) الناصر والمنصور . بعدت عن المركز دارتها ، وجرت — على  
 قطب السياسة — ادارتها ، وسحرت — العيون — شارتها ، وتعبد  
 الاباء اثارها ، وخاضت — البحر الخضم — نذارتها وبشارتها .  
 اقتعدت البسيط المديد ، واستظهرت بتشبيد الاسوار وأبراج الحديد .  
 وبكى الجبل من خشيتها بعيون العيون ، فسألت المذانب كصفاح القيون ،  
 وقيدت طرف الناظر المفتون ، أدواح الشجر بها وغابات الزيتون .

( 123 : أ ) فما شئت من انفساح السكك ، وسبوع الشكك(104)،  
 وانحلال التلك ، وامتداد الباع في ميدان الانطباع ، وتجديد فنون  
 المجون بالمد والاشباع . زيتها الزمن يعصر ، وخيرها يمد ولا يقصر ،  
 وفواكهها ( لا تحصى ) ولا تحصر . فاذا تناصف الحر والبرد ،  
 وتبسم الزهر وخجل الورد ، وكسا — غدرانها الحائرة — الحلق  
 السرد (105) ، قلت : أنجز — للمتقين من الجنة — الوعد ، وساعد  
 السعد ، وما قلت الا بالذى علمت سعد (106) . ومنارها العلم في الفلاة،  
 ومنزلته — في المآذن — منزلة والى الولاية . الا أن هواءها محكم في  
 الجباه والجنوب ( يحمى عليها بكير الجنوب ) (107) وحمياها كلفة  
 بالجسوم ، طالبة ديونها بالرسوم ، وعقاربها كثيرة الدبيب ، منغصة  
 مضاجعة الحبيب ، وخرابها موحش هائل ، وبعد الاقطار — عن كثير من  
 الاوطار — بها — حائل ، وعدوها ينتهب — في الفتن — أقواتها ، وجرذان

- 103 سدة : السدة : المنصب الرفيع .  
 104 الشكك : ج شكة ، وهى اللباس يقى لابسه ضربة السلاح .  
 105 السرد : المنتظم المتتابع .  
 106 مثل عربى يضرب فى اسناد الاخبار الى مصادرها ، وهو الشطر الاخير من  
 قول الشاعر :  
 ويعذلنى أبناء سعد ليهم  
 وما قلت الا بالذى علمت سعد  
 107 زيادة فى ( س ) .

المقابر تأكل أمواتها . وكانت أولى المنازل بالاغنياء ، لو أنها – اليوم –  
معدودة في الاحياء (108) .

## 12 – « أغمات » (109)

قلت : فأغمات ؟

قال : بلدة – لحسنا – الاشتهار ، وجنة تجرى من تحتها الانهار ،  
وشمامة تتضوع منها الازهار ، متعددة البساتين ، ( 123 : ب ) طامية  
بحار الزياتين ، كثيرة الفواكه والعنب والتين . خارجها فسيح ، والمذانب  
فيه تسيح ، وهوؤها صحيح ، وقبولها للغريب شحيح ، وماؤها نمير ،  
وماء وردها ممد للبلاد وممير . الا أن أهلها يوصفون بنوك (110) .  
وذحول ، بين شبان وكهول ، وخرابها يهول ، وعدوها تضيق – لكثرته –

108 يرمى بهذا الى أن مراکش قد فقدت مركزها السياسي في العصر الذي يعيشه  
ابن الخطيب ، وهو عصر المرينيين ، الذين اتخذوا فاس عاصمة لهم ،  
فتحولوا بذلك عن مراکش ، التي ظلت العاصمة في عهد كل من المرابطين  
والموحدين . هذا ، والاغنياء هو : بلوغ الغاية من الشأن .

109 أغمات « Agmat » موقعها قرب مدينة مراکش ، وفي هذه الفترة التي يؤرخ  
لها ابن الخطيب كانت أغمات عبارة عن مدينتين مواجهتين لبعضهما وهما :  
أغمات عيلان ، وأغمات وريكة ، وكان بينهما خصام مستحکم ، فرق بينهما  
حتى في دور العبادة ، وقد انتهى هذا الخلاف فيما بعد ، واندثرت أغمات  
وريكة وبقيت الاخرى ، وذلك في القرن السادس عشر الميلادي ، وتشتهر  
المدينة بوفرة مياهها وكثرة بساتينها ، وبها قبر المعتمد بن عباد ملك اشبيلية  
زمن الطوائف ، الذي قبض عليه ملك المغرب يوسف بن تاشفين بعد تغلبه  
عليه عام 480 هـ ( 1087 م ) .

راجع : Discripcion de Africa P. 73. J. Leon Africano ،  
وكذا : مرصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ، لصفي الدين البغدادي  
ج 1 ص 98 .  
110 نوك : حمق .

السهول ، وأموالها - لعدم المنعة - في غير ضمان ، ونفوسها لا تعرف  
طعم أمان .

### 13 - « مكناسة » (111)

قلت : فمدينة مكناسة ؟

قال : مدينة أصيلة ، وشعب المحاسن وفصييلة ، فضلها الله ورعاها ،  
وأخرج منها ماءها ومرعاها (112) ، فجانبها مريع (113) وخيرها  
سريع ، ووضعها له - في فقه الفضائل - تفريع ، عدل فيها الزمان ،  
وانسدل الامان ، وفاقت - الفواكه - فواكهها ، ولا سيما الرمان ، وحفظ  
- أقواتها - الاختزان ، ولطفت فيها الاواني والكيزان ، واعتدل  
- للجسوم - الوزن . ودنا - من الحضرة (114) - جوارها ، فكثرت  
قصادها من الفضلاء وزوارها ، وبها المدارس والفقهاء ، ولقصبتهن الابهة

111 مكناس أو مكناسة : هي بالاسبانية Mequinez اتخذها المولى اسماعيل  
عاصمة له ( 1673 - 1726 م ) وطبعها بطابع عبقرته . تقع جنوب غرب  
فاس على مسافة 60 كم ، وقد سميت باسم قبيلة مكناسة البربرية التي  
اختطت المدينة أولا ، ويحيط بكناس نطاق مثلث من أسوار وحصون يبلغ  
طولها 40 كم . من آثارها العتيقة باب منصور ، والاصطبلات القديمة ،  
وبركة البساتين التي تبلغ مساحتها 4 هكتارات مربعة ، وهي على غرار  
بركة مراكش . وتعتبر مكناس اليوم خامس مدن المغرب سكانا ، إذ تتقدمها  
الدار البيضاء والرباط ومراكش وفاس . ويبلغ تعداد السكان حاليا حوالي  
230 ألف نسمة ، وارتفاعها عن سطح البحر بنحو 522 مترا .

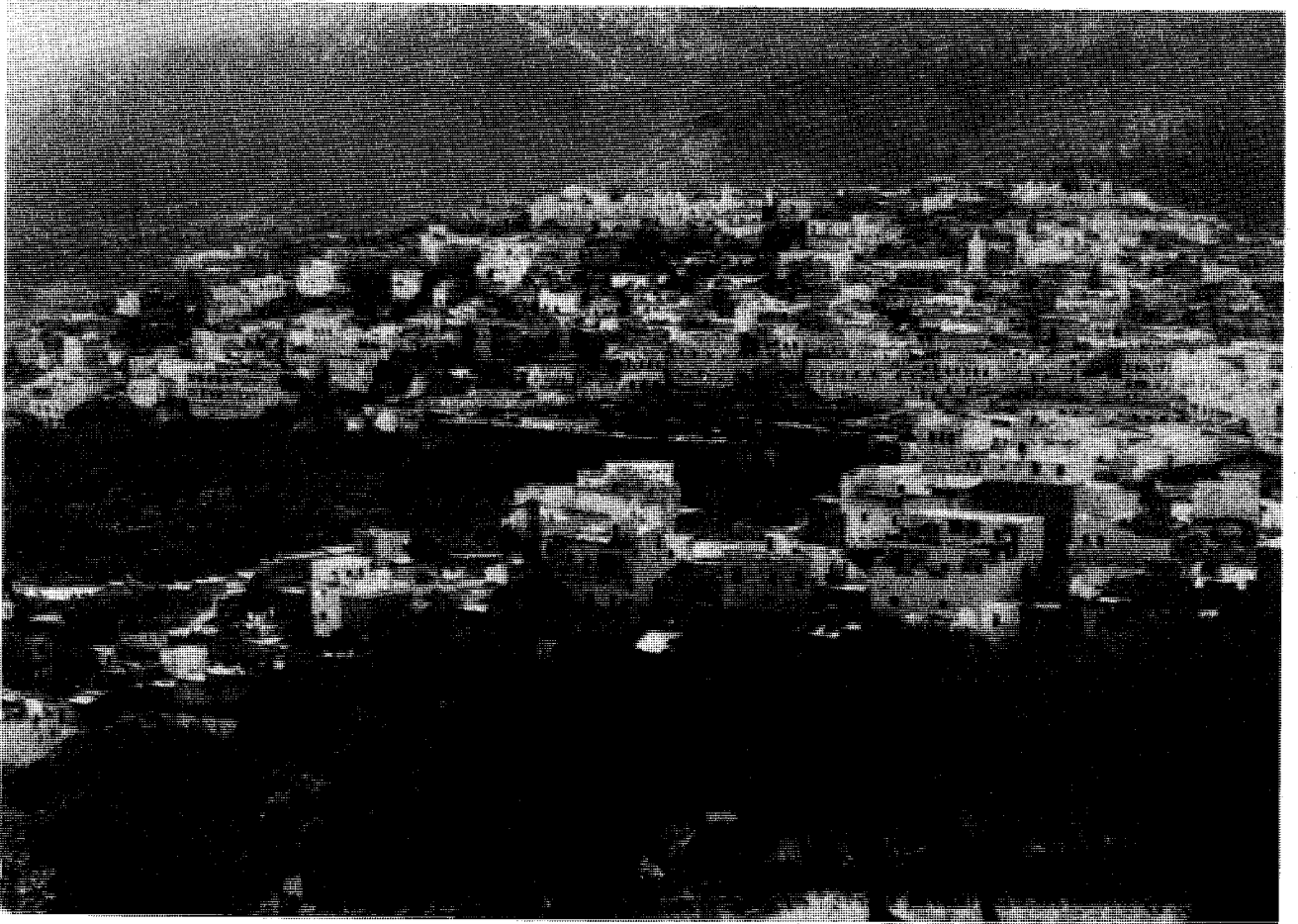
راجع : التعريف بابن خلدون ، ص 221 حاشية 3 ، و « الروض الهتون ،  
في أخبار مكناسة الزيتون » لابن غازي العثماني المكناسي ( ط . القصر الملكي  
بالرباط 1966 م ) بتحقيق عبد الوهاب بن منصور . وكذا مجلة « الثقافة  
المغربية » ج 7 عدد 7 ( 1972 ) تحت عنوان ( التخطيط المعماري لمدينة  
مكناس ) للاستاذ محمد المنوني ، ص 21 - 56 .

112 اشارة الى قوله تعالى : « أخرج منها ماءها ومرعاها » النازعات : 31 .

113 مريع : خصب .

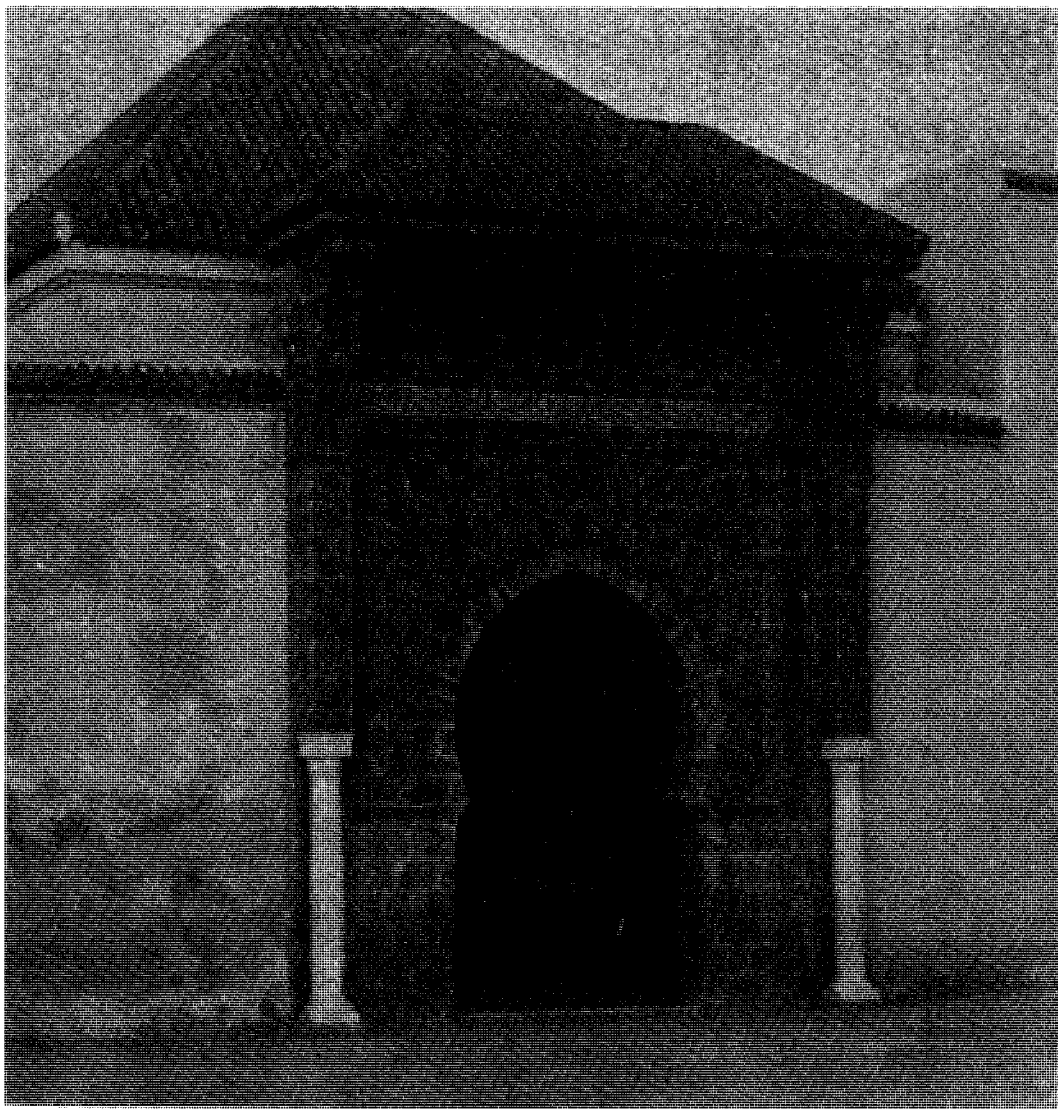
114 يقصد بالحضرة المرينية : فاس العاصمة .

مکناس



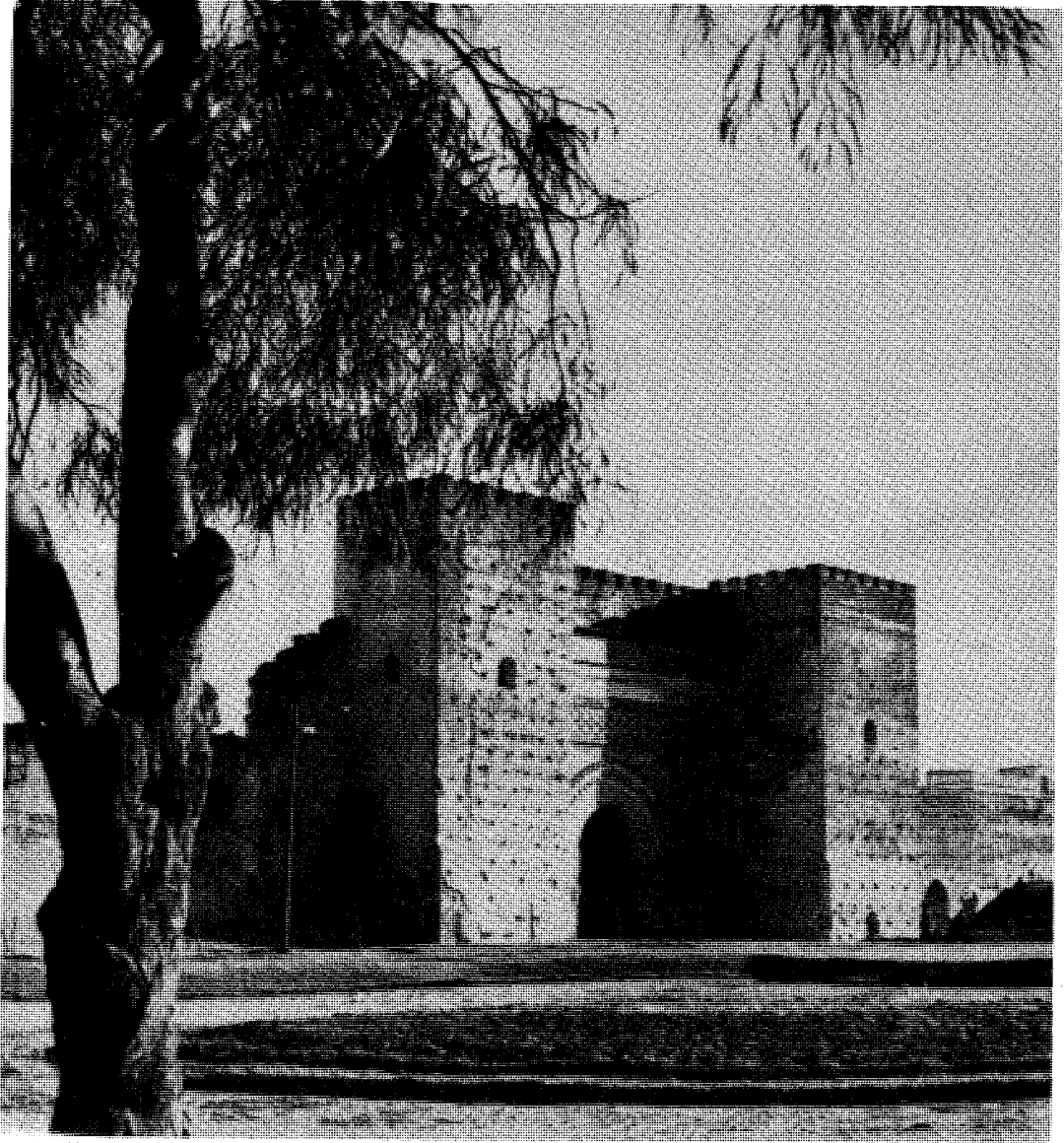
منظر عام لمدینة مکناس

مکناس



مخزل ضریح مولای اسماعیل

## مكناس



باب الريح  
أحد المداخل الرئيسية لمدينة مكناس

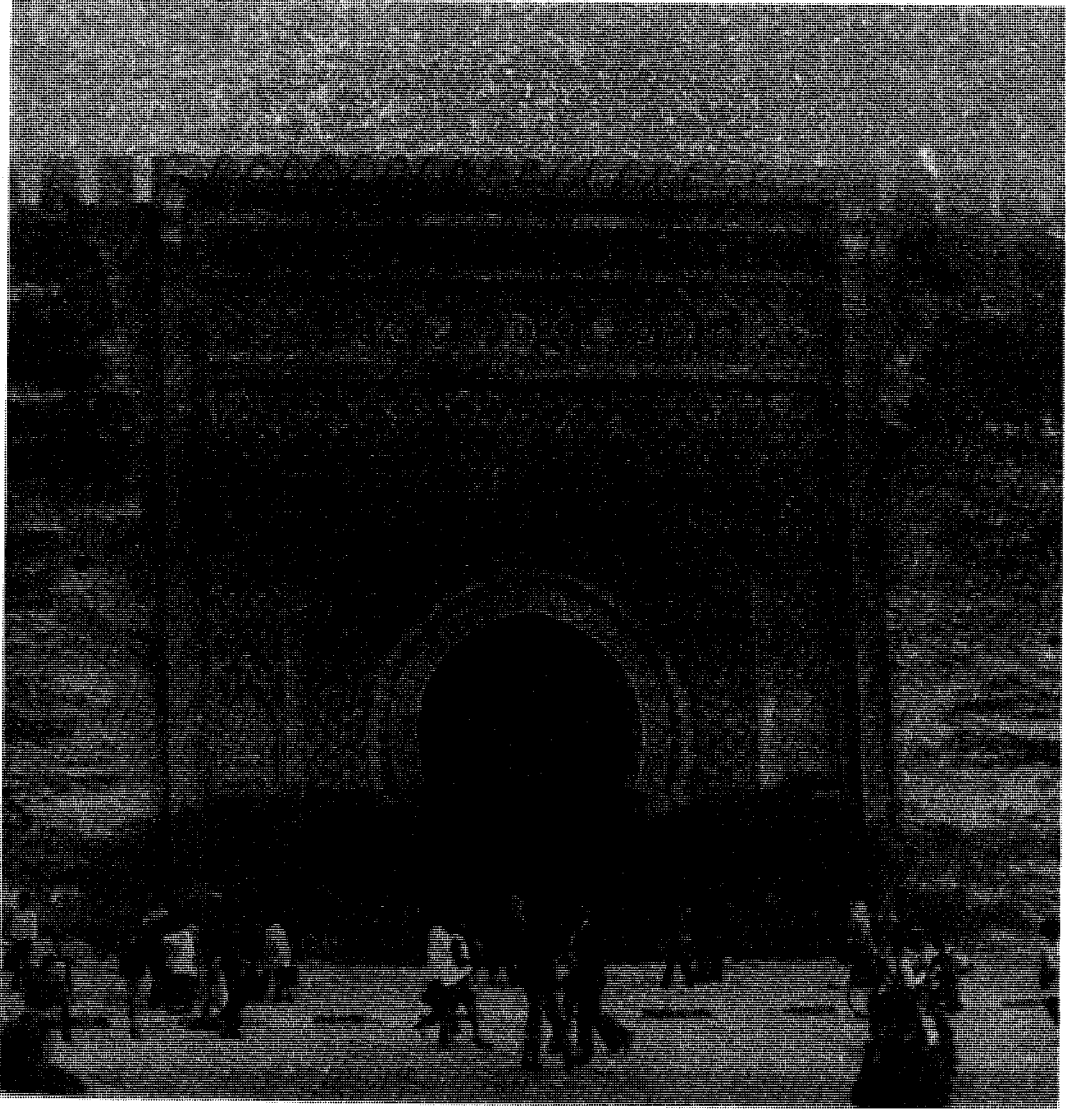


كناس

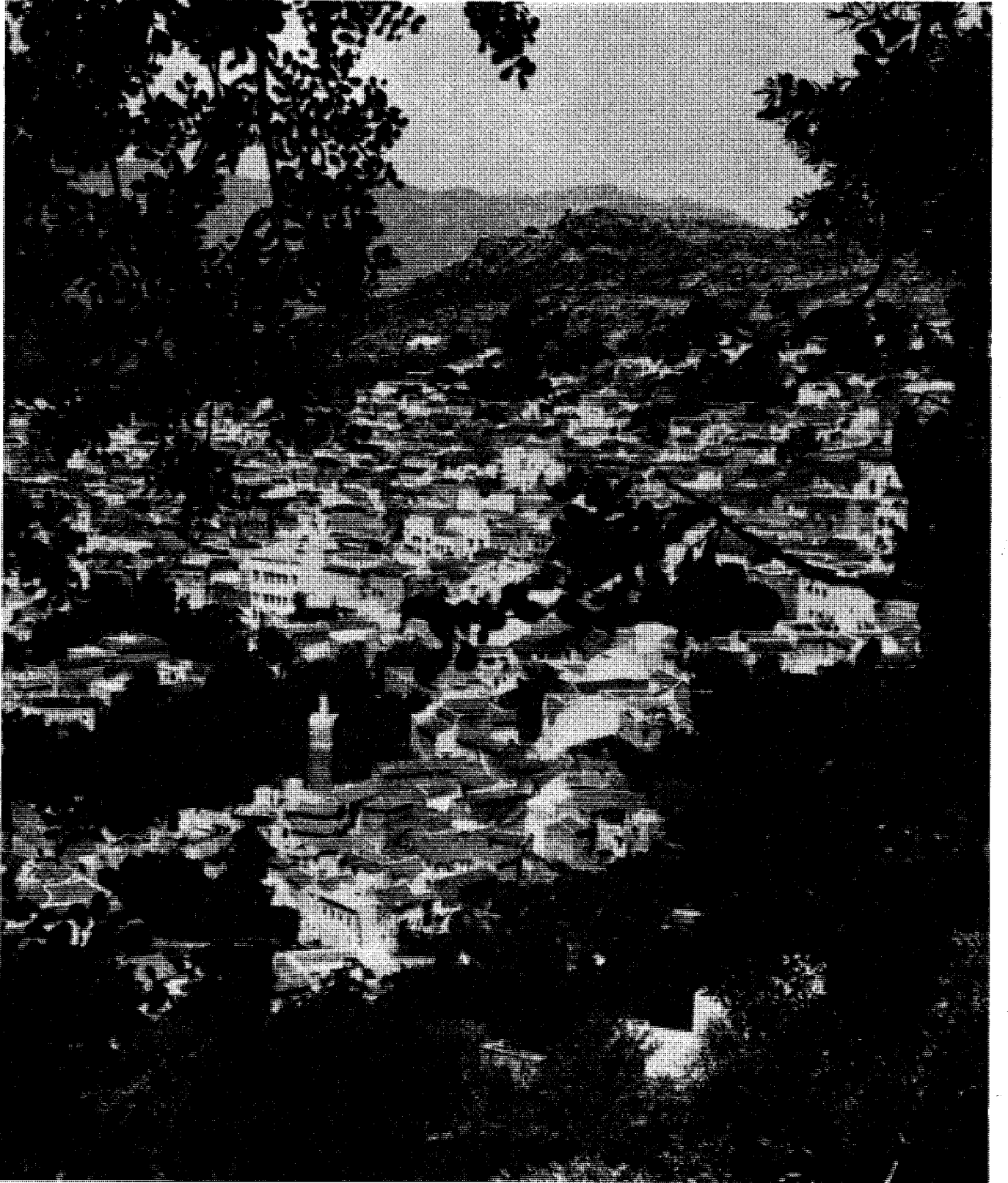


بواب منصور  
المدخل الرئيسي للمنشآت الملكية بأمماصمة الاسماعيلية

مکناس



باب مسجد الانوار



« . . . حيث البنى التي نظر اليها عطارد فاستجفاها ، وخاف عليها اوجود ان  
يصيبها بعينه الحسود ، فسترها بالفور واخفاها . . . »

والبهاء ، والمقاصير والابهاء (115) . الا أن طينها ضحضاح (116) ،  
لذى الظرف فيه افتضح ، وأزقتها لا يفارقها القدر ، وأسواقها يكثر بها  
الهذر ، ( وعقاربها لا تبقى ولا تذر ) (117) ، ومقبرتها لا يحتج  
( 124 : أ ) عن اهمالها ولا يعتذر .

#### 14 - « فـاس » (118)

قلت . فمدينة فاس ؟

فقال :

رعى الله قطرا ينبت الغنى وآفاقه ظل على الدين ممدود  
نعم العرين ، لاسود بنى مرين ، ودار العبادة التى يشهد بها

(115) الابهاء ، ج بهو ، وهو : قاعة الاستقبال .

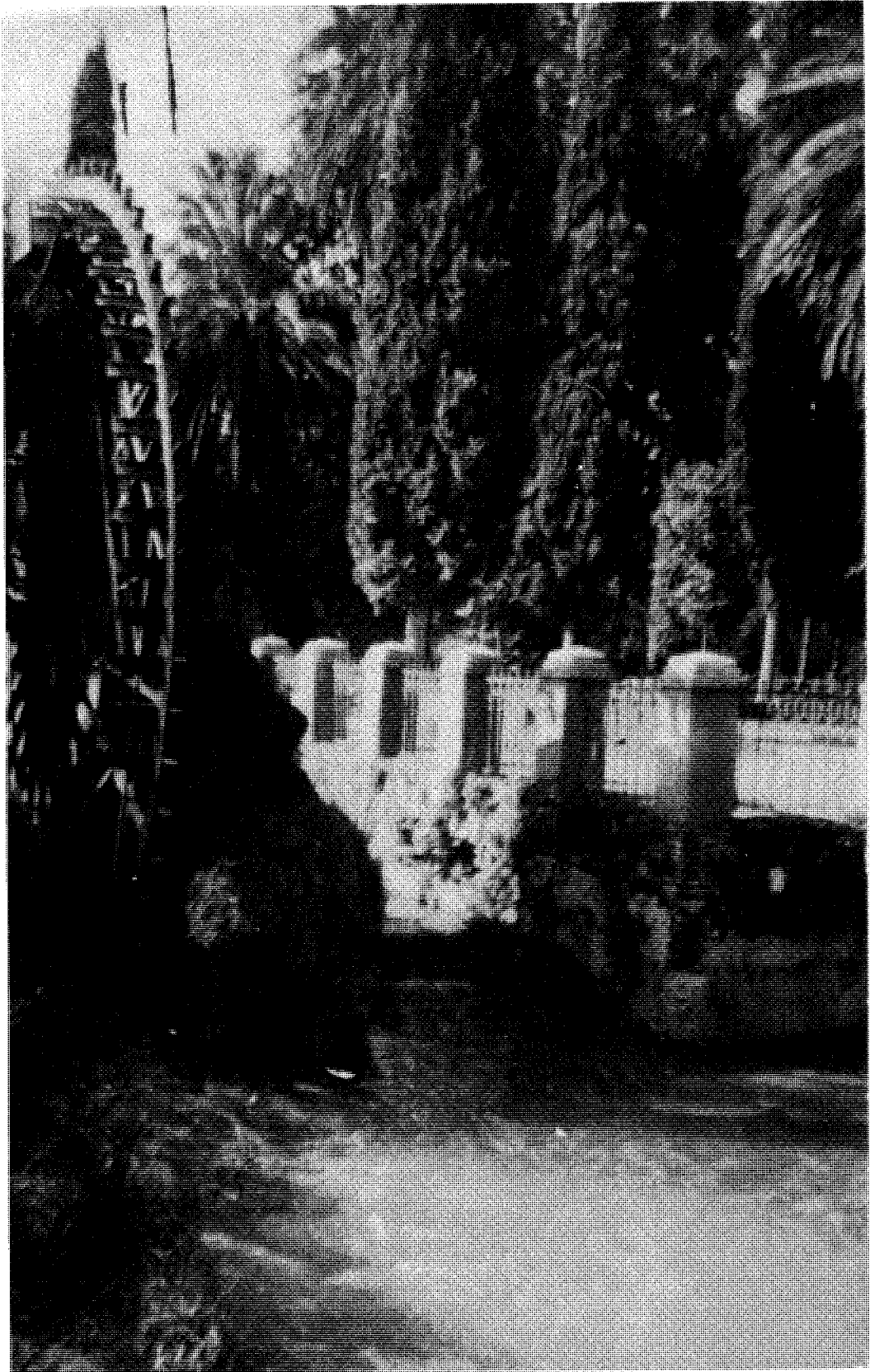
(116) يعنى انتشار الاوحال فى طرقات المدينة .

(117) زيادة فى نسختى س ، ط .

(118) فاس : هى بالاسبانية Fez أسسها المولى ادريس الثانى عام 808 م ،

فهى أقدم عواصم المغرب التاريخية ، وتبعد عن « الرباط » العاصمة  
الادارية حاليا بنحو مائتى كم ، وقد عاصر مؤسسها الامير الاموى الحكم بن  
هشام بالاندلس ، وهو الذى كان قد نفى وشرد معظم سكان ضاحية الربض  
فى قرطبة ، اثر الموقعة الشهيرة التى تغلب فيها على هؤلاء الثائرين ( 202 هـ  
= 817 م ) فلجأ الربضيون الى فاس ، وفيها احيوا الصناعات المختلفة ،  
وطبعوا المدينة بطابع الفن الاندلسى ، ولاسيما فى المعمار ، حتى سميت  
فاس لذلك « مدينة الاندلسيين » . أما « مدينة القرويين » فهى الضاحية التى  
عمرها سكان المغرب الادنى ، بعد أن وفدوا من القيروان ، وحيث بنى بها  
« جامع القرويين » ، الذى أسسنه السيدة فاطمة الفهرية الادريسية ، وهو  
الآن يمثل أقدم جامعات العالم ، ويؤمها الطلاب من كل حذب وصوب .

وتجدر الإشارة الى أن مركز فاس السياسى قد تضاعل فى عصر المرابطين  
ثم الموحدين ، الذين اتخذوا من مراكش عاصمة ، حتى تغلب بنو مريـن  
فأعادوا الى فاس سابق مجدها ، باتخاذهم اياها العاصمة . أما « فاس  
الجديد » فهى التى بناها الامير ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى عام



ناعورة في جنان السبيل  
( فـاس )

مطرح الجنة ومسجد الصابرين . (119) أم القرى ، ومأم السعري ،  
وموقد نار الوغى ونار القرى . ومقر العز الذي لا يهضم ، وكرسى  
الخلافة الاعظم . والجريية (120) التي شقها ثعبان الوادي فما ارتاعت  
والابية التي ما أذعنت اذعانها للياللة المرينية ولا أطاعت .  
أى كلف وكلف ! ومتفق ومختلف ! ومحابة وزلف ! وقضيم  
وعلف ! وخلف عن سلف ! انما الدنيا أبو دلف (121) ! .

674 هـ = 1275 م ، وقد اطلقت عليها عدة أسماء ، مثل المدينة البيضاء ،  
والبلد الجديد ، والمدينة الجديدة . وتتصل فاس القديمة بفاس الجديدة عبر  
حدائق ابي الجنود الغناء ، وتعتبر أبواب فاس غربية الشكل ، كسباب  
الدكاكين ، وباب الساكمة ، وباب السمارين .  
هذا وتعتبر المدينة في مقدمة مدن المغرب ثقافيا وصناعيا وتجاريا ، وتزدهر  
فيها السياحة ، نظرا لما تشتمل عليه - غير ما ذكرنا - من آثار هامة ،  
كالمدرسة البوعنانية ذات الساعة الشمسية الغربية ، ومدرسة العطارين ،  
ومدرسة المصباحية ، ومسجد الاندلس ، وزاوية المولى ادريس الثاني  
مؤسس المدينة ، حيث يوجد بها الضريح . كما توجد قبور المرينيين على  
مرتفع يمكن منه رؤية المدينة في السفح ، وقد احاطتها الاسوار الاثرية ،  
فبدت فتنة الناظرين ..

راجع : ابن خلدون في « العبر » ج 7 ص 194 - 195 ، والسلاوي في  
« الاستقصا » ج 2 ص 22 ، ثم :

ود. عبد الهادي التازي في : « جامع القرويين » .

وانظر : Description de Africa, F.P. 122-148 (juin Léon Africano).

(119) مسجد الصابرين : أحد المعالم الاسلامية بفاس .

انظر: مجلة البحث العلمي - السنة الثامنة عشرة - العدد 14 الصادرة بالمغرب .

(120) الجرية : حوصلة الطائر .

(121) هذا التعبير اقتباسا من قول الشاعر العكوك على بن جبلة :

انما الدنيا أبو دلف بين مغزاة ومختصره

فاذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

وأبو دلف هذا هو القاسم بن عيسى بن ادريس العجلي ، أمير الكرخ ، وسيد

قومه ، وأحد الاجواد من الشعراء ، كما كان من رجال الرشيد ، ثم ابنه المأمون

وقد عقد له الكاتب ابن طيفور فصلا خاصا في كتابه « بغداد في تاريخ الخلافة

العباسية » عند حديثه عن الخليفة المأمون ، توفى أبو دلف عام 226 هـ .

والشهرة بعدئذ واضحة للرجل في الفنى العريض ، والكرم النادر ...

سألت عن العالم الثاني (122) ، ومحراب السبع المثاني ، ومعنى  
المغاني ، ومرقص النادب والغاني ، وارم المباني(123) ، ومصلى القاصي  
والداني . هي الحشر الاول ، والقطب الذي عليه المعول ، والكتاب الذي  
لا يتأول . بلد المدارك والمدارس ، والمشايخ والفهارس ، وديوان  
الراجل والفارس . والباب الجامع من موطأ المرافق ، ولواء الملك  
الخافق ، وتطور الماء الدافق ، ومحشر المؤمن والمنافق ، وسوق الكاسد  
والنافق ، حيث البني النى نظر اليها عطارد (124) فاستجفاها (125)  
وخاف عليها الوجود أن يصيبها بعينه ( 124 : ب ) الحسود فسترها  
بالغور وأخفاها (126) . والاسواق التي — ثمرات كل شيء اليها —  
قد جبيت ، والموارد التي اختصت بالخضر وحببت ، والمنازه المخطوبة ،  
وصفاح الخليج المشطوبة ، والغدر التي منها أبو طوبة (127) .  
بلد أعارته الحمامة طوقها وكساه رريش جناحه — الطاووس  
فكأنما الانهار فيه مدامة وكان ساحات الديار كؤوس  
اجتمع بها ما أولده سام وحام ، وعظم الائتنام والالتحام ، فلا  
يعدم في مسالكها زحام . فأحجارها طاحنة ، ومخابزها شاحنة ،  
وألسننتها — باللغات المختلفة — لائحة ، ومكاتبها مائجة ، ورحابها  
متمائجة ، وأوقافها جارية ، والهمم فيها — الى الحسنات وأضدادها —  
متبارية .

- (122) ويقصد بالعالم الاول الاندلس .  
(123) ارم المباني : علم المباني .  
(124) عطارد : نجم سيار قريب من الشمس .  
(125) استجفاها : طلب منها البعد ، والتعبير كلية كناية عن علو شان المدينة  
ومنزلتها السامية .  
(126) يعنى أن موقع المدينة في السفح المنخفض ، وهو حسن تعليل رائع ، لوفاية  
المدينة من عين الحسود بموقعها هكذا .  
(127) أبو طوبه : الريح الطيبة .

بلد نكاح وأكل ، وضرب وركل ، وامتنياز من النساء بحسن زى  
وشكل ، ينتبه بها الباه ، وتتل الجباه ، وتوجد للازواج الاشباه . الى  
وفور النشب (128) ، وكثرة الخشب ووجود الرقيق ، وطيب الدقيق ،  
وامكان الأدام ، وتعدد الخدام ، وعمران المساجد والجوامع ، وادامة  
ذكر الله فى المآذن والصوامع .

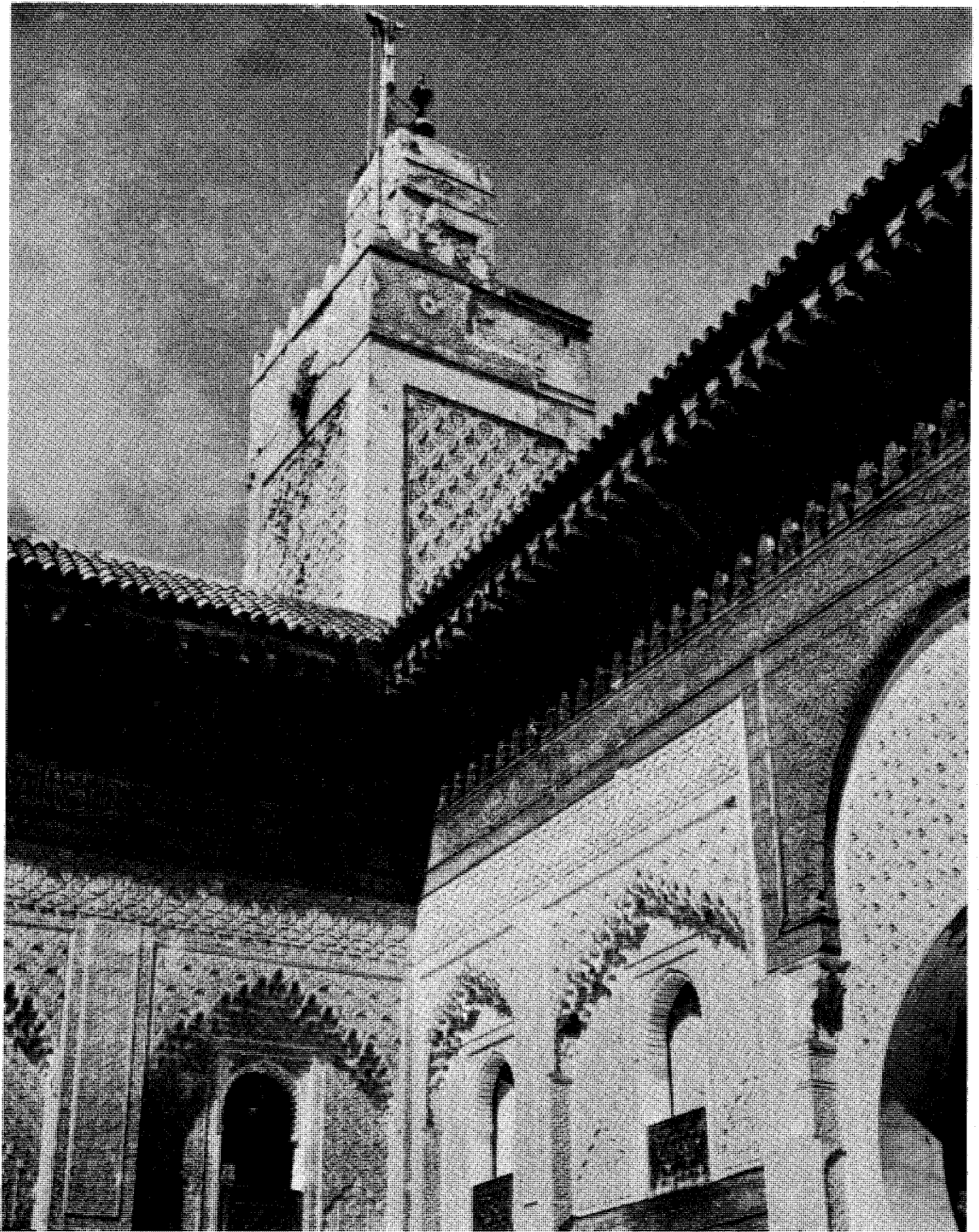
وأما مدينة الملك (129) ، فبيضاء كالصباح ، أفق للفرر الصباح ،  
يحتقر - لايوانها - ايوان كسرى ، وترجع العين كسرى ، ومقاعد  
الحرس ، وملاعب ( 125 : أ ) اللبيث، المفترس (130) ، ومنابت الدوح  
المفترس ، ومدرس من درس أو درس ، ومجالس الحكم الفصل ،  
وسقائف الترس والنصل ، وأهداف الناشبة أولى الخصل (131) .  
وأواوين الكتاب ، وخزائن محمولات الاقتاب ، وكراسى الحجاب ، وعنصر  
الامر العجاب .

الى الناعورة التى مثلت من الفلك الدوار مثالا ، وأوحى الماء  
الى كل سماء منها أمرها فأبدت امتثالا ، ومجت العذب البرود سلسالا ،  
وألقت أكوابها الترفه والترف ، فاذا قاموا الى الصلاة قاموا  
كسالى (132) .

- 
- (128) النشب : نوع من الشجر تستعمل من خشبه القسى .  
(129) مدينة الملك : يقصد بها فاس الجديد .  
(130) كان من عادة ملوك بنى مرين أن يشهدوا فى حلبة خاصة مصارعة بين الثور  
والاسد ، وكثيرا ما كانت تنتهى بانتصار الثور . ولعل هذا اصل مصارعة  
الثيران باسبانيا اليوم .  
(131) الخصل : عود عليه شوك .  
(132) قوراء : قرص مدور متسع المحيط مخروق الوسط ، والناعورة هكذا ، وعليها  
الوانى الفخارية ، وبدوراتها تحمل المياه ، ثم تلقيها من عل كالشهب  
الراصدة .



فاس



( المدرسة البوعنانية )

وقوراء (133) من قوس الغمام ابتغوا لها  
مثالا أداروها عليه بلا شك  
فبين الثريا والثرى سد جرمها  
وللفلك الدوار قد أصبحت تحكى  
تصوغ لجين النهر في الروض دائما  
دراهم نور قد خلصن من السبك  
وترسل من شهبانها ذا ذؤابة  
فتنفى استراق السمع عن حوزة الملك (134)  
تذكرت العهد الذى اخترعت به  
وحننت فما تنفك ساجعة تبكى

ثم قال : الا أن حر هذه المدينة مذيّب ، وساكنها ذيب ، ومسالكتها  
وعرة ، وظهائرها مستعرة ، وطينها هائل ، وزحامها حرب وائل (135) .  
ان نشد الجفاء ناشد ، فهي ضالته المنشودة ، أو حشد أصنافه حاشد

---

133 يشير بذلك الى قوله تعالى : « وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يسمع  
الآن يجد له شهابا رصدا » سورة الجن ، آية : 9 ، وفي هذا — كما في البيت  
التالى — حسن تعليل لطيف .

134 اقتباسا من قوله تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا  
الى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ، ولا يذكرون الله الا قليلا »  
سورة النساء ، آية : 142 .

135 وتعرف بحرب البسوس ، حدثت في الجاهلية قبيل الاسلام ، وقد قامت بسبب  
ناقة لدار جساس ، قتلها كليب ، فقتل جساس قاتلها كليب ، ودارت الحرب  
بين بكر وتغلب اثر ذلك ، واستمرت قرابة أربعين عاما ، وكانت بينهما في تلك  
الهدية خمس وقعات شهيرة ، تارة يكون الظهور فيها لبكر ، وتارة لتغلب ،  
وتارة ينتصفان ، حتى تصالحا بعد أن سقط خيرة القبيلتين وزهرة شبابهما ،  
فضرب المثل بحرب وائل ، كما قيل في التطير في الامثلة العربية : أشام من  
البسوس .

(125 : ب) فهي كتيبته المحشودة . الى بعد الاقطار ، وغيث الميازب  
أوقات الامطار ، والاشتراك في المساكن والديار، على الموافقة والاختيار،  
وتجههم الوجوه للغريب ، ذى الطرف المريب ، وغفلة الاملس عن  
الجريب (136) ، ودبيب العقارب ، أرسالا كالقطا القارب (137) . وأهلها  
يرون لانفسهم مزية الفضل ، ويدينون في مكافأة الصنائع البالغة  
بالعضل (138). يلقي الرجل أبا مثواه فلا يدعوه الى بينه، ولا يسمع (139)  
له ببقله ولا زيته (140) ، فلا يطرق الضيف حماهم ، ولا يعرف اسمهم ولا  
مسماهم ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ما هم (141) .  
ومقبرتهم غير نابهة ، وأجدائها غير متشابهة ، مشربة حيوان ، ومشبعة  
جرذان ، غير وان (142) .

### 15 - أقر سلوين (143)

قلت : فما تقول في أقر سلوين ؟

قال : واد عجيب ، وبلد لداعى الايناع مجيب ، مخضر الوهاد ، كثير  
شجر الجوز والزيتون ، كنفته الجبال الشم ، وحناء عليه الطود كما تحنو

- 136 كناية عن ان اهل المدينة يتميزون ومعروفون ، والغريب حينئذ ظاهر بينهم  
مهمل ، لا يلتونه كما يلتون بعضا .  
137 القطا القارب : القطا الذى يطلب الماء ليلا .  
138 العضل : بفتح العين وسكون الضاد ، الشدة .  
139 في نسختى ( ط ، س ) « ولا يسمع » ، وهو ما لا يتناسب والسياق .  
140 في نسخة ( ط ) « ولا بزيتته » ، وهو أوفق للعطف باعادة الجار .  
141 اقتباسا من قوله تعالى : « قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، وان  
كثيرا من الخلطاء ليبنى بعضهم على بعض ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
وقليل ما هم ، وظن داود أنها فتناء ، فاستغفر ربه ، وخر راکما واناب »  
سورة ص ، آية : 24 .  
142 غير وان : غير مقصر .  
143 أقر سلوين : يحتل ان يكون المراد بها تصبة سلوان ، حيث تقطن قبائل  
« بنى يطفتى » ، بالريف شمال المغرب .

على ولدها الام ، فهوأؤها ملائم ، والعنب على الفصول دائم . الا أن الشمس لا تطرقه بنوال ، ولا ترمقه الا وقت زوال . قد باء بالحظ الموكوس وانكمش تحت ابط الظل المنكوس ، فجوه عديم الطلاوة ( 126 : أ ) ، وعنبه — للبرد — قليل الحلاوة .

## 16 — « سجلماسة » (144)

قلت : فسجلماسة ؟

قال : تلك كورة (145) ، وقاعدة مذكورة ، ومدينة محمودة مشكورة ، كانت ذات تقديم ، ودار ملك قديم (146) ، وبلد تبر وأديم ، ومنمى تجر ومكسب عديم (147) . معدن التمر ، بحكمة صاحب الخلق والامر ، تتعدد أنواعه ، فتعبي الحساب . وتجم بها فوائده فتحسب الاقتناء والاكتساب . قد استدار بها — لخلق السور — الامر العجاب ، والقطر الذي تجار في ساحته النجاب ، فضرب منه على عذارها الحجاب (148) ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب (149) ، يحيط بها مرحلة راكب ،

144 سجلماسة : يطلق هذا الاسم على مقاطعة في جنوب المغرب تسمى الآن « تافيلالت » .

راجع في هذا : ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ج 5 ص 41 ، والتعريف بابن خلدون ص 40 حاشية 1 .

145 كورة ، أى بلد به قرى ومساكن ، يقول الحموي في معجم البلدان « ان الكورة كل صنع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر » ( ج 1 ص 36 ) .

146 يقصد دولة « بنى مدرار » التي عاصرت دولة الادارسة ، فقد اتخذت سجلماسة قاعدة لملكها .

147 أى عديم النظير

148 كناية عن السور المحيط بالمدينة .

149 اقتباسا من قوله تعالى : « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا : انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ، فضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب » سورة الحديد ، آية : 13 .

ويصيرها سماء مخضرة ذات كواكب . فمنازلها لا تتال بهوان ، وفدنها  
ودمنا تحت صوان ، ونخلها تطل من خلف الجدار ، وتتبواً الايمان والدار ،  
وحلها مبنوثة بين الدمن، وضياها تتملك على مر الزمن، وسوائمها آلفة  
للسمن ، موجودة بنزر الثمن ، وفواكهها جميمة ، ونعمها عميمة ، وسورها  
حصين مشيد ، وجسرها يعجز عن مثله معتصم ورشيد (150) . وسقيها  
يخص دار الملك بحظ معلوم ، ويرجع الى وال يكف كل ( 126 : ب )  
ظلوم .

وهي أم البلدان ، المجاورة لحدود السودان ، فتقصدها — بالتبر —  
القوافل ، وتهدى الى محرابها النوافل ، والرفاهية بها فاشية ،  
والنشافي (151) الحلية ناشية (152) . لكنها معركة غبار ، وقتيل عقربها  
جبار (153) ، ولباسها خامل ، والجفاء بها شامل ، والجو يسفر عن الوجه  
القطوب ، والمطر معدود من الخطوب ، لبناء جدرانها بالطوب ، والقرع  
برؤوس أهلها عابث ، والعمش (154) في جفونهم لاث ، والحصا يصيبهم،  
ويتوفر (155) منه نصيبهم .

- 
- 150) المعتصم والرشيد ، من أشهر وأعظم خلفاء بني العباس ، فالمعتصم هو  
أبو اسحاق محمد بن هارون الرشيد ، 218 — 227 هـ ( 833 — 842 م ) ،  
وأما هارون الرشيد فقد حكم من عام ( 170 — 193 هـ ، 786 — 809 م ) ،  
ويرمى بهذا الى المبالغة في عظم شأن الجسر المؤدى الى المدينة .
- 151) النشافي الحلية : الاحجار ذات الفخاريب ، تستعملها النساء في الحمامات .
- 152) ناشية : ذات رائحة طيبة .
- 153) جبار : هدر ، وذهب دم القتل جبارا ، أى لم يؤخذ له بالقصاص ولا بالدية .
- 154) العمش : ضعف بالبصر تصحبه الدموع .
- 155) في نسختي ( س ، ط ) « يتوقر » ، والصواب في نسختنا .

## 17 - « تازة » (156)

قلت : فتازا ؟

قال : بلد امتناع ، وكشف قناع ، ومحل ربيع وايناع ، ووطن طاب  
ماؤه ، ( وضح ) هواؤه ، وبان شرافه واعتلاؤه ، وجلت فيه مواهب  
الله وآلاؤه . عصير مثل ، وأمر الخصب به ممثّل ، وفواكه لا تحصى ،  
يमार بها (157) البلد الاقصى ، وحبوبه تدوم على الخزن ، وفخاره آية في  
لطفة الجرم وخفة الوزن . الا أن ريحه عاصف ، وبرده لا يصفه واصف ،  
وأهله في وبال ، من معرفة أهل الجبال ، وليوثه مفترسة ، وأخلاق أهله  
شرسة .

## 18 - غساسنة (258)

قلت : فغساسنة ؟

(156) تازة : « Taza » تبعد هذه المدينة المغربية عن فاس بنحو 119 كم ، كما  
تبعد عن مدينة وجدة بمسافة 230 كم . وتتمتع بموقع جغرافي هام ، مما  
جعلها تتخذ على مر العصور قاعدة حربية ، هكذا فعل ادريس الثاني ، كما  
اتخذها عبد المؤمن الموحدى حصنا هاما ، وفي عهد بني مرين جعل منها  
أبو يعقوب المريني قاعدة لغزو تلمسان ، وهي قرب نهر « اناون » على  
آخر الجبال المحاذية للاطلس المتوسط ، والمواجهة لجبال الريف ، وقد  
تأسست في القرن الثامن الميلادي . من آثار المرينيين بها المدرسة والجامع  
الاعظم ، وهما آيتان في روعة الفن الاندلسي المغربي .  
راجع : التعريف بابن خلدون ص 134 حاشية 2 ، وتاج العروس ج 4 ص 12  
يمار : يمون . (157)

(158) غساسنة : مدينة ذات موقع يقرب من مصب نهر ملوية  $\mu\eta\eta\eta\eta$  بالبحر  
المتوسط ، وقد كانت هذه المدينة - يومئذ - مقرا لقائال بطوية Buthoia  
ومن قبل فهي مرسى له أهميته ، يقع غرب مليية ، أجهز عليه الاستعمار  
الاسباني عام 1496 م ، ويعتقد أن عبد الرحمن الداخل أبحر من « غساسنة »  
الى الاندلس ، كما نزل بها عبد الله ابن الاحمر آخر ملوك بني نصر اثر  
سقوط غرناطة ( 2 يناير 1492 م ) ، كما أن هذه المدينة التي اندثرت « كانت

قال : فريسة وأكيلة ، وحشف وسوء كيلة (259) . الا أنها مرسى  
مرسى مطروق ، بكل ما يروق ، ومرفاً جارية ( 127 : أ ) بحرية ،  
ومحط جباية تجرية .

### 19 - تلمسان (260)

قلت : فمدينة تلمسان ؟

قال : تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف، ووضعت في موضع

المعبر المفضل للمهمات السرية والسريعة « ولذلك يشير ابن الخطيب في  
وصفها .

راجع : ابن خلدون في « العبر » ج 6 ص 101 وانظر : د. عبد الهادي التازي  
في مجلة « البحث العلمي » ( عدد 24 من السنة 12 ص 13 ) تحت  
عنوان « الثغور المغربية بين المواجهة المسلحة والتدخل الديبلوماسي » .  
(159) هذا التعبير كناية عن سوء الخارج من المحاصيل الزراعية ، بالإضافة التي  
غش أربابها لها ، وبهذا يشير المؤلف الى المثل العربي ( احشفا وسوء  
كيلة !! ) الذي يضرب للظلم يلحق صاحبه مضاعفا .

(160) تذكر المعاجم والمؤرخات أن كلمة « تلمسان » مركبة من « تلم » ومعناه :  
لها ، « وشان » أي : لها شأن ، ثم صرفت الشين - بمرور الزمن - الى  
السين . وذكر المقرئ نقلا عن الكاتب ابي زكريا يحيى ابن خلدون من كتابه  
« بغية الرواد » في اخبار بني عبد الواد ، وأيام ابي حمو الشامخة الاطواد ،  
بعد كلام في شأن البربر ما صورته : « ودار ملكهم وسط بين الصحراء  
والتل ، تسمى بلغة البربر « تلمس » كلمة مركبة من « تلم » ومعناه : تجمع  
« سن » ومعناه : اثنان ، أي الصحراء والتل ، فيما ذكره شيخنا العلامة ابو  
عبد الله الابلئ ، رحمه الله ، وكان حافظا بلسان القوم » .

وتقع المدينة غرب الجزائر ، وهي مركز للمحافظة التي تسمى باسمها ، ويبلغ  
عدد سكانها حوالي 85.000 نسمة ، وتشتهر بينابيعها وكرومها وصناعاتها  
المحلية ، والتي أهمها السجاد والجلود ومعامل النسيج . وللمدينة شهرة  
علمية تاريخية ، كما كانت سوقا تجارية هامة ، ولا سيما في عهد المرابطين  
الذين أسسوا بها « المسجد الكبير » . وقد اتخذها بنو عبد الواد عاصمة  
المغرب الاوسط ، وقد أخذت شهرتها في الاضمحلال ، منذ الاحتلال العثماني .  
من مشاهير علمائها ابو اسحاق الانصاري ( 1212 - 1291 م ) وغيره من  
فقهاء العصر الاسلامي الوسيط .

راجع : المقرئ في « نفع الطيب » ج 9 ص 331 - 342 ( تحقيق محي الدين  
عبد الحميد - القاهرة 1369 هـ ) .

شريف . كأنها ملك على رأسه تاجه ، وحواليه من الدوحات حشمه وأعالجه  
عبادها يدها ، وكهفها كنفها ، وزينتها زيانها ، وعينها أعيانها . هواء المقصور  
بها فريد ، وهواؤها الممدود صحيح عتيد ، وماؤها برود صريد . حجبتها  
أيدي القدرة عن الجنوب ، فلا نحول فيها ولا شحوب .

خزانة زرع ، ومسرح ضرع . فواكهها عديدة الانواع ، ومتاجرها  
فريدة الانتفاع ، وبرانسها رفاق رفاع .

الا أنها بسبب حب الملوك (161) ، مطمعة للملوك ، ومن أجل  
، مغلوبة للامرا . أهلها ليس عندهم (162) جمعها الصيد في جوف الفرا  
الراحة ، الا فيما قبضت عليه الراحة ، ولا فلاحه ، الا امن أقام رسم  
الفلاحه . ليس بها لسع العقارب ، الا فيما بين الاقارب ، ولا  
شطارة (163) الا فيمن ارتكب الخطارة (164)

ثم لما وصل الى هذا الحد ، نظر الى حاج السوق (165) قد أفاض ،  
ومزاده قد أعمل فيه الانفاض ، وعلو الاصوات به قد صار الى الانخفاض ،  
فقال : وجب اعتناء بالرحيل واهتمام ، وكل شيء الى تمام . ومددت يدي  
الى الوعاء فخرقته ، والى العين فأرقتته ، وقلت له : لاحمك من كرام  
بنى الاصفر ، في العدد الاوفر ، ماثلة في اللباس المزعفر ، فلما خضب كفيه  
بحنائها ، وحصلت النفس على استغنائها ، استدناني ، وشبك بنانه ببناني ،  
وقال : لاحبط عملك ، ولا خاب أملك ، ولا عدم - المرعى الخصيب -

- (161) حب الملوك فاكهة صيفية ، ولاسيما في مناطق الجزائر والمغرب ، ويقام  
« مهرجان » خاص في مدينة صفرو المغربية في موسم هذه الفاكهة حتى الآن .  
(162) اشارة الى المثل المشهور « كل الصيد في جوف الفرا » .  
(163) الشطارة ، بفتح الشين ، الخبث ، وتقول ، « شطر فلان شطارة - من باب  
ضرب - فهو شاطر » وذلك اذا أعيأ أهله خبثا .  
(164) الخطارة : ما يراهن عليه وهو السبق .  
(165) حاج السوق : المشتري بالسوق ، والمحتاج فيه .



هملك ، فنعم مغلى البضائع ، وحافظ الفضل الضائع ، ومقتنى الفوائد ،  
ومعود العوائد . واستثبت مخيلته ، فاذا الشيخ وتلميذه ، وحمارة  
ونبيذه ، قد تنكر بالخضاب المموه ، والزى المنوه ، وعاث بخد الغلام  
الشعر المشوه . فقلت : هيه (166) ، أبت المعارف أن تتنكر ، والصبح أن  
يجحد أو ينكر ، كيف الحال بعدى ؟ وما اعتذارك عن اخلاف وعدى ؟  
فقال :

خذ من زمانك ما تيسر	واترك بجهدك ما تعسر
ولرب مجمل حالة	ترضى به ما لم يفسر
والدهر ليس بدائم	لا بد أن سيسوء ان سر
(127 : ب) واكتم حديثك جاها	ثمت المحدث أو تحسر
والناس آنية الزجاج	إذا عثرت به تكسر
لا تعدم النقوى ، فمن	عدم التقى فى الناس أعسر
وإذا امرؤ خسر الاله	فليس خلق - منه - أخسر

ثم ضرب جنب الحمار ، واختلط فى الغمار (167) ، وتركنى  
أنقرى الآثار ، وكل تنظيم (168) فالى انتشار .

### تمت والحمد لله (169)

(166) هيه : كلمة تقال لطلب الاستزادة .

(167) الغمار : زحمة الناس .

(168) فى نسختى س ، ط « نظم » ، ولعل الصواب فى نسختنا ، اذ فعيل هنا بمعنى  
مفعول أى : منظوم .

(169) زيادة - فيما اعتقد - من وضع الناسخ .



# مصادر التحقيق والدراسة



## أ - المصادر العربية

- (1) ابن الأحمر : ( الامير ابو الوليد اسماعيل بن يوسف النصرى )  
( ت. 810 هـ - 1325 م )  
(2) نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان  
دراسة وتحقيق : محمد رضوان الدايسة ( بيروت 1967 م )  
(1) نثر الجمان في شعر من نظمى واياه الزمان  
- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 1863 - ادب
- (2) ابن بطوطة : ( ابو عبد الله محمد عبد الله الطنجى ) .  
( ت. 779 هـ - 1377 م )  
تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ج 2 ( القاهرة 1938 )
- (3) ابن الخطيب : ( لسان الدين ابو عبد الله محمد )  
( ت. 776 هـ - 1374 م )  
(1) الاحاطة في اخبار غرناطة  
نسخة خطية بالاسكوريال رقم 1673 ونسختان خطيتان بالاكاديمية  
الملكية التاريخية بمدريد تحت رقمى 34 ، 142 وتوجد النسخة  
مطبوعة في جزاين ( القاهرة 1319 هـ ) كما توجد نسخة خطية اخرى  
برواق المغاربة بالازهر . وقد نشر الاستاذ عبد الله عنان الجزء  
الاول من كتاب الاحاطة في مجموعة ذخائر العرب .  
(ب) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ،  
تحقيق الدكتور احمد مختار العبادى القاهرة - 1948 م )  
(ج) ريحانة الكتاب ونجمة المنتاب ، مخطوط بالاسكوريال رقم 1825  
وقد نشر جزءا كبيرا منه العالم الاسبانى جاسبار ريميرو تحت  
عنوان :  
Gaspar Remiro. Correspondencia diplomatica entre granada y Fez en el  
siglo XLV.  
(د) اعمال الاعلام فيمن بويح قبل الاحتلام من ملوك الاسلا .  
نشره ليفى بروفنسال في طبعتين ( رباط 1934 ) ، بيروت 1956 .  
نشر محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة 1951 .  
(هـ) كناسة الدكان بعد انتقال السكان  
نشر وتحقيق د. محمد كمال شبانه - دار الكتاب العربى بالقاهرة  
( 1347 هـ )  
(س) رقم الحلل في نظم الدول ( تونس 1317 )

- (4) **ابن خلدون** : ( عبد الرحمن بن محمد )  
 ( ت. 808 هـ — 1405 م )  
 1 — المقدمة ( نشر مصطفى محمد بالقاهرة )  
 ب — كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر ( 7 أجزاء بما في ذلك المقدمة ) ،  
 القاهرة 1284 .  
 ج — التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا  
 نشر محمد بن تاويست الطنجي ، القاهرة 1951
- (5) **الادريسي** : ( صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ) عن ( نزهة  
 المشتاق ) نشر دوزي ودي خويه ( ليدن 1866 م )
- (6) **ابن غازي** : ( محمد بن احمد العثماني المكناسي )  
 ( 841 — 919 هـ )  
 ( الروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون )  
 تحقيق عبد الوهاب بن منصور ( الرباط 1964 )
- (7) **ابن القاضي** ( احمد بن محمد بن احمد )  
 عاش في القرن السابع عشر الميلادي .  
 1 — جذوة الاقتباس فيمن حل من العلماء مدينة فاس  
 ( فاس 1309 ) .  
 ب — درة الحجال في غرة اسماء الرجال 2 ج  
 ( نشر علوش ، رباط 1934 م )
- (8) **ابو نواس** : ( ابو الحسن بن هانيء )  
 ( ت. 813 م — 198 هـ )  
 ديوان ابي نواس بتحقيق « ايفالد فاغر » — ( طبعة القاهرة 1958 )
- (9) **الجاحظ** : ( ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني )  
 ( ت. 255 هـ — 868 م )  
 « البيان والتبيين »  
 تحقيق عبد السلام هارون طبعة ( القاهرة 1948 م ) .
- (10) **الجواليقي** ( منصور بن احمد الخضر )  
 « المغرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم » .  
 تحقيق احمد محمد شاكر ( دار الكتب المصرية بالقاهرة 1361 هـ )

- (11) **جمال :** الدين محمد بن سالم بن نصر الله  
(ت. 697 هـ - 1394 م)  
تجريدة الاغانى للاصبهانى
- (12) **الحميرى :** (ابن عبد المنعم)  
عاش في القرن الثامن الهجرى .  
الروض المعطار في خبر الاقطار .  
نشره ليفى بروفنسال .  
(ليدن 1938)
- (13) **السباعى :** (بيومى)  
« تاريخ القصة والنقد في الادب العربى »  
(القاهرة 1956)
- (14) **السلوى :** (شهاب الدين محمد بن خالد الناصرى)  
ت. 1319 هـ - 1901 م  
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ( 4 اجزاء في مجلدين )  
القاهرة 1894 م ..
- (15) **شبانه :** (دكتور محمد كمال احمد)  
يوسف الاول ابن الاحمر ، سلطان غرناطة ( القاهرة 1969 م )
- (16) **الطبرى :** (ابو جعفر محمد بن جرير)  
(ت 922 م - 310 هـ)  
« تاريخ الامم والملوك » ( 12 جزءا طبعة القاهرة 1908 )
- (17) **عنان :** (محمد عبد الله ) معاصر  
(لسان الدين ابن الخطيب ) .  
( القاهرة 1968 م )
- (18) **القلقندى :** (ابو العباس احمد بن على)  
ت 821 هـ - 1418 م  
صبح الاعشى في صناعة الانشا 14 جزءا  
( القاهرة 1212 - 1219 هـ )

## المصادر الأجنبية

1. Ballesteros, A. :  
Historia De Espana, Tomo III.  
(Barcelona-Buenos Aires 1948)
2. GARIOS DE LUNA, JOSE :  
Historia De Gibraltar (Madrid 1944).
3. LEVI PROVENCAL. E. :  
La penisule iberique Du Moyen-Age d'après le Kitab Al-Rawd al Mi-  
tar, D'Ibn Abd al Munim al Himyari. (Tetuan 1950).
4. LEON AFRICANO, JUAN (A) HASAN IBN MUHAMMAD ALWAZZAN  
AL-FASI) :  
Description De Africa y De las cosas notables que en ella se encuen-  
tran.  
(INSTITUTO GENERAL FRANCO-TETUAN 1952)
5. MULLER, MARCUS JOSEPH :  
Beitrag zur Geschichte der westlichen araber (Munchen 1866)
6. SECO DE LUCENA, LOUIS :  
Sobre el viaje de Ibn Battuta al Reinocle Granada (Al Andalus, Vol,  
XVI 1951).
7. SIMONET, FRANCISCO JAVIER :  
Descripcion del Reine de Granada bajo la dominacion de los Naza-  
ritas.  
(Madrid 1860).



## الفهارس الموجودة بالكتاب

\* \* \*

الصفحة

- (1) فهرس عام ..... 194
- (2) فهرس المدن الاندلسية ..... 195 - 196
- (3) فهرس المدن المغربية ..... 197
- (4) فهرس الخرائط والصور والوثائق ..... 198 - 199

## فهرس عام لمحتويات الكتاب

الصفحة

المقدمة ..... 3 -

### الفصل الاول :

ترجمة للمؤلف ..... 9  
ابن الخطيب في نظر بعض المؤرخين ..... 23 -

### الفصل الثاني :

تراث ابن الخطيب الفكري وآثاره ..... 27

### الفصل الثالث :

عرض وتحليل للكتاب : ..... 41  
موضوع الكتاب ..... 43  
منهج ابن الخطيب في الكتاب ..... 49  
قيمة الكتاب الادبية ، ومدى صلته بفن  
المقامات في الادب العربي ..... 52

### الفصل الرابع :

« معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار »

— المجلس الاول —

وصف المدن الاندلسية ..... 65 - 134

### الفصل الخامس :

— المجلس الثاني —

وصف المدن المغربية ..... 135 - 186  
فهرس المدن الاندلسية ..... 194  
فهرس المدن المغربية ..... 195  
فهرس الخرائط والصور والوثائق ..... 196

فهرست المدن التي ورد وصفها في المعيار

\*\*

٢ - المدن الاندلسية :

82	.. . . . .	1 - جبل طارق
83	.. . . . .	2 - اسطبونة
85	.. . . . .	3 - مريبل
85	.. . . . .	4 - سهيل
87	.. . . . .	5 - مالتة
92	.. . . . .	6 - بليش مالتة
92	.. . . . .	7 - قمارش
94	.. . . . .	8 - المنكب
97	.. . . . .	9 - شلوبانية
98	.. . . . .	10 - برجة
99	.....	11 - دلاية
100	.. . . . .	12 - المرية
103	.. . . . .	13 - طبرنش
104	.. . . . .	14 - بييرة
105	.. . . . .	15 - مجاتر
105	.. . . . .	16 - قنتورية
106	.. . . . .	17 - برشانة
107	.. . . . .	18 - أوربسة
107	.. . . . .	19 - بليش الشقراء
109	.. . . . .	20 - بسطة
110	.. . . . .	21 - أشكر
111	.. . . . .	22 - أندرش
111	.. . . . .	23 - شبالش
112	.. . . . .	24 - وادي آش

113	.. . . . .	فنيانة	25 -
113	.. . . . .	غرناطة	26 -
124	.. . . . .	الحمّة	27 -
125	.. . . . .	صالحة	28 -
125	.. . . . .	اليرة ومنتفريد	29 -
125	.. . . . .	لوثة	30 -
126	.. . . . .	أرجذونة	31 -
126	.. . . . .	أنتقيرة	32 -
127	.. . . . .	ذكوان	33 -
128	.. . . . .	قرطمة	34 -
130	.. . . . .	رندة	35 -

### ب - المدن المغربية :

143	.. . . . .	بادس	1 -
144	.. . . . .	سبتة	2 -
147	.....	طنجة	3 -
149	.. . . . .	قصر كتامة	4 -
150	.. . . . .	أصيلا	5 -
152	.. . . . .	سلا	6 -
156	.. . . . .	أنفا	7 -
158	.. . . . .	أزمور	8 -
159	.. . . . .	تيط	9 -
160	.. . . . .	رباط أسفى	10 -
161	.. . . . .	مراكش	11 -
164	.. . . . .	أغمات	12 -
165	.. . . . .	مكناسة	13 -
172	.. . . . .	فاس	14 -
179	.. . . . .	آقر سلوين	15 -
180	.. . . . .	سجلماسة	16 -
182	.. . . . .	تازة	17 -
182	.. . . . .	غساسة	18 -
183	.....	تلمسان	19 -

## فهرست الخرائط والصور والوثائق

### (1) الخرائط

- 1 - خريطة الاندلس .. . . . . . 80  
2 - خريطة المغرب .. . . . . . 142

### (2) الصور

#### أ - الاندلس :

- 1 - منظر جبل طارق .. . . . . . 81  
2 - منظر مريانة .. . . . . . 84  
3 - منظر مالقة ( المدينة والساحل ) .. . . . . . 86  
4 - منظر قصبة مالقة ( الابهاء والتلعة ) .. . . . . . 86  
5 - منظر المنكب ( المدينة ) .. . . . . . 93  
6 - منظر ( الحصن ) بالمنكب .. . . . . . 95  
8 - منظر ( القصبة ) بالهرية .. . . . . . 101  
9 - منظر بسطة .. . . . . . 108  
11 - منظر قصر الحمراء .. . . . . . 114  
12 - منظر فناء الاسود بالحمراء .. . . . . . 116  
13 - منظر جنة العريف ( الحمراء ) .. . . . . . 118  
14 - منظر بركة البرطل ( الحمراء ) .. . . . . . 120  
15 - منظر قصر جنة العريف ( من الخارج المواجه  
لحي البيازين ) .. . . . . . 122  
16 - منظر رندة ( القنطرة العربية ) .. . . . . . 129  
17 - منظر باب المقابر ( رندة ) .. . . . . . 131

## ب - المغرب

- 1 - منظر سبتة .. . . . . 145
- 2 - منظر طنجة .. . . . . 148
- 3 - منظر سلا ( الاسوار الاثرية ) .. . . . . 151
- 4 - منظر الرباط ( المدينة ) .. . . . . 153
- 5 - منظر الرباط ( مسجد حسان ) .. . . . . 154
- 6 - منظر الرباط ( قصبة الاوداية ) .. . . . . 154
- 7 - منظر الدار البيضاء .. . . . . 157
- 9 - منظر صومعة مسجد (مراكش) .. . . . . 162
- 10 - منظر عام لمدينة مكناس .. . . . . 166
- 11 - مدخل ضريح مولاي اسماعيل .. . . . . 167
- 12 - باب الريح بمكناس .. . . . . 168
- 13 - باب منصور .. . . . . 169
- 14 - باب مسجد الانوار .. . . . . 170
- 15 - منظر مدينة فاس .. . . . . 171
- 16 - الناعورة .. . . . . 173
- 17 - منظر جانبي من المدرسة البوعنانية بالداخل .. . . . . 177
- ( فاس ) .. . . . . 177

## (3) الوثائق

- 1 - صورة اللوحة الاولى من مخطوط « المعيار » عن  
الاصل المحفوظ بالاسكوريال (1777) .. . . . . 67
- 2 - اللوحة الاخيرة من « المجلس الاول » .. . . . . 68
- 3 - اللوحة الاولى « من المجلس الثاني » .. . . . . 69
- 4 - اللوحة الاخيرة من « المجلس الثاني » ، وهي  
نهائية المخطوط .. . . . . 70